بياناتِ عطاريه

المحاضرات الإسلامية

الجزء الثاني

لفضيلة الشيخ الداعية الكبير أبي بلال
محمد الياس العطار القادري الرضوي
حفظه الله تعالى



مكتبة المدينة
للطباعة والنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرات الإسلامية

لفضيلة الشيخ الداعية الكبير أبي بلال محمد إلياس العطار
القادري الرضوي حفظه الله تعالى

الجزء الثاني

تعريب
مجلس التراجم

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ-٢٠١٠م

مكتبة المدينة

للطباعة والنشر والتوزيع

المركز العالمي جامع فيضان المدينة سوق الخضار القديم حي سودا غران كراتشي، باكستان.

هاتف: ٤٩٢١٣٨٩-٠٠٩٢٢١ فاكس: ٤٩٢١٣٩٤-٠٠٩٢٢١

البريد الإلكتروني: translation@dawateislami.net

overseas@dawateislami.net :

موقعنا على الإنترنت: www.dawateislami.net

أخي القارئ العزيز:

فضيلة الشيخ الداعية الكبير أبو بلال محمد إلياس العطار القادري الرضوي قد صنّف الكتب والرسائل والمحاضرات باللغة الأردية فأخذنا على أنفسنا ترجمتها من الأردوية إلى العربية والإنجليزية والفارسية وغيرها من اللغات وقمنا بترجمة هذه المحاضرات الإسلامية من الأردوية إلى العربية، وتم إخراجها بنهج دقيق متقن قبل دفعها للطباعة فإن وافقت الحقّ والصواب فالمنة لله العلي الكبير وإلاّ فالعبد محلّ الخطأ والتقصير ولا سيّما مع الباع القاصر والعلم القصير ونعتذر لذوي الألباب من التقصير الواقع في ترجمة هذه المحاضرات من الأردوية إلى العربية.

ونسأل بلسان التضرع والخشوع وخطاب التذلل والخضوع أن تنظروها بعين الرضى والصواب فما كان من نقص كملوه، وما كان من خطأ أصلحوه بل أرسلوه لنا فنتداركه في الطبعات اللاحقة ونرحب بملاحظاتكم النافعة وبهذا تكونون قد شاركتم معنا بجهد مشكور يتضافر مع جهدنا جميعاً في سيرنا نحو الأفضل.

مجلس التراجم من جمعية الدعوة الإسلامية



مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، **أمّا بعد:**

فإنّ هذا الكتاب يحتوي على محاضرات فضيلة الشيخ الداعية الكبير أبي بلال محمد إلياس العطار القادري الرضوي فهو يتحدّث فيه عن سيرة الفاروق الأعظم وذي النورين أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنهما وأخبارهما وكراماتهما وحالة الناس قبل بعثة النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم وبدأ دعوته للإسلام والرغبة في الآخرة ومكارم الأخلاق والآداب وفضائل العفو والصفح عن الناس والصبر والإخلاص وحفظ اللسان واستخدامه في ذكر الله تعالى كالتسبيح والتقديس والتهليل والدروس الإسلامية والدعوة إلى الله تعالى وتجنب الرذائل والسيئات والفحش والبذاء وكيفية الحذر من هذه المهلكات والنظر إلى الدنيا على أنّها دار العمل لنيل الدرجات في الآخرة لا على أنّها دار قرار ولهو وانشراح، ويتحدّث أيضاً عن الموت وكيفيته وحال الميت والقبر وضمته وفتنته وعذابه وضيقه وكيفية الحذر من عذاب النار، وهذه

المحاضرات ألقاها بالاجتماعات نقلاً من الأحاديث والآثار وأقوال العلماء الكرام مع الحكايات الإيمانية؛ لتهذيب أخلاق المسلمين وتشذيب مسارهم لما فيها من الترغيب والترهيب والتحبيب والتأنيب، وهذا يدلّ على سعة اطلاعه من الناحية العلمية ويدلّ كذلك على اهتمامه بالجوانب الأخلاقية والرقيقة في حياة المسلمين، وقد قام مجلس التراجم من جمعية الدعوة الإسلامية بترجمة هذه المحاضرات من الأردوية إلى اللغة العربية وطبعتها مكتبة المدينة بشكل كتاب، وهذه المحاضرات التي جمعناها هي:

- إرشاد العالمين إلى منزلة الفاروق أمير المؤمنين
- إرشاد العالمين إلى منزلة ذي النورين أمير المؤمنين
- الحالة الاجتماعية قبل البعثة المحمدية
- فضائل العفو عن الناس
- القول الطيب
- عظام الملوك
- طريقة إصلاح النفس
- احترام المسلم
- بضائع الشيطان
- أريد إصلاح نفسي
- الغفلة
- هموم الميت

نرجو الله أن يفيد منها أبناء هذه الأمّة وصلّى الله تعالى وسلّم على سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

الناشر

مكتبة المدينة

إرشاد العالمين
إلى منزلة الفاروق أمير المؤمنين رضي الله عنه

لفضيلة الشيخ الداعية الكبير أبي بلال محمد إلياس العطار
القادري الرضوي حفظه الله تعالى

تعريب
مجلس التراجم


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، **أما بعد:**

فقد قال سيّدنا عمرُ بن الخطَّاب رضي الله تعالى عنه: «إنّ الدُّعاء موقوفٌ بين السماء والأرض لا يَصعَدُ منه شيء حتّى تصلِّي على نبيِّك صلّى الله تعالى عليه وسلّم»[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

حديثنا أيّها الإخوة المسلمون عن صحابي جليل القدر والمكانة: إنّه أبو حفص عمر بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى القُرَشي العَدَوي رضي الله تعالى عنه ويجتمع نسَبُه مع نسب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم عند كعب بن لُؤَيٍّ، ووُلد بعد عام الفيل بثلاثَ عَشَرَةَ سنَةً.

وعُرِف في شَبَابه بالشدّة والقوّة وكانت له مكانة رفيعة في قومه، وأَسلَم في السّنَة السادسة من البَعْثَة النّبَوية المشرَّفة بعدَ أنْ دَعَا النبيُّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم رَبَّهُ ليَشرَحَ صَدرَهُ

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم، ٢/٢٨، (٤٨٦).

للإسلام، ويقال له: متمِّم الأربعين، وكان عمر رضي الله تعالى عنه ذا شَكيمة لا يرام فقد أثَار إسلامه ضَجَّةً بين المشركين، وشَعوراً بالذّلّة والْهَوان، وكسَا المسلمين عزّةً وشَرَفاً وسُرورًا، ومن هنا بدَأَ الْجَهْر بالدعوة في مكّة المكرَّمة إذ قال عمرُ لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم والمسلمون في دار الأرقم: «والذي بعَثك بالحقّ لتخرُجَنَّ ولَتخرُجَنَّ معك».

وخرَج المسلمون ومعهم عمر ودخلوا المسجد الحرام وصلَّوا حول الكعبة دون أن تَجرَّأَ قُريشٌ على اعتراضهم أو منعهم، لذلك سَمَّاه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم الفاروقَ؛ لتَفرِقَته بين الحقّ والباطل بإعلانه الإسلام، واستخلَفه سيّدُنا أبو بكرٍ الصدّيقُ رضي الله تعالى عنه قبل وفاته، وهو أوّل من لُقِّب بأمير المؤمنين، وفي خلافته كَثُرت الفُتوحات الإسلامية، وفضائلُه كثيرة ومناقبُه جَمَّةٌ مشهورةٌ، وهو أحد العشَرة المبشَّرين بالجنّة، وأفضلُ الصحابة بعد سيّدنا أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه وجعَل الله الحقَّ على لسانه؛ إذ وافقَ القرآنُ رأيهُ في عِدَّة مَواقف. وروي عن سيّدنا عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّ الله جعَل الحقَّ على لسان عمر وقلبه». وقال سيّدنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه: لقد سمعتُ رسولَ الله صلّى

الله عليه وسلّم يقول: «ما طلَعَت الشمسُ على رجُلٍ خيرٍ من عمرَ»[1]. وعن سيّدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «ما في السماء ملَكٌ إلاّ وهو يوقِّر عمر ولا في الأرض شيطانٌ إلاّ وهو يَفرقُ من عمر»[2]. وقال سيدُ الأنام مصباحُ الظَّلام حبيبُ الْمَلِك العلاَّم عليه أفضلُ الصلاة والتسليم: «لا يحبّ أبا بكر وعمرَ منافقٌ ولا يُبْغِضُهما مؤمن»[3]. عن سيّدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قالَ: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «عمر بن الخطاب سِراجُ أهلِ الجنّة»[4]. وروي عن سيّدنا الأسود بن سَريع رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال فيه: «هذا رجل لا يحبُّ الباطلَ»[5].

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب المناقب عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم، باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، ٣٨٤/٥، (٣٧٠٤).

[2] "تأريخ مدينة دمشق"، ٨٥/٤٤، و"فردوس الأخبار"، ٣٣٧/٢، (٦٦٧٣).

[3] ذكره ابن عساكر في "تأريخ مدينة دمشق"، ٢٢٥/٤٤.

[4] ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد"، ٧٧/٩، (١٤٤٦١)، وابن عساكر في "تأريخه"، ١٦٦/٤٤، والديلمي في "الفردوس"، ٧٤/٢، (٣٩٦٥).

[5] أخرجه أحمد في "مسنده"، مسند المكيين، حديث أسود بن سريع رضي الله تعالى عنه، ٣٠٢/٥، (١٥٥٨٥)، والبخاري في "الأدب المفرد"، باب من مدح في الشعر، صـ٩٤، (٣٤٢).

وروي عن سيّدنا عبد الله بْنِ مسعود رضي الله تعالى عنه أنّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال: «يَطَّلِع عليكم رجلٌ من أهل الجنّة فاطَّلَع عمرُ»[1]. وقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «رِضا الله رِضا عمَر ورِضا عمر رضا الله»[2]. وروي عن سيّدنا جابرِ بْنِ عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «رَأيتُني دخلتُ الجنَّة ورأيتُ قَصْراً بفنائه جاريةٌ فقُلتُ: لمن هذا؟ فقيل: لعمر، فأَردْتُ أن أدخُلَه فأنظُرَ إليه فذكَرتُ غيرتَك». فقال عمرُ: بأبي وأمّي يا رسول الله أَعلَيْكَ أَغَارُ؟[3].

أيها المسلمون: سيّدنا أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه من أصحاب البَرَكات والكرامات السامية، فمِنْ كراماتِه: رُؤْيَتُه في المدينة جَيْشَ المسلمين بنَهَاوَنْدَ وقد هجم من وراء الْجَبَلِ فقال في أثناء خطبته: يا ساريةُ الْجَبَلَ! يا سارية الْجَبَلَ!

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، ٥/٣٨٨، (٣٧١٤)، والطبراني في "المعجم الأوسط"، من اسمه عبدان، ٥/١٧٤، (٧٠٠٢).

[2] ذكره السيوطي في "جمع الجوامع"، ٤/٣٦٨، (١٢٥٥٦).

[3] أخرجه البخاري (ت ٢٥٦هـ) في "صحيحه"، كتاب فضائل أصحاب النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم، باب مناقب سيّدنا عمر بن خطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله تعالى عنه، ٢/٥٢٥، (٣٦٧٩)، ومسلم (ت ٢٦١هـ) في "صحيحه"، صـ١٣٠٤، (٢٣٩٤).

إذ انكشف له أنّ العَدُوّ قد أشرَفَ على المسلمين فنادى عمرُ قائدَ الجيش فبَلَغَ صوتُهُ إليه في ذلك الوقت وسمِعَ سارِيَةُ كلامَهُ وبينهما مَسِيْرَةُ شَهْرٍ فتَحرَّز مِنْ مَكَامِن العَدوّ القَابعَة خلفَ الجبلِ في تلكَ السَّاعة.

روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إنّ أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه بعَث جيشًا وأمَّر عليهم رجلاً يدعى ساريةَ، فبينما عمر يخطُبُ يوم الجمعة فعرَض في خطبته أن قال: «يا ساريةُ الجبَل من استرعَى الذئبَ ظلَم». فالتفتَ الناسُ بعضُهم لبعضٍ فقال لهم سيّدنا عليٌّ رضي الله تعالى عنه: ليخرجنّ ممّا قال. فلمّا فرَغ سأَلوه فقال: وقع في خَلَدي أنّ المشركين هزَمُوا إخوانَنا وإنّهم يمُرُّون بجبَل، فإن عدَلوا إليه قاتَلوا من وجه واحد، وإن جاوَزوا هلَكُوا، فخرَج منّي ما تزعُمُون أنّكم سمعتموه. قال: فجاء البشيرُ بعد شهر فذكَر أنّهم سمعوا صوتَ عمر رضي الله تعالى عنه في ذلك اليوم قال: فعدَلْنا إلى الجبل ففتَح الله علينا[1].

---

[1] ذكره التبريزي (ت ٧٤١ هـ) في "مشكاة المصابيح"، كتاب أحوال القيامة وبدء الخلق، باب الكرامات، الجزء الثالث، ٤٠١/٢، (٥٩٥٤)، وأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) في "الإصابة في تمييز الصحابة"، حرف السين المهملة، ٥/٣، والبيهقي (ت ٤٥٨هـ) في "دلائل النبوة" ٣٧٠/٦.

أيها المسلمون: إنّ الله تعالى يمنَحُ أولياءه قوّةً عظيمةً في جوارحهم متعالية عن أفهام عامّة الناس فيتميَّزون عن العوَامِّ في الدنيا والآخرة ويُكْرِمُهم بفضائل جليلة كثيرة ويُعْطِيْهم من العلوم والمعارف والقُدْرَة العالية والْمَنزِلة الرفيعة التي يَقدِرُون بها على التصرّف في الباطن والظاهر.

ومن بركات أمير المؤمنين وكراماته: قصّته مع نيل مصر ومراسلته إيّاه وجريانه بعد انقطاعه. فلَمّا فتَح المسلمون مصرَ أتَى أهلُها إلى سيّدنا عمرِو بن العاص رضي الله تعالى عنه حين دخَل يوم من أشهُر العجم فقالوا: أيّها الأمير، إنّ لِنيلنا هذا سُنّةً لا يجري إلاّ بها فقال لهم: «وما ذاك؟». قالوا: إذا كان إحدَى عشَرةَ ليلةً تَخْلو من هذا الشهر، عمَدْنا إلى جارية بِكْرٍ من أبَوَيْها فأَرضَيْنا أبَوَيْها وجعَلنا عليها من الْحُلِيّ والثِّيَابِ أَفضلَ ما يكون ثُمّ ألقَيْناها في هذا النيل. فقال لهم سيّدنا عمرو رضي الله تعالى عنه: إنّ هذا لا يكون أبَداً في الإسلام وإنّ الإسلام يَهْدِمُ ما كان قبله فأقاموا يومَهم والنيلُ لا يجري قليلاً ولا كثيراً حتّى هَمُّوا بالْجَلاَء، فلَمّا رأى ذلك عَمرو رضي الله تعالى عنه كتَب إلى سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بذلك فكتَب أن قد أَصَبْتَ بالذي فعَلْتَ؛ لأنّ الإسلام يهدِمُ ما كان قبله وبعَث بِطَاقةً في داخل كتابه وكتَب إلى عَمرو: إنّي قد بعَثْتُ

إليك بطاقةً في داخل كتابي إليك فأَلْقِها في النِّيل، فلَمَّا قدم كتابُ عمرَ إلى عمرو بن العاص أخَذ البطاقة ففتَحها فإذَا فيها: «من عبد الله عمر أميرِ المؤمنين إلى نيلِ أهل مصر أمّا بعدُ: فإن كنتَ تَجْري من قِبَلكَ فلا تَجْرِ وإن كان الله عزّ وجلّ يُجْرِيك فأسألُ الله الواحدَ الْقَهَّار أن يُجْرِيكَ». قال: فألقَى البطاقة في النيل قَبْلَ عيد الصَّلِيْب بيوم واحد وقد تهَيَّأَ أهلُ مصْرَ للجَلاَء منها؛ لأنّه لا تقوم مصلحتُهم فيها إلاّ بالنِّيل، فلمَّا ألقَى البِطَاقة أصبَحُوا يومَ الصَّلِيْب وقد أَجْراه الله عزّ وجلّ ستّةَ عشر ذِراعًا في ليلة واحدة وقطَع الله عزّ وجلّ تلك السنّة السيِّئة عن أهلِ مصْرَ إلى اليوم ببركة سيّدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه[1].

أيها المسلمون: أرأيتم كيفَ كانَ المصريونَ القُدماءُ يقدِّسونَ النِّيلَ ويتقَرَّبون إليه بأنواعِ القُرُبات لكي يزدَادَ مَاؤهُ، وإنّ من هذه القُرُبَات: إلقاء عروس مزيَّنة فيه كلَّ عامٍ، ولَمّا فُتحَتْ مصرُ أبطَل المسلمون هذه العادة السيِّئة ولكن مع الأسف الشديد في هذه الأيّام عاد الاحتفالُ بوفاء النيل بمَراسم ومَظاهر لا تتَّفق مع القرآن والسنّة.

---

[1] ذكره أبو الشيخ الأصبهاني (ت ٣٩٦هـ) في "كتاب العظمة"، باب صفة النيل ومنتهاه، صـ٣١٨، (٩٤٠).

قال الشيخ أحمد يارخان النعيمي رحمه الله تعالى: إنّ المراسم السيّئة لها أَثَرٌ سيِّء على صاحبها وهذه من أعظم الأمراض المهلكات وقد تَنبَّهَ كثير من الإخوة المسلمين الغَيُّورين على الدِّين إلى خُطُورتها ولكن مع الأسف وقع كثير من الناس في المراسم والمظاهر التي تتنافى مع الدِّين ونتج منها حِرْمانُ الرزق والراحة والاستقرار وحِرْمانُ السكينة والاطمئنان وحِرْمانُ السُّرور والسعادة وحُصولُ وحشة ومَشقَّة، فمن عرَف أحوالَ المسلمين وما جرى عليهم من الظلم والْفَقْر يتألَّم كثيراً ويبكي ويحزَنُ على إخوانه المظلومين ولكن اعلموا أنّ البُكاء والعَويل لا يدفَعان شرّاً نازلاً ولا يُشْبِعان بَطْنًا جائعًا ولا يُداويان مريضًا مُشْرِفًا على الْهَلاك فبَدْل أن يبكي المسلمون على غِيَاب الدولة والحكومة فليبكوا على غياب مراسم الشريعة الإسلامية وليبكوا على غياب مَكَارم الأخلاق، وليبكوا على انعدام الخوف من الله تعالى وليبكوا على غياب حبّ النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فهذه الأمور هي أولى وأحقّ بالبكاء عليها من البكاء المزعوم وذرف دُموع التماسيح على غياب الدولة. واعلموا أنّ ثلاثة أمراض قد توفّرت ووفَّرت الخِذْلان والْهَلاك والضعف والاضطراب، وهي: [١] عدم التمسّك الكامل بالقرآن الكريم والسنّة النبويّة. [٢] والاقتداء بكلّ فرقة

نـشأتْ بالأسمـاء المختلفـة. [٣] والعمـل بالمراسـم المحرَّمـة. فينبغي بل ويتأكّد على كلّ مسلم أن يكون على بصيرة من دينه وبيِّنة من أمره؛ ليعرِف ما هـو الإسـلام ومـا هـي نَواقـضه حتّـى يحذَر منها ومن أهلها، وينبغي أن يجتنب مجالسة رِفاق الـسوء ويبحَث عن رفقة صالحة تُعينه على طاعة لله ورسـوله صـلّى الله تعالى عليه وسلّم ويجب أن يحترز من الرُّسُوم التي لا تَتَّفـق مـع القرآن والسنّة وتفضي إلى الخـذلان والهـلاك وينبغـي أن يـصبر على اتّباع السنّة عند غلَبة الفساد؛ لأنّه حينئذ لا يجد المتمسّكُ بالسنّة من يُعينه بل يجد من يؤذيه ويُهِيْنه فبصبرِه علـى مـا يَنالـه بـسبب التمـسّك بالـسنّة مـن الأذى يجـازَى برفـع درجاتـه إلى منازل الشهداء، فقد قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسـلّم: «من تمسَّك بسنّتي عند فساد أمّتي فله أجرُ مئة شـهيد»[(١)]؛ لأنّ من يأتي السنّة حينئـذ كالمجاهـد المقاتـل في الغَـزواتِ والـصبرُ على إتيان السنّة أشقّ من الصبر في المعركة؛ إذ البليَّة إذا عمَّـتْ طابت وإذا خصّت أتعبت وشقّت[(٢)].

[(١)] ذكره الـشيخ محمـد بـن عبـد الله الخطيـب التبريـزي (ت ٧٤١هـ) في "مـشكاة المصابيح"، كتاب الإيمـان، بـاب الاعتـصام بالكتـاب والـسنة، ١/٥٥، (١٧٦)، والبيهقي (ت ٤٥٨هـ) في "الزهد الكبير"، صـ١١٨، (٢٠٧).

[(٢)] ذكـره الـشيخ أحمـد يـار خـان النعيمـي (ت ١٣٩١هـ) في "الحيـاة الإسـلامية"، صـ١٢-١٦، ملخصًا، وانظر "بريقة محمودية".

أيها المسلمون: من كرامات سيّدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: الاطلاع على صاحب القبر والحديث معه: روي أنّه كان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه شابّ متعبِّد قد لزم المسجد، وكان عمر به مُعجَبًا، وكان له أب شيخ كبير، فكان إذا صلَّى العتَمة انصرَف إلى أبيه، وكان طريقه على باب امرأة فافْتُتنتْ به، فكانت تَنصِبُ نفسَها له على طريقه؛ فمرّ بها ذات ليلة، فما زالت تُغوِيه حتّى تَبِعها، فلمّا أتى الباب دخلت، وذهب يدخل فذكَر الله عزّ وجلّ، وجلى عنه، ومَثلت هذه الآيةُ على لسانه: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٠١/٧]. فخرّ الفتى مَغْشِيًّا عليه؛ فدعت المرأة جاريةً لها فتعاونتا عليه فحمَلتاه إلى بابه، واحتبس على أبيه، فخرج أبوه يطلُبه فإذا به على الباب مغشيّاً عليه، فدعا بعض أهله فحمَلوه فأدخلوه، فما أفاق حتّى ذهب من اللّيل ما شاء الله عزّ وجلّ فقال له أبوه: يا بنيّ مالَك؟ قال: خير. قال: فإنّي أسألك بالله، فأخبره بالأمر. قال: أيْ بنيّ، وأيَّ آية قرأتَ؟ فقرأ الآية التي كان قرأ، فخرّ مغشيّاً عليه، فحرَّكوه فإذا هو ميت؛ فغسلوه وأخرجوه ودفنوه ليلاً. فلمّا أصبَحوا رُفِعَ ذلك إلى سيدنا عمر

رضي الله تعالى عنه، فجاء عمر إلى أبيه فعزَّاه به، وقال: ألا آذنتني؟ قال: يا أمير المؤمنين، كان اللّيل. قال عمر: فاذهبوا بنا إلى قبره. فأتى عمر ومن معه القبر. فقال عمر: يا فلان ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ**﴾ [الرحمن: ٤٦/٥٥]. فأجابه الفتى من داخل القبر: يا عمر قد أعطانيهما ربّي في الجنّة مرّتين[١]. يتبيَّن منه أنّه من كان شديد الخوف والخشية من الله تعالى فله جنّتان ويستظلّ يوم القيامة بظلِّ الرحمن، يومَ لا ظلَّ إلاّ ظلّه فقد روي عن موسى بن يَسَار: أنّ سيدنا سلمانَ رضي الله تعالى عنه كتَب إلى سيدنا أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: إنّ في ظلّ العَرْش رجلاً نشَأ فكانت صحبتُه وشَبَابُه وقوّتُه فيما يحبّ الله ويَرضاه من العمل. ورجلاً ذكَر الله ففاضت عيناه من الدَّمْعِ من خشية الله[٢]. وكان سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يبكي من شدّة الخوف والخشية من الله تعالى. قد روي عن سيدنا عبد الله بن عيسى رضي الله تعالى عنه قال: كان في وجه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خطَّان أسوَدان من البكاء[٣].

---

[١] "تأريخ مدينة دمشق"، ٤٥/٤٥٠، و"ذم الهوى"، صـ١٩٠، (٧٠٨)، و"جامع الأحاديث"، ١٤/٥٩، (٢٠٥٤).

[٢] ذكره ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) في "مصنفه"، ٨/١٧٩، (١٢)، ملتقطاً.

[٣] ذكره أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) في "الزهد"، صـ١٤٩، (٦٣٨).

أيها المسلمون: إنّ سيدنا عمر رضي الله عنه كانت له المكانة العالية والمنزلة الرفيعة وقد أعطاه الله من القدرة التي يقدر بها على التصرّف في الظاهر والباطن. قال الإمام السُّبكي رحمه الله تعالى: إنّ الأرض زُلزِلت في زمن عمر رضي الله تعالى عنه فحمد الله وأثنَى عليه والأرضُ ترجُفُ وترتَجُّ ثمّ ضرَبها بالدِّرَّة وقال: استقرِّي، ألم أعدِلْ عليك فاستقرَّت من وقتها[1].

أيها المسلمون: كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتمنّى الشهادة في سبيل الله ويدعو ربَّه لينال شرَفها: اللَّهمَّ ارْزُقني شهادةً في سبيلك واجعَل موتي في بلَد رسولك[2]. وفي ذات يوم وبينما كان يؤدِّي صلاة الفجر بالمسجد طعَنه أبو لُؤْلُؤَة المجوسي عدّة طعَنات في ظهره أدَّتْ إلى استشهاده ليلة الأربعاء لثلاث ليالٍ بَقِيْن من ذي الحِجَّة سنَةَ ثلاث وعشرين من الهجرة ولَمّا علم قبل وفاته أنّ الذي طعَنه ذلك المجوسي حمدَ الله أن لم يقتُله رجل سجَد لله سجدةً ودفن إلى جوَار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكر الصديق رضي الله عنه في الحجرة النبوية الشريفة الموجودة الآن في المسجد النبوي في المدينة المنوّرة[3].

---

[1] ذكره السبكي (ت ٧٧١هـ) في "طبقات الشافعية"، ٣٢٤/٢.

[2] أخرجه البخاري في "صحيحه"، ٦٢٢/١، (١٨٩٠).

[3] "الرياض النضرة"، الجزء الثاني، صـ٤٠٥-٤١٨، و"تاريخ الخلفاء"، صـ١٠٨.

أيها المسلمون: محبّة عمر رضي الله تعالى عنه على الحقيقة هي محبّة النبي صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم والبغضُ لعمرَ رضي الله تعالى عنه على الحقيقة هو البغضُ للنبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم. روي عن سيدنا أبي سعيد الْخُدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من أبغَض عمر فقد أبغَضني، ومن أحبَّ عمر فقد أحبَّني»[1]. وروي عن سيدنا عبد الله بن مُغفَّل رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتَّخذوهم غرَضًا بعدي فمن أحبَّهم فبحبّي أحبَّهم ومن أبغَضهم فببُغْضي أبغضَهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذَى اللهَ ومن آذى الله يُوشكُ أن يأخُذه»[2].

أيها المسلمون: من أحبَّ قومًا حُشِر معهم كما روى الإمام الطبَراني عن سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «لا يحبُّ رجل قومًا إلاّ حشر معهم»[3]. والأحاديثُ في هذا الباب كثيرة، منها ما جاء في البخاري ومسلم عن سيدنا أنَس رضي الله عنه: أنّ رجلاً سأَل

---

[1] أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط"، ١٠٢/٥، (٦٧٢٦).

[2] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب المناقب، ٤٦٣/٥، (٣٨٨٨).

[3] أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط"، ١٩/٥، (٦٤٥٠).

النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم عن الساعة، فقال: متَى الساعةُ؟ قال: «وماذا أعدَدْتَ لها». قال: لا شيء إلاّ أنّي أحبُّ الله ورسولَه صلّى الله عليه وسلّم، فقال: «أنتَ مع من أحببتَ». قال سيدنا أنسٌ رضي الله تعالى عنه: فمَا فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشدّ من قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: «فإنّك مَعَ من أحببتَ». قال أنس: فأنَا أحبّ الله ورسوله وأبا بَكْرٍ وعمرَ وأرجو أن أكون معهم بحُبِّي إيَّاهم وإن لم أعمَل بمثلِ أعمالهم[1]. قال الشيخ محمد نعيم الدّين المراد آبادي رحمه الله تعالى: ينبغي لكلّ مسلم أن يحبّ الصحابة ولا يُبْغضهم ولا يجلس مع الذي يلعَنُ الصحابة ويطعَنُ في أعراضهم[2]. قال الإمام أحمد رضا خان رحمه الله: يحرُمُ القعودُ مع أهل البدعة والضلالة بل إنّه سمّ مهلك للمسلم إذا خيف عليه أن يألَف دينًا غير دين الإسلام[3]. وكان النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم يحذِّر المسلمين من أهل البدعة والضلالة بقوله: «فإيّاكم وإيّاهم لا يُضلُّونكم ولا يَفْتِنُونكم»[4]. وروي عن عمرانَ بن حُصَيْن رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى

---

[1] "صحيح البخاري"، ٥٢٧/٢، (٣٦٨٨)، و"صحيح مسلم"، صـ١٤١٩، (٢٦٣٩).

[2] ذكره الشيخ محمد نعيم الدين (ت ١٣٦٧هـ) في "سوانح كربلا"، صـ٣١.

[3] ذكره أحمد رضا خان (ت ١٣٤٠هـ) في "الملفوظ الشريف"، صـ٢٧٧.

[4] أخرجه مسلم في "صحيحه"، مقدمة، صـ٩، (٧).

عليه وسلّم: «من سمع بالدَّجَّال فلَيْنْأَ عنه فوالله إنّ الرجل لَيَأتيه وهو يحسبُ أنّه مؤمن فيتَّبعُه ممَّا يبعث به من الشُّبُهات أو لما يبعث به من الشبهات»[1].

أيها المسلمون: من يسُبُّ أصحابَ النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم فهو يخسَرُ الدنيا والآخرة بل إنّ الله تعالى قد يجعَله عبرةً للآخرين، نقل الإمام ابن الجوزي عن خَلَف بن تميم رضي الله عنه قال: سمعتُ بشيراً أبا الْخَصيْب قال: كنتُ رجلاً تاجراً مُوسِراً وكنت أسكُن مدائن كِسْرى، فأتاني أجيري فذكر أنّ في بعض خانات المدائن رجلاً قد مات وليس يوجد له كفن فأقبَلتُ حتّى دخلت ذلك الخانَ فدفعت إلى ميت مُسَجَّى وعلى بَطْنه لَبِنَة ومعه نفَرٌ من أصحابه فذكروا من عبادته وفضله فبعثت أشتري الكفَن وغيره وبعَثتُ إلى حافر يَحْفِرُ له وهيَّأْنَا له لَبِنًا وجلَستُ أسخِّن له ماء لنغسِّله، فبينا نحن كذلك وثَب الميتُ وثبةً فندَرت اللبنة عن بطنه وهو يدعو بالوَيل والثّبُور والنار، قال: فتصدَّع أصحابه عنه. قال: فدنَوتُ حتّى أخَذتُ بعَضُده وهززته ثم قلت: ما أنت؟ وما حالك؟ قال: صحبْتُ مَشْيَخَةً من أهل الكوفة فأدخلوني في رأيهم في سبّ أبي بكر

---

[1] أخرجه أبو داود في "سننه"، ١٥٧/٤، (٤٣١٩)، وأحمد في "مسنده"، ٢٢٢/٧، (١٩٩٨٨)، والحاكم في "المستدرك"، ٧٤٠/٥، (٨٦٦٠).

وعمر والبراءة منهما، قال: قلت: استغفر الله ثم لا تَعُد، قال: فأجابَني: وما ينفَعُني وقد انطلَق بي إلى مَدْخَلي من النار فأَريتُه وقيل لي: إنّك سترجع إلى أصحابك فتحدِّثهم بما رأيتَ ثم تعود إلى حالك فما انقضت كلمته حتّى مالَ ميتاً على حاله الأوّل، قال: فانتظرت حتّى أتيت بالكفن فأخذته ثم قمت، فقلت: لا كفنته ولا غسلته ولا صلّيت عليه ثم انصرفت فأخبرت بعد أنّ القوم الذين كانوا معه كانوا على رأيه وتولّوا غسله ودفنه والصلاة عليه وقالوا: ما الذي أنكرتم من صاحبنا؟ إنّما كانت خَطْفَة من الشيطان تكلَّم على لسانه. قال خلف: قلت: يا أبا الخصيب هذا الذي حدَّثتني شهدته؟ قال: بصر عيني وسمع أذني، قال: فأنا أؤدِّيه إلى الناس[1].

عن العلاء بن موسى قال: حدَّثني أبي قال: خرج رجل من مُسَالِمَة مصرَ إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب، فلما أمسى عليه الليلُ وهو في مسجد النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: رحِمَ الله من يضيِّفني الليلةَ فأخَذ عمر بيده فانصرف به فأدخَله منزله، فأوقَد عليه سِراجًا وقدَّم إليه أقراصًا من شعير ومِلْحًا

---

[1] ابن الجوزي في "عيون الحكايات"، صـ١٥٢، وابن عساكر في "تأريخه"، ٣٨٩/٤٤، وجلال الدين السيوطي في "شرح الصدور"، صـ٧٢، وابن أبي الدنيا في كتابه "من عاش بعد الموت"، ٢٧٧/٧، (١٩).

جَريشًا ثم قال له: من أين أنتَ؟ قال: من أهل مصرَ قال: من أيِّ القبائل؟ قال: من مسالمتها قال: فأطفَأَ عمرُ السراج ورفَع الطعام، ثم أخذ بيده فأخرَجه ثم قال: نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: عن مجالَستكم وإنّه سيكون منكم قوم في آخر الزَّمان يتَرأسون حلَق العلم، فإذا تكلّم الشريفُ وثَبتم في حلقه ثم قلتم: لا، ثم لا[1]. فنسأل الله عزّ وجلّ أن يرزُقنا حبَّه وحبَّ نبيّه وحبَّ آله وأصحابه وأن يجمعنا بهم في جنَّات النعيم وأن يحفَظنا من سوء الأدب مع الصحابة الكرام.

أيها المسلمون: وينبغي لكلّ مسلم أن يحبّ أصحاب النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم ويرتبط بالبيئة المتديّنة لجمعية الدعوة الإسلامية ويسافر في سبيل الله مع قوافل الدعاة إلى الله ويحاسب نفسه من خلال كتيب الجوائز المدنية المحتوية على الأعمال الصالحة ويشاهد الْبَرامِج الإسلامية، خاصَّة بَرامِج الفتاوى والمحاضَرات التي تنشر في "القناة المدنية".

وفي الأخير نريد أن نذكُر من آداب الشرب وسننه؛ ليحرِص المسلمُ على أدائها اقتداءً بسنّة النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم وينال الأجر العظيم قد قال رسول الله صلّى الله تعالى

---

[1] "كنز العمال"، الجزء العاشر، ١١٧/٥، (٢٩٣٨٤)، و"جمع الجوامع"، ٣٥١/١٢، (٤٧١٥)، و"جامع الأحاديث"، ٤٥/١٥، (٤٧١٥).

عليه وسلّم: «من أحبَّ سنَّتي فقد أحبَّني ومن أحبَّني كان معي في الجنّة»[1].

وهناك آداب يَجْدُر بكلّ مسلم أن يتحلَّى بها في شرابه، وهي: [١]: إذا أراد أن يشرَب ماءً أو غيره ممَّا أحلَّ الله من المشروبات فعليه أن يشرب على ثلاث مرّات وأن يسمِّي الله إذا شرِب ويحمَد الله إذا انتهى كما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «لا تشرَبوا واحداً كشُرْب البعير ولكن اشرَبُوا مَثْنَى وثُلاثَ وسَمُّوا إذا أنتم شربتم واحمَدوا إذا أنتم رفَعتم»[2].

[٢]: يكره النَّفْخ في الشَّراب والتنفُّس فيه، قد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «أنّ النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم نهى أن يُتنفَّس في الإناء أو يُنْفَخ فيه»[3]. قال الشيخ أحمد يارخان النعيمي رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث: ورد النهي عن التنفّس في الشراب وذلك لأنّ الإنسان إذا تنفَّس

---

[1] ذكره الخطيب التبريزي في "مشكاة المصابيح"، ٩٧/١، (٣٧)، والطبراني في "المعجم الكبير"، ١٣٣/١١، (١١٣٧٨).

[2] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الأشربة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، باب ما جاء في تنفس في الإناء، ٣٥٢/٣، (١٨٩٢).

[3] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الأشربة، باب ما جاء في كراهية النفخ في الشراب، ٣٥٣/٣، (١٨٩٥)، وأبو دواد في "سننه"، ٤٧٤/٣، (٣٧٢٨).

ربَّما يحصُل من الهواء الذي يخرج منه أشياء مؤذية أو ضارّة كمرض ونحوه فينبغي له أن يرفع الإناء عن فمه ثم يتنفَّس ثم يعود فيشرب ولا يَنْفُخ في الإناء ولا فرق بين كون النفخ فيه لحاجة أو لا، بل إن حارّاً صبر حتّى يبرُد[1].

[٣]: لا يخرج الْجُشَاء عند شربه في الكُوْز فقد ورد النهي عن ذلك؛ لأنّه يغيِّر الماء ويقذِّره فتعافه النفوس.

[٤]: ويأخذ الكوز بيمينه ويشرَبه مَصًّا لا عبًّا كما روي عن ابن أبى حسين رضي الله تعالى عنه أنّ النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم قال: «إذا شَرِبَ أحدكم فَلْيَمُصَّ مصًّا ولا يَعُبَّ عَبًّا فإنّ الكُبَاد من الْعَبِّ»[2].

[٥]: ولا يشرَب قائمًا ولا مُضْطجعًا كما روي عن سيدنا أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم: أنّه نهى أن يشرَب الرجلُ قائمًا»[3].

[٦]: ولا يشرب من فم القِرْبَة والسِّقَاء وثُلْمَة الْقَدَح.

[٧]: ويراعي أسفلَ الكُوْز حتّى لا يقطُر الماء عليه.

[٨]: وينظر في الإناء قبل الشرب؛ لئلاّ يكون به شيء ممَّا

---

[1] ذكره الشيخ أحمد يار خان في "مرآة المناجيح شرح مشكاة المصابيح"، ٨٦/٦.

[2] ذكره البيهقي في "السنن الكبرى" ، ٤٦٤/٧، (١٤٦٥٩).

[3] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الأشربة، صـ١١١٩، (٢٠٢٤).

يُؤذي من قَذًى وغيره.

[٩]: والكُوز وكلُّ ما يدار على القوم يدار يَمْنَةً[١]؛ لأنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «الأيمن فالأيمن»[٢].

[١٠]: قال سيدنا الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى: يقول في آخرِ النَّفَس الأوّل: الحمد لله، وفي الثاني يَزِيد: ربِّ العالمين، وفي الثالث يزيد: الرحمن الرحيم[٣].

[١١]: من تولَّى سقَاية قومٍ فإنّه يقدِّمهم على نفسه ويكون هو آخرِهم شربًا اقتداءً برسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم[٤].

نسأل الله تعالى الثَّبَات على هذا الدِّين، وأن يجعَلنا وإيَّاكم من المخلصين، المتبعين للسنّة، إنّه جواد كريم، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

---

[١] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب آداب الأكل، ٢/٧.

[٢] أخرجه البخاري في "صحيحه"، ٣/٥٩٠، (٥٦١٩).

[٣] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب آداب الأكل، ٢/٨.

[٤] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة، صـ٣٤٤، (٦٨١).

إرشادُ العالمين
إلى منزلةِ ذي النُّورين أميرِ المؤمنين رضي الله عنه

لفضيلةِ الشيخِ الداعيةِ الكبيرِ أبي بلال محمد إلياس العطار
القادري الرضوي حفظه الله تعالى

تعريب
مجلس التراجم


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، **أمّا بعد:**

فقد روي عن سيدنا أنسِ بن مالك رضي الله تعالى عنه أنّ النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «يا أيّها الناسُ إنّ أَنْجاكُم يوم القيامة من أهوالها ومَواطنها أكثرُكم عليّ صلاةً في دار الدنيا»[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

عن سيدنا أبي قِلابة رضي الله تعالى عنه قال: كنتُ في رُفْقَة بالشام إذ سمعتُ صوتَ رجلٍ يقول: يا ويلاه النار! قال: فقُمتُ إليه وإذا رجلٌ مقطوعُ الْيَدينِ والرِّجْلَين من الْحَقْوَين أَعْمَى العَينين مُنْكَبّاً لوجهه فسألتُه عن حاله فقال: إنّي قد كنتُ ممن دخَل على عثمانَ الدار فلمَّا دَنَوْتُ منه صَرَخَتْ زوجتُه فلَطمتُها فقالت: مالَكَ قَطَعَ اللهُ يديكَ ورِجْلَيْك وأَعْمَى عينَيْك وأدْخَلك النارَ، فأخذَتْني رِعْدَةٌ عظيمةٌ وخرَجْتُ هارِبًا فأَصابَني ما تَرَى ولم يَبْقَ من دعائها إلاّ النار[2].

---

[1] "فردوس الأخبار"، ٢/٤٧١، (٨٢١٠)، و"شرف أصحاب الحديث"، ١/١٣٣.

[2] ذكره أبو جعفر محب الطبري (ت ٦٩٤هـ) في "الرياض النضرة"، ٢/٤١.

حديثنا أيّها الإخوة المسلمون عن صحابي جليل القدر والمكانة: إنّه عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أُمَيَّة أبو عمرو وأبو عبد الله القُرَشي أمير المؤمنين وثالث الخلفاء الراشدين، أحد العشَرة المبشَّرين بالجنّة، ومن السابقين إلى الإسلام وقد لُقِّب بذي النورين؛ لأنّه تزوَّج اثنتَيْن من بَنَات رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم رُقَيَّة ثم بعد وفاتها أمّ كلثوم، وإنّه صاحب الهجرتين؛ لأنّه كان أوّل مهاجر إلى أرض الْحَبَشة لحفظ الإسلام ثم هاجَر الهجرة الثانية إلى المدينة المنورّة.

أيها المسلمون: لماذا نتكلّم عن سيرة هؤلاء العظماء وأخبار هؤلاء المصلحين؟ لأنّنا بحاجة ماسّة لسيرة مثل هؤلاء الأفذاذ وأخبار هؤلاء العظماء في زمان لمع فيه من لا خلاق له نحن أيّها الإخوة بحاجة ماسّة؛ لأَنْ نربِّي أنفسَنا وجيلَنا على الشريعة الإسلامية، فالمحبوب عندنا من أحبَّه الله ورسولُه، والبغيض من أبغضَه الله ورسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم.

أيها المسلمون: كان سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ذا صفات كريمة وأخلاق فاضلة، فإنّه عثمان الخير إنّه عثمان الحياء، إنّه عثمان البذل والتضحية بالنفس والنفيس وقد كان يبذل البذل العظيم لنصرة هذا الدين، فعن سيدنا عبد

الرحمن بن خَبَّاب رضي الله تعالى عنه قال: شهِدْتُ النبيَّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وهو يحُثّ على جَيْش العُسْرَة فقام عثمانُ بنُ عفّان فقال: يا رسول الله عليّ مِئَةُ بَعيرٍ بأَحلاسِها وأقْتابِها في سبيل الله، ثم حَضَّ على الْجَيْش فقام عثمان بن عفّان فقال: يا رسول الله عليّ مِئَتَا بعيرٍ بأَحلاسِها وأقتابِها في سبيل الله، ثم حَضَّ على الجيش فقام عثمان بن عفّان فقال: يا رسول الله عليّ ثلاثُ مئة بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأَيْتُ رسولَ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ينزِلُ عن المنبر وهو يقول: «ما على عثمان ما عَمِلَ بعد هذه. ما على عثمان ما عَمِل بعد هذه»[1]. فجَهَّز عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه جَيْشَ الْعُسْرَة بتسعِ مئةٍ وخمسين بعيراً وخمسين فَرَساً وجاء إلى النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم بألف دينار[2]. ومن مآثره رضي الله تعالى عنه أنّه اشترى بئر رُوْمة وجعَلَها للمسلمين حيث قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «مَنْ يشتريها من خالصِ ماله فيكون دَلْوُهُ فيها كَدُلِيِّ المسلمين وله خَيْرٌ منها في

---

[1] أخرجه الترمذي (ت ٢٧٩هـ) في "سننه"، كتاب المناقب، مناقب عثمان بن عفان، ٣٩١/٥، (٣٧٢٠)، وابن منظور في "مختصر تاريخ دمشق"، ١٧٤/٥.

[2] ذكره الكرماني (ت٧٨٦هـ) في "شرح البخاري"، باب مناقب عثمان بن عفان، الجزء الرابع عشر، ٢٢٩/٧.

الجنّة؟». قال سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه: فاشتريتُها من خَالصِ مالي[1].

وهذه نفقة عظيمة جدًّا تدلّ على صدقه وقوّة إيمانه وكرمه ورغبته فيما عند الله وإيثار الآخرة على الدنيا، فعلى المسلم أن يستفيد من حياته وأن يكون مثلاً رائعاً لصدق العهد والكرم والإنفاق في سبيل الله لا ممّن ينوي التبَرُّع في سبيل الله ثم يتركه أو يمنع الناسَ من جمع التبرّعات وينفر من حامل صندوق جمع التبَرّعات.

فمن كان هذا حاله كان منّاعاً للخير، قال الإمام أحمد رضا خان رحمه الله تعالى: إنّ جَمْع التبرُّعات من المسلمين للأعمال الصالحة ليس ببدعة بل إنّه ثبت من السنّة، ومن يَمْنَع من جَمْع التبَرُّعات فإنّه يدخل في هذه الآية: ﴿**مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ**﴾ [القلم: ١٢/٦٨] [2]. ومن المعلوم أنّ من أعان على عمل صالح أو كان سبباً فيه أو دلّ عليه يَنَال مثل أَجْر فاعله، لما روي عن الْمُنْذِر بن جرير عن أبيه قال: كنّا عندَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم في صَدْرِ النَّهَار قال: فجاءه قوم

---

[1] أخرجه أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) في "مسنده"، مسند عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، ١٦٢/١، (٥٥٥).

[2] "الفتاوى الرضوية" للإمام أحمد رضا خان (ت١٣٤٠هـ)، ١٢٧/٢٣.

حُفَاةٌ عُراةٌ مُجْتابي النِّمَار أو الْعَبَاء متقلِّدي السُّيُوف عَامَّتُهم من مُضَرَ بل كلّهم من مُضَرَ، فتمَعَّر وجهُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم لما رأى بهم من الفاقَة فدخَل ثم خرَج فأمَر بلالاً فأذَّن وأقامَ فصلّى ثم خطَب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾. إلى آخرِ الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١/٤]. والآيةَ التي في الْحَشْر: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨/٥٩]. «تصدَّق رجل من دينارِه من درهمه من ثوبه من صاعِ بُرِّه من صاعِ تَمْره» حتّى قال: «ولو بشِقِّ تَمْرة». قال: فجاء رجلٌ من الأنصار بصُرَّة كادت كَفُّه تَعْجز عنها بل قد عجَزَتْ.

قال: ثم تتابَع الناسُ حتّى رأيتُ كَوْمَيْن من طعام وثياب حتّى رأيتُ وجهَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يتَهَلَّل كأنّه مُذْهَبَةٌ فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنَةً فلَهُ أجْرُها وأجْرُ من عمِلَ بها بعدَهُ من غيرِ أنْ يَنْقُصَ من أُجُوْرِهم شيء» [1]. ومن صفات سيدنا عثمان

---

[1] أخرجه مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) في "صحيحه"، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، صـ٥٠٨، (١٠١٧)، وأحمد بن حنبل في "مسنده"، حديث جرير بن عبد الله، ٥٩/٧، (١٩١٩٥).

بن عفان رضي الله تعالى عنه أنّه كان ذا بصيرة وحسن إدراك ومعرفة بالحقّ، ورأى حالَ رجلٍ كان نظر إلى امرأة أجنبية، روي أنّ رجلاً دخل على عثمان وقد نظر امرأة أجنبية فلما نظر إليه قال: هاء، أيدخُلُ عليّ أحدُكم وفي عينَيْه أثَرُ الزنا؟ فقال له الرجل: أَوَحْي بعد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم؟ قال: لا، ولكن قول حقّ وفِرَاسة صدق[1].

أيها المسلمون: وفي زماننا ظهرت النساءُ بلباس فاتن ويرتدين الثِّيَاب القصيرة والضيِّقة والشفافة ولا يتورّع رجال عن النظر إلى النساء ولو كنّ متحجبات فينظُرون من المرأة هيكَلها وقِوامَها وتقاطيع بدَنها وينظرون إلى حرَكاتها وينظرون إلى مَلابسها مع العلم أنّ النظَر إلى المرأة الأجنبية بالشهوة حرامٌ وقد أمر الله تعالى بغضِّ البصَر عن المحرَّمات فقال: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [النور: ٢٤/٣٠]. وقد روي: «من نظر إلى مَحاسن امرأة أجنبية عن شهوة صُبَّ في عينيه الآنكُ يوم القيامة»[2]. وروي عن سيدنا أبي هريرة رضي الله

---

[1] ذكره محب الطبري في "الرياض النضرة في مناقب العشرة"، ٢/٤٠.

[2] ذكره المرغيناني (ت ٥٩٣هـ) في "الهداية شرح بداية المبتدي"، كتاب الكراهية، فصل في الوطء والنظر واللمس، الجزء الرابع، ٢/٣٦٨.

تعالى عنه عن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «كُتبَ على ابنِ آدَمَ نصيبُهُ من الزِّنَى مُدْرِكٌ ذلك لا مَحالةَ فالعَيْنان زناهما النظَرُ والأُذُنان زناهما الاستماعُ واللسانُ زناهُ الكلامُ واليدُ زِنَاها الْبَطْشُ والرِّجْلُ زناها الْخُطَا والقلبُ يَهْوَى ويتمنَّى ويُصَدِّقُ ذلك الْفَرْجُ ويكَذِّبه»[1]. ونقل حجّة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى: «من ملأ عينَه من الحرام ملأ الله يوم القيامة عينَه من النار»[2]. فيجب على المسلم أن لا ينظر إلى ما لا يحلّ له.

ومن كرامات سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه أنّه أخبر بمدفنه فقد روي عن سيدنا مالك رضي الله تعالى عنه أنّه قال: كان الناس يتوقون أن يَدْفنوا موتاهم في حشّ كوكب فكان سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه يقول: يُوشِك أن يهلك رجل صالح فيُدفَن هناك فيأتَسى الناس به. قال مالك بن أبي عامر رضي الله تعالى عنه: فكان عثمان بن عفان أوّل من دفن هناك[3]. وكان سيّد الأنام مصباح الظلام حبيب الملك العلام عليه أفضل الصلاة والتسليم يحبّ سيدنا عثمانَ

---

[1] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا، صـ١٤٢٨، (٢٦٥٧).

[2] ذكره الغزالي في "مكاشفة القلوب"، في بيان الخوف، صـ١٠.

[3] ذكره ابن سعد في "الطبقات الكبرى"، عثمان بن عفان، ٥٦/٣، والهندي في "كنزالأعمال"، الجزء الثالث عشر، ١٦/٧، (٣٦١٦٧).

بنَ عفَّان رضي الله عنه حبًّا شديدًا ويدُلّ على ذلك ما روي عن عبد الله بن سلامٍ رضي الله تعالى عنه قال: أَتيتُ أخي عثمانَ لأسلم عليه وهو محصورٌ، فدخلتُ عليه فقال: مرحبا يا أخي، رأيتُ رسول الله الليلةَ في هذه الْخَوْخَة قال: وخوخةٌ في الْبَيت فقال: يا عثمانُ حَصَرُوْك؟ قلتُ: نعم، قال: عطشُوكَ؟ قلتُ: نعم، فأدْلَى دَلْوًا فيه ماءٌ فشربتُ حتّى رَوِيْتُ حتّى إنّي لأَجد بَردَهُ بين ثَدْيي وبين كتفي. وقال لي: إن شئْتَ نصرت عليهم وإن شئتَ أَفطَرْتَ عندنا، فاختَرْتُ أن أُفطِرَ عندهم، فقُتِل ذاكَ اليومَ رحمه الله تعالى[1].

ومن صفات سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه أنّه كان ليّناً رحيماً عطوفاً كريماً صابراً على شهادته في سبيل الله تعالى فلما اجتمع نفر من أهل مصر والكوفة والبصرة وساروا إليه أغلق بابه دونهم فحاصروه ولم يقاتل حتّى إنّ أصحابه طلبوا منه الخروج للقتال فكره. وقال يوم قتل: لأن أقتل قبل الدماء، أحبّ إليّ من أن أقتل بعد الدماء[2]. وروي عن سيدنا عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال: سمعت صوتاً يوم قتل

---

[1] ذكره ابن أبي الدنيا في "كتاب المنامات"، ٣/٧٤، (١٠٩).

[2] ذكره أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (ت٥١٨هـ) في "مجمع الأمثال"، الباب الثلاثون، كلام ذي النورين عثمان بن عفان، ٢/٤٥٣.

عثمان يقول: أبشِرْ يا ابنَ عفان برَوْحٍ ورَيحان. أبشِرْ يا ابنَ عفّان بربٍّ غيرِ غضبان. أبشر يا ابن عفّان برضوان وغُفران. قال: فالتفتّ فلم أرَ أحداً[1]. وروي عن سهم بن حبيش قال: فلما أمسينا قلت: لئن تركتم صاحبكم حتّى يصبح مثلوا به، فانطلقوا به إلى بقيع الغرقد فأمكنا له من جوف الليل ثم حملناه وغشينا سواد من خلفنا فهبناهم حتّى كدنا أن نتفرّق عنه فنادى مناد: لا روع عليكم اثبتوا، فإنّا قد جئنا لنشهده معكم، وكان ابن حبيش يقول: هم والله الملائكة[2].

أيها المسلمون: وقد حزِن الناس عليه حُزْناً شديداً يوم شهادته وبكى كبار الصحابة خاصّة سيّدنا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وتأسَّفوا عليه أسَفاً بالغاً، ولماذا لا يبكون ويتأسَّفون ويَحْزَنون وهم يفتقدون رجلاً صالحاً وإماماً عادلاً حكم بهم بشريعة الله ولم يداهن أعداء الله ولم يحارب في دين الله؟! كان من الأشدّاء على الكفّار الرحماء بالمؤمنين وقال الله تعالى يصف الصحابةَ بشدّة الرحمة ولين الجانب لبعضهم بعضاً وشدّتهم على الكفّار: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى**

---

[1] ذكره ابن عساكر في "تاريخ مدينة دمشق"، ٤٤٢/٣٩.

[2] رواه الطبراني في "المعجم الكبير"، نسبة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، ٧٩/١، (١١٠).

ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾ [الفتح: ٢٩/٤٨].

أيها المسلمون: لَمّا بلغَ سيّدَنا عليّاً رضي الله تعالى عنه أنّهم يريدون قتل عثمان رضي الله تعالى عنه قال للحسن والحسين: اذهبا بسيفيكما حتّى تقوما على باب عثمان، فلا تدعا أحداً يصل إليه؛ وبعث الزبير ابنه وبعث طلحة ابنه، وبعث عدّة من أصحاب النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان.

فلما رأى الناس ذلك رموا باب عثمان بالسهام حتّى خضب الحسن بالدماء على بابه وأصاب مروان سهم وهو في الدار، وخضب محمد بن طلحة، وشُجّ قُنبر مولى علي، ثم إنّ بعض من حصر عثمان خشي أن يغضب بنو هاشم لأجل الحسن والحسين فتنتشر الفتنة فأخذ بيد الرجلين فقال لهما: إن جاءت بنو هاشم فرأوا الدم على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما تريدون، ولكن اذهبوا بنا نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد فتسوروا من دار رجل من الأنصار حتّى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممن كان معه، لأنّ كلّ

من كان معه كان فوق البيت ولم يكن معه إلاّ امرأته فقتلوه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها من الْجَلَبَة، فصعدت إلى الناس فقالت: إنّ أمير المؤمنين قتل، فدخل عليه الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مذبوحاً فانكَبُّوا عليه يبكون[1].

أيها المسلمون: فينبغي أن نحبّ أصحاب النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم وندعو بالخير لجميعهم ولا نتعصّب لأحد منهم، فإنّ من سبّ أصحابَ النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم خسر الدنيا والآخرة وقد حكي أنّ قافلة الحجاج دخلت المدينة المنوّرة ثم خرجت إلى ضريح أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان معهم رجلٌ يكره سيدَنا عثمانَ بن عفان رضي الله تعالى عنه ويسبّه فلم يخرج معهم بقصد الإهانة لسيّدنا عثمان رضي الله تعالى عنه، ثم رجَع أهل القافلة إلى بلادهم وكانوا على ذلك إلى أن ظهر وحشٌ ضار فانتزَعه فمزَّقه أشلاء، فلمّا رأى ذلك أهلُ القافلة قالوا: هذا عقاب إخلاله بالتعظيم لسيّدنا عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه[2].

---

[1] ذكره ابن عساكر في "تاريخ مدينة دمشق"، ٤١٨/٣٩، والطبري في "الرياض النضرة في مناقب العشرة"، ٦٥/٢.

[2] ذكره عبد الرحمن الجامي في "شواهد النبوة"، صـ٢١٠.

ومن كرامات سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه أنّ جَهْجَاه الغِفَاري أخذ عصا عثمان التي يتخصر بها فكسرها على ركبته، فوقعت في ركبته الآكلة؛ الآكلة مثل الدود، أكلت ركبته محلّ الموضع الذي كسر عصا عثمان عليه لما روي عن سيدنا ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنّ جَهْجَاه الغِفَاري قام إلى عثمان وهو على المنبر يخطب فأخذ العصا من يده وضرب بها ركبته وشق ركبة سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه وانكسرت العصا فما حال الحول على جهجاه، حتّى أرسل الله في يده الآكلة فمات منها[1]. وحكي أنّ ثلاثة رجال خرجوا من ديارهم إلى اليمن، أحدُهم كوفي يسبّ الشيخين أبا بكر الصديق وعمر الفاروق الأعظم رضي الله تعالى عنهما، فلمّا أظلم عليهم الليل نزلوا على قريب من اليمن وناموا، فلمّا حان وقت الرحلة استيقظ الكوفي من النوم فقال: تخلَّفتُ وانفردتُ وحدي، فإنّي رأيتُ في المنام سيّد الأنام حبيب الملك العلام عليه أفضل الصلاة والسلام يقول: «إنّ الله عزّ وجلّ يخذل الفاسقين، ويتطوّر شكلُك في هذا السفر». فلمّا جلس للوضوء أخَذ يتطوَّر شكلُه حتّى أصبح قرداً[2].

---

[1] "دلائل النبوة"، ٢/١٤٥، (٥١٣)، و"تاريخ الخلفاء"، صـ١٣٠.

[2] ذكره عبد الرحمن الجامي في "شواهد النبوة "، صـ٢٠٣.

فنسأل الله عزّ وجلّ أن يؤدّبنا بأحسن الآداب وأن يرزقنا حبّ الآل والأصحاب وحبّ خير الأنام سيّدنا محمد صلّى الله تعالى عليه وسلّم. وفي نهاية المطاف أوصي إخوتي الكرام بأن يرتبطوا بالبيئة المتدينة من جمعية الدعوة الإسلامية وأن يلتزموا بمحاسبة النفس من خلال كتيب الجوائز المدنية والسفر في سبيل الله مع قوافل الإخوة الدعاة إلى الله تعالى؛ لأنّ هذا الطريق من أقوى الوسائل لحلّ المشكلات وتسهيل المصائب وتخفيف الشدائد وقد أخبرني أحد الإخوة المسلمين: خرجتْ قافلةُ الدعاة في سبيل الله وكان فيها رجلٌ أصيب منذ سنوات بقرحة في رأسه، نتج عنها صداع نصفي لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً، ولا يفتأ يأخذ الأدوية المسكنة للألم ولكنّه كان واثقاً برحمة الله تعالى ومطمئنّاً إلى أنّه سيهيئ له أسباب الشفاء، وفي يوم من الأيام رأى في المنام رسولَ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يجلس مع الخلفاء الراشدين ويقول لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: «عالِجْ قرحةً في رأسه وسكِّن وَجعه». فأخرَج أبو بكر الصديق رضي الله عنه أربعَ قُروح من رأسه وأكَّد أنّه لا يعود الصداع النصفي إليه مرّةً أخرى، وبعد الاستيقاظ من النوم أحسَّ الرجل بأنّ رأسَه شفي تماماً، وأنّ أعراض القرحة توارت ولم يعد لها أثر. أيها المسلمون: فلتتأمّلوا كيف يتمّ استئصال

قرحة بدون جراحة؟! أم كيف يعود رأسٌ إلى حالته الصحيحة بدون علاج؟! أليس هذا من الكرامات لأمّة حبيبنا محمد صلّى الله تعالى عليه وسلّم ببركة اتّباعه والدعوة لسنّته، فلمّا علم الطبيبُ المعالِجُ بما حدث، لم يملك إلاّ أن يعزم النيّة على السفر في سبيل الله وقال: إنّ هذا المريض الذي فشل الطبُّ في علاجه عالَجه سيدنا ونبينا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ببركة سفره في سبيل الله تعالى.

وفي نهاية موضوعنا نذكُر شيئاً من آداب المصافحة وسننها؛ ليحرِص المسلمُ على أدائها اقتداءً بسنّة النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم وابتغاء نيل الأجر العظيم من الله تعالى.

[١]: المصافحة بكلتا يدَيْه عند اللِّقاء والانصراف سنّة مرغوب فيها. [٢]: ومن فوائد المصافحة أنّها من أسباب مغفرة الذنوب وتتحاتّ الخطايا بكثرة المصافحة، وقد جاء في فضلها حديث عظيم جليل يقول فيه النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «ما من عبدَين متحابين في الله يستقبل أحدُهما صاحبه فيتصافَحان ويصلِّيان على النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم إلاّ لم يتفرّقا حتّى تغفرَ ذنوبهما ما تقدّم وما تأخّر»[١].

---

[١] أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"، فصل في المصافحة والمعانقة وغيرهما من وجوه الإكرام عند الالتقاء، ٦/٤٧١، (٨٩٤٤).

[٣]: والمصافحة تعبير عن الْمَحبّة والْمَوَدّة بين الْمُتصافحَيْن ومن أسباب إذهاب الغِلّ والحِقْد والعَداوَة والكراهية بين المسلمين وقال النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم: «تصافَحُوا يَذْهَبِ الغِلُّ وتَهَادَوا تحابُّوا وتذهَبِ الشَّحْناءُ»[١].

[٤]: يسنّ في المصافحة إلصاق صفحة الكفّ بالكف وإقبال الوجه بالوجه.

[٥]: وأخْذُ الأصابع ليس بمصافحة كاملة بل فعل الرَّوافِض[٢].

[٦]: والسنّة في المصافحة أن يضع يديه على يديه من غير حائل من ثوب أو غيره[٣].

[٧]: ويستحبّ مع المصافحة البشاشة بالوجه والدعاء بالمغفرة وغيرها.

وقد جاء في الحديث عن النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «إنّ المسلمَيْن إذا التقَيا فتَصافَحا وتساءلاَ أنزل

---

[١] أخرجه مالك في "الموطأ"، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في المهاجرة، ٤٠٧/٢، (١٧٣١).

[٢] ذكره الشامي في "رد المحتار"، ٦٢٩/٩.

[٣] "الفتاوى الهندية"، كتاب الكراهية، الباب الثامن والعشرون، ٣٦٩/٥.

الله بينهما مِئَةَ رحمة، تسعةً وتسعين لأَبَشِّهما وأطْلَقهما وأبرِّهما وأحْسَنهما مُسَاءلةً بأخيه»[1].

[٨]: ويكره أن يقبِّل الرجلُ يد نفسه عند اللِّقاء[2].

[٩]: ويتأكّد الاحتراز من مصافحة الأمرد الْحَسَن الصورة كلّما خشي أن يُثير الغَرائز والشَّهَوات.

نسأل الله عزّ وجلّ أن يوفِّقنا وسائر المسلمين إلى ما يحبّه ويرضاه وإلى الاعتصام بحبله وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

---

[1] أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط"، ٥/٣٨٠، (٧٦٧٢).

[2] ذكره الزيلعي (ت٧٤٣هـ) في "تبيين الحقائق"، كتاب الكراهية، ٧/٥٦.

الحالة الاجتماعية قبل البعثة المحمدية

لفضيلة الشيخ الداعية الكبير أبي بلال محمد إلياس العطار
القادري الرضوي حفظه الله تعالى

تعريب
مجلس التراجم


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، **أمّا بعد**:

فقد روي عن سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال: خرَج رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم فاتّبعتُه حتّى دخَل نخلاً فسجَد فأطال السُّجُود حتّى خِفْتُ أو خَشِيْتُ أن يكون الله تعالى قد توفَّاه أو قبَضه. قال: فجئتُ أنْظُر فرفَع رأسَه فقال: «ما لَك يا عبد الرحمن؟». قال: فذكرتُ ذلك له، فقال: «إنّ جبريل عليه السلام قال لي: ألاَ أُبشِّرُك إنّ الله عزّ وجلّ يقول لك: من صلّى عليكَ صلّيتُ عليه ومن سلّم عليك سلَّمْتُ عليه»[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

أيها المسلمون: إنّ هذا الدّين القويم نعمة عظيمة امْتَنَّ الله بها على عباده، وإنّ الناظر في حالة الناس قبل بعْثَة النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم والرّائي لجاهليَّتهم الْجُهَلاء وما

[1] أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، حديث عبد الرحمن بن عوف، ١/٤٠٦، (١٦٦٢)، وأبو يعلى الموصلي في "مسنده"، مسند عبد الرحمن بن عوف، ١/٣٥٨، (٨٦٦).

انْتشَر فيهم من الضَّلالات والظُّلُمات والشُّرُوْر والْجَهَالات، فقد كانوا يَعيشُوْن في دَيَاجير ظَلام الظلم والْجَهْل والعُدْوان وظُلُمات الطُّغْيان والاستبداد، وكانوا يَعْبُدون الأوثان والشمس والقَمَر والنُّجوم، ومنهم من كانوا يَعْبُدون الحيوانات والأشجارَ والنِّيْران، وكانوا يَنْحَرون ويَذْبَحون عند أصنامهم وأنصابهم، ويَتقَرّبون ويَحجّون ويعتمرون إليها، وكانوا يَئدون بَناتهم خَشْيَة العار والإنفاق، ويَقْتُلون أولادَهم خَشْية الفَقْر والإملاق، ويُعاقرون الْخَمْر، ويحتفون بها ويتبارون في مجالسهم الميسر، حتّى إنّهم يَعُدّون عَدَم الْمُشارَكة فيها عاراً، وانْحَدرت أوضاع الْمَرأة عندهم إلى قاع سحيق، وكأنّها ليست إلاّ وسيلة مُتْعة لرجال ليس عندهم إلاّ الظُّلم والقَسْوة والبَطَر، فلا نَسْتطيع أن نُعبِّر عن الاختلاط بين الرجل والْمَرأة إلاّ بالدَّعَارة والْمُجُون والسِّفَاح والفاحشة، وكان من المعروف في أهل الجاهلية أنّهم كانوا يتزوَّجون بزوجات آبائهم، ويَبْدو أنّ الأَغْلبية الساحقة من أهل الجاهلية لم تكن تحسّ بعار في الانتساب إلى هذه الفاحشة، وقصارى الكلام أنّ الحالة الاجتماعية كانت في الْحَضيض من الضُّعْف والعَماية، فالْجَهْل ضارب أطنابه، والْخُرافات لها جَوْلة وصَوْلة، والناس يعيشون كالأنعام، وكانت الإنسانية تتخبَّط في بيداء التِّيْه والضَّلاَل، إنّ الناظر في كلّ هذا

يَعْلَم مدى فضل الله على العباد وعلى البَشريَّة جمعاء إذ أكرَمَها بمَبْعث خير البَشريّة سيدنا محمد صلّى الله تعالى عليه وسلّم؛ ليسلك بها طريق النُّوْر والهداية ويروّضها وَسَاسَها ويعلّمها دين الإسلام فقد أشرق ببعثته تاريخها وانجلى ظلامها.

ووُلد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم مَخْتُوناً مَسروراً مَكحولاً، ونظيفاً ما به قذر، واقعاً على يديه، رافعاً رأسه إلى السماء، في الساعة الأخيرة من ليلة الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأوّل الْمُوافق لشهر إبريل، واحد وسبعين وخمس مئة ميلادية بعد حادثة الفيل بخمس وخمسين يوماً[1].

أيها المسلمون: بُعث سيّد الأنام مصباح الظَّلام حبيب الْمَلِك العلاّم عليه أفضل الصلاة والسلام في قومٍ جُفَاة، شديدة عداوتهم، قاسية طباعهم، متحجّرة عُقولهم، كالوُحوش المستنفرة، ومع ذلك كان الرسول الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم مُتخلّياً عن الرذائل والسيّئات، مُتحَلّياً بالفضائل والكمالات، مُتخلّقاً بالأخلاق الحميدة، مُتّصفاً بالصِّفَات العزيزة، حتّى اشتهر في الناس بالصدق والأمانة، وكان يُسمِّيه قومُه بالصادق الأمين.

---

[1] ذكره القسطلاني في "المواهب اللدنية"، ١/٦٩-٧٦، والحلبي (ت ١٠٤٤هـ) في "السيرة الحلبية"، ١/٧٨-٨٨، والصالحي في "سبل الهدى والرشاد"، ١/٣٣٦.

وكان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يتعَبّد قبل البعثة في غار حراء، في أعلى جَبَل النور الذي يَقَع شرق شمال مكّة الْمُكرَّمة على يمين الداخل إليها، فقد كان النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم يَخْلو فيه بنفسه، ويتفكّر في بديع مَلَكوت السموات والأرض، وينظر في آياته الكونية الدالّة على بديع صنعه وعظيم قدرته، ومُحْكَم تدبيره، وعظيم إبداعه.

ولَمّا بَلَغ النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم الأربعين من عُمْره ابْتعَثه الله تعالى برسالته إلى كافّة الناس بشيراً ونذيراً، فقام صلّى الله تعالى عليه وسلّم بأمر ربّه، وهذا لا يُخالف ما روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوّة؟ قال: «وآدم بين الرُّوح والْجَسَد»[1]. فالنبوّة ثابتة لسيدنا محمد صلّى الله تعالى عليه وسلّم في علم الله منذ الأزَل، وأنّه خاتَم الأنبياء، وأمّا ما كلّف به صلّى الله عليه وسلّم عند سنّ الأربعين فهو إظهار لما كان منذ الأزل في علم الله تعالى. وفي نَهَار يوم الاثنين من شهر رمضان المبارك نَزَل الوحي لأوّل مَرّة على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وهو في غار حِراء، حيث جاء جبريل عليه السلام فقال للنبي

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب المناقب عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، باب ما جاء في فضل النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم، ٥/٣٥١، (٣٦٢٩).

الكريم صلّى الله عليه وسلّم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ٩٦/١-٥].

ثم أنزل الله تعالى على رسوله بعد أن فتر الوَحْي مُدّة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [المُدَّثِّر: ٧٤/١-٥]. فقام النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم مُمتثلاً لأمر ربّه، مُتوكّلاً عليه، واثقاً به، فبَشّر وأنْذر، وبدأ دَعْوته سِرّاً إلى عبادة الله تعالى، وكان يَلتقي بالأولياء والأصدقاء الْمُقرّبين، وكان أوّلُ من آمن به من النِّساء زوجته خديجة الكبرى رضي الله تعالى عنها، ومن الصِّبْيان عليّ بن أبي طالب، ومن الْمَوَالي زيد بن حارِثة، ومن الرِّجَال أبو بكر الصِّدّيق الذي أسلم على يديه خَمْسة من الْمُبشَّرين بالجنّة وهم: عثمان بن عفان، والزبير بن العوّام، وعبد الرحمن بن عَوْف، وسعد بن أبي وَقّاص وطلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنهم[1]. اعلموا إخواني المسلمين: أنّ سيِّدنا أبا بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه لَمّا دعاه النبي الكريم صلّى الله عليه

[1] ذكره القسطلاني في "المواهب اللدنية"، ١١٥/١، ونور الدين الحلبي في "السيرة الحلبية"، ٣٩٣/١-٣٩٥، وابن هشام (ت ٢١٣هـ) في "السيرة النبوية"، صـ١٠٠.

وسلّم بادَر إلى التصديق به وصار من دُعاة الإسلام ونشط في دعوته إلى الله تعالى، وهكذا ينبغي على الْمُسلم أن يَدْعو الناس إلى الله تعالى، ويُخرِجهم من الظُّلُمات إلى النور ومن ظلمات الشِّرْك والكُفْر إلى نور الإسلام ومن ظُلمات البِدَع إلى نور السنّة، ومن ظُلمات الْمَعَاصي إلى نور الطاعة والهداية ومن ظُلمات الْجَهْل إلى نور العلم، ويستمرّ في دعوته ويمضي إلى غايته؛ لأنّ الدعوة إلى الله تعالى كانت حافزاً قويّاً على النَّشَاط في إذاعتها والْمُضيّ في سبيل انتشارها، وقد أخبرني رجل من مدينة كراتشي قال: شاركتُ مع أصدقائي في الاجتماع العالمي الذي عقدته جَمْعيّة الدعوة الإسلامية، ولكن وللأسَف الشديد أعْرَضْنا عن سماع الْمُحاضَرات الإسلامية واشْتغَلنا بلَغْو الكلام وشُرْب السجائر، فمرّ بنا شيخ كبير فسلَّم علينا، وقال: ألاَ أُخْبرُكم بقصّة عجيبة، فيها دُروس وعِبَر، فقلنا له: ما هي؟ قال: كنت أشْرَب الدُّخَان بمجالسة السُّوْء تعاطيت المسكرات وبقيتُ ستّ عشر سنةً، أبْذُل فيها كلّ ما أقْدرُ عليه، فلمّا رأى أَهْلي ما يحلّ بي وما أقاسيه من الذلّة والْمَشقّة عَذَلوني بسبب العادات الشَّنيعة ثم أخْرَجوني من البيت وطَرَدوني، فسألتُ الناس وأكَلْتُ وَرَق الْخَسّ والبَقْل وغير ذلك حتّى إنّي قد أفنيتُ عُمْري وشَبابي في الذنوب والمعاصي ولم أُبال بالْمُحرّمات، فصِرْتُ

كالمجنون الْمَخْبول، وفي ليلة السابع والعشرين من شَهْر رمضان المبارك كنتُ مُستَلقياً في الطريق، فجاءني رجلان وهما يَلْبَسان العمامة فسَلَّما عليّ، وسألاني عن اسمي بالتعظيم والتكريم، ثم قالا: ليلة القدر ليلةٌ مباركة عظيمةُ القدر عند الله تعالى، وفيها فضائل عظيمة وبَرَكات كثيرة ونصَحاني نصائح جليلة تأثَّرتُ بها فقررت الصلاة في المسجد فاغتسلتُ ولَبِسْتُ ثوباً نظيفاً، فلما دَخَلتُ المسجد بعد ستّ عشر سنة جَرَت الدُّمُوْعُ من عيني على وجهي وأخَذَتني نَفْحَة من نور الإيمان فتبت توبةً صادقةً من سائر الذنوب، وارْتَبطت بالبيئة الْمُتدَيّنة من جمعية الدعوة الإسلامية وأخذتُ الطريقة القادرية الرضوية وأخَذني أهلي معهم إلى البيت، وقد قاسَيْتُ الشدائد والأهوال في سبيل العلاج مما كنت أتعاطاه من شرب الْمُسكرات فلم أطق النوم ولا القَرَار من شدّة الأَلَم وجَعَلْت أستغيث من شدّة الوَجع، فلمّا رأى أهلي ما يحلّ بي من البُكاء والحزن يَبْكون عليّ ويرثون على حالي، فحضَّني بعضهم على شُرْب الدُّخَان عسى أَجد في ذلك بعض راحة ممّا هو عليّ من شدّة الأَلَم فرَفَضْت ذلك وتَحَمّلتُ الْمَشقَّة إلى أن سَكَن الألَم وشفيت من مَرَضي بإذن الله تعالى وصِرْتُ داعياً إلى الله تعالى بالحكمة والْمَوْعظة الْحَسَنة وساعياً في صلاح من حولي من المسلمين. قال

الرجل: فلما قصّ علينا هذه القصّة جعَلْنا نَبْكي على الذنوب حتّى سالت الدُّموع على خُدودنا، وتُبْنا إلى الله تعالى توبةً صادقةً، وارْتَبَطنا بالبيئة الْمُتديّنة من جمعية الدعوة الإسلامية.

أيها المسلمون: بدأت دعوة النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم للإسلام دعوة سرّية لا تعتمد على قوّة ولا سلاح حيث كان يدعو من حوله برفق ورحمة واستمرّ على هذا مُدّة ثلاث سَنَوات ثم أمره ربُّه بأن يَصْدَع بأمره فقال: ﴿**فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ**﴾ [الحجر: ١٥/٩٤]. فصَدَع النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم بأمر الله تعالى وجَهَر بدَعْوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فما كان من المشركين إلاّ أن جعلوا يَسْخَرون منه ويَسْتهزئون به ويؤذونه بالقول وبالفعل، فتارةً يتّهمونه بالْجُنون، وتارةً بالسِّحْر، وتارةً بالكَهانة، ثم نَشطت عداوتهم للنبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم بعد أن كانت في أوّل الأمر محدودة لحماية عمّه أبى طالب له، ومشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب، إنّ ابن أخيك قد سَبّ آلهتَنا وعابَ دينَنا وسَفَّه أحلامَنا، وضَلَّل آباءنا، فإمّا أن تكُفَّه عنّا وإمّا أن تُخَلّي بيننا وبينه، فإنّك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فقال لهم أبو طالب قولاً

رقيقاً، وردَّهم ردّاً جميلاً فانصرَفوا عنه ومضَى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم على ما هو عليه، يُظْهِر دينَ الله ويدعو إليه، لا يرُدُّه عن ذلك شيء، ولكن لم تَصْبِر قريش طويلاً حين رأتْه صلّى الله تعالى عليه وسلّم ماضياً في عمله ودعوته إلى الله تعالى، بل شَرِي الأمرُ وتزايد وانتشر بينهم وبينه حتّى تبَاعَد الرجال وأضمَروا العَداوة والحقد وأكْثَرتْ قريشٌ ذكْرَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وتَذامرت فيه وحَثّ بعضُهم بعضاً على حربه وعداوته ومقاطعته، ثم إنّهم قرَّروا مراجعة أبي طالب بأسلوب أغلظ وأقسى من السابق وجاءت سادات قريش إلى أبي طالب فقالوا له: يا أبا طالب، إنّ لك سنّاً وشَرَفاً ومَنْزِلةً فينا وإنّا قد طَلَبْنا منك أن تَنْهى ابن أخيك فلم تَنْهَه عنّا، وإنّا والله لا نَصْبِر على هذا من شَتْم آبائنا وتَسْفيه أحلامنا وعَيْب آلهتنا حتّى تكُفَّه عنّا أو نُنَازِله وإيّاك في ذلك حتّى يَهْلك أحَدُ الفريقَيْن، ثم انْصَرَفوا عنه، فعَظُم على أبي طالب فِرَاقُ قومه وعداوتُهم ولم يَطِبْ نفساً بأن يخذل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال له: يا ابن أخي، إنّ قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا فأبق عليَّ وعلى نفسك، ولا تحمِّلني من الأمر ما لا أطيق، فظنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّ عمّه خاذله، وأنّه ضَعُف عن نُصْرته والقيام معه، فقال له: «يا عمّ، والله لو وَضَعُوا

الشمس في يميني والقمرَ في يساري على أن أَتْرُك هذا الأمر حتّى يظهره الله أو أهلك فيه ما تَرَكْتُه». ثم استعبر رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم أي: ذرفت الدموع من عينيه فبكى ثم قام فلمّا ولّى ناداه أبو طالب فقال: أَقْبِل يا ابن أخي، فأَقْبَل عليه، فقال: اذْهَبْ يا ابن أخي، فقل ما أَحْبَبت فوالله لا أُسْلمك[1].

أيها المسلمون: في هذا درس بليغ لدعاة الحقّ وأهل الإصلاح في الأمّة: أنّه مهما احْلَوْلَكَت الظلمات فينبغي عليهم أن يصبروا.

وفي موسِم الحجّ اجتَمَع إلى الوليد بن الْمُغِيْرة نفَرٌ من قريش وكان ذا سِنّ فيهم، وقد حضَر الموسِم، فقال لهم: يا مَعْشَر قريش إنّه قد حَضَر هذا الموسِم وإنّ وُفود العرَب ستَقْدَم عليكم فيه وقد سَمعوا بأمر صاحبكم هذا، فانطلِقوا وتفرَّقُوْا على عِقَاب مكّة وطُرُقها حيث يمُرّ بكم أهل الموسِم فإذا سألوكم عن محَمّد فليقل بعضكم: إنّه كاهن، ويقول الآخر: كذّاب، والآخر: شاعر، والآخر: ساحر، والآخر عرَّاف، فإذا جاؤوا إليّ صدَّقْتكم، فذهَبُوْا وقَعَدوا على عِقَاب مكّة وطُرُقها يقولون لمن مرّ بهم من حُجّاج العرَب: لا تَغْتَرّوا

---

[1] ذكره ابن هشام في "السيرة النبوية"، صـ١٠٢-١٠٤، والحلبي في "السيرة الحلبية"، ٤٠٧/١، ومحمد بن يوسف الصالحي في "سبل الهدى والرشاد"، ٣٢٦/٢.

بهذا الخارج الذي يدّعي النبوّة منّا، فإنّه مجنون، كاهن وشاعر، وقَعَد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام، فإذا جاؤوا وسألوه عمّا قال أولئك الْمُقْتسِمون. قال: صَدَقوا، فصَدَرَت العرَب من ذلك الموسِم بأمر رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وانتشر ذكرُه في بِلاَد العرَب كلّها[1].

قالت سيدتنا أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: كان المشركون قُعُوْداً في المسجد، يَتذاكَرون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما يقول في آلهتهم، فبيناهم كذلك إذ دَخَل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقاموا إليه بأجمعهم، وكانوا إذا سألوه عن شيء صَدّقهم، فقالوا: ألستَ تَقُوْل كذا في آلهتنا قال: «بلى» فتَشَبَّثُوْا فيه بأجمعهم فأتى الصَّريخ إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقال له: أدْرِك صاحبَك، فخَرَج من عندنا وإنّ له غدائر، فدَخَل المسجد وهو يقول: ويلكم ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ**﴾ [الغافر: ٢٨/٤٠]. فلَهوا عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وأقْبَلوا على أبي بكر،

---

[1] ذكره ابن هشام في "السيرة النبوية"، صـ١٠٥-١٠٦، وفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) في "التفسير الكبير"، ١٦٢/٧، والبغوي في "تفسيره"، ٤٧/٣، والألوسي في "روح المعاني"، ٤٣٤/٧، والحقي في "روح البيان"، ٤٨٩/٤.

فرَجَع إلينا أبو بكر فجعل لا يمسّ شيئاً من غدائره إلاّ جاء معه وهو يقول: تبارَكْتَ يا ذا الجلال والإكرام[1]. قال سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه: بينا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يُصلّي بفناء الكعبة إذ أقبَل عقبة بن أبي مُعَيْط فأخَذ بمَنْكَب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ولَوى ثَوْبَه في عُنُقه، فخنَقه به خَنْقاً شديداً فأقبَل أبو بكر فأخَذ بمَنْكَبه ودَفَع عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الغافر: ٢٨/٤٠][2]. قال ابن هشام: حدَّثني بعض أهل العلم: أن أشدّ ما لَقِي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم من قريش أنّه خَرَج يوماً فلم يَلقه أحَد من الناس إلاّ كَذَّبه وآذاه، لا حُرّ ولا عَبْد، فرَجَع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم إلى منزله، فتدَثّر من شدّة ما أصابه، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المُدَّثِّر: ١/٧٤-٢] [3].

---

[1] أخرجه أبو بكر الحميدي في "مسنده"، ١/١٥٥، (٣٢٤)، وأبو يعلى الموصلي في "مسنده"، مسند أبي بكر الصديق، ١/٤٢، (٤٨).

[2] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب التفسير، سورة المؤمن، ٣/٣١٦، (٤٨١٥).

[3] ذكره ابن هشام في "السيرة النبوية"، صـ١١٣.

أيها المسلمون: كفّار قريش كانوا لا يألون جُهداً في التَّعرُّض بالأذى للنبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فآذوه أذيّةً لا تُطاق فأغضى عنهم حِلْماً وهو صاحب عَدَم الانتقام، شأْنُه التغافُل، فهو واسع العلم والحلم، لم تعيه الأعباء وقد وَجّه دَعْوته فى السِّرّ والجهر بإصرار وثَبات وصَادَف من بيئته جُمُوْداً ومُعارَضة تَمثّلت فى رُدُوْد فعل مختلفة، وقد بَلَغ من إيذائهم للنبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم أن ألقوا عليه فَرْث النَّاقة وسَلاها وهو ساجد فلم يَقْدر أحد على رَفْعه عنه فلم يزَلْ ساجداً حتّى جاءت ابنتُه فاطمة فأَلْقَتْه، فعن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: أنّ النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم كان يُصلّي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جُلُوْس، إذ قال بعضهم لبعض: أيّكم يجيء بسَلَى جَزُوْر[1] بني فلان، فيَضَعه على ظَهْر محمّد إذا سَجَد؟ فانْبَعَث أشقى القوم [عقبة بن أبي مُعَيْط] فجاء به، فنَظَر حتّى سَجَد النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم فوَضَعه على ظَهْره بين كَتِفَيْه وأنا أَنْظُر لا أُغْني[2] شيئاً لو

---

[1] سلى: هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة. والجزور: المنحور من الإبل، ذكره العيني في "عمدة القاري"، كتاب الجزية، ٥٣٨/١٠.

[2] قوله: (لا أغنى) كذا للأكثر وللكشميهني والمستملى: (لا أغير) ومعناهما صحيح أي: لا أغنى في كفّ شرّهم، أو لا أغير شيئاً من فعلهم. "فتح الباري"، ٣١٤/٢.

كان لي مَنْعَة قال: فجَعَلوا يَضْحَكون ويحيل بعضُهم على بعض ورسولُ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ساجد لا يَرْفَع رأسه، حتّى جاءته فاطمة، فطَرَحتْ عن ظَهْره، فرَفَع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم رأسه، ثم قال: «اللّهمّ عليك بقريش» ثلاث مرّات، فشَقّ عليهم إذْ دعَا عليهم، قال: وكانوا يَرَوْن أنّ الدَّعْوة في ذلك البلَد مُسْتجابة ثم سَمَّى: «اللّهمّ عليك بأبي جهل وعليك بعُتْبَة بن ربيعة، وشَيْبَة بن ربيعة، والوليد بن عتبة وأُمَيَّة بن خَلَف، وعُقْبة بن أبي مُعَيْط». وعَدّ السابع فلم نَحْفَظه قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيتُ الذين عَدّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم صَرْعَى في القَلِيْب[1] قَلِيْب بَدْر[2].

أيها المسلمون: وكان من أشدّ الناس إيذاءً للنبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم وسُخْرِيَة به عمّه أبو لهب، وإنّ الكفّار رَدّوا على النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم رَدّاً قبيحاً، وأرْسَلوا غِلْمانَهم وسُفَهَاءهم يقفُون في وجهه ويَرْمُونه بالحجَارة حتّى أدموا رِجْليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وقالوا عنه: ساحر، مجنون، وكاهن، يُسْتهزئ به، ويُسبّ، ويُضْرَب، ويُشْتَم صلّى

---

[1] الْقَليب: هي الْبِئْر التي لَمْ تُطْوَ، ذكره ابن حجر في "فتح الباري"، ١٣/١٩٤، والنووي في "شرح صحيح مسلم"، الجزء الثاني عشر، ٦/١٥٣.

[2] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الوضوء، ١/١٠٢، (٢٤٠).

الله تعالى عليه وسلّم، ومع هذا كان صابراً، كان ثابتاً، يَتحَمّل كلَّ صعَاب. ففي هذا دُروس وعِبَر وعظَات بالغة للإخوة الدُّعاة إلى الله تعالى في كلّ زمان ومكان، فمهما بَلَغ السبّ والشَّتْم والكَيْد والأذى والظلم فإنّ نصر الله قريبٌ وينبغي على المسلم أن يَسْتمرّ في دَعْوته إلى الله ويُسافر في سبيل الله مع قوافل الإخوة الدُّعَاة إلى الله تعالى؛ لأنّ هذا أرْبَح الْمَكَاسب وأجْزَل الْمَوَاهب وبذلك تُنال أعلى المراتب وتتحقّق أعْظَم المطالب، لما حكي أنّ رجلاً أُصيب بمَرَض القلب فأشار عليه بعض الأطبَّاء بجرَاحة شرْيان القَلب، ولكنّه لم يَمْلك مالاً لعلاج نفسه، فحَرَّضه داعية على السَّفر في سبيل الله؛ ليلتمس لنفسه الصحّة والشفاء فسافَر في سبيل الله مع قوافل الإخوة الدُّعَاة إلى الله تعالى، وشفي من مَرَضه بدون جراحة ببَرَكة السفر في سبيل الله تعالى ولم يعد له أثرٌ، وعاد قلبُه إلى حالته الصحيحة بدون علاج.

وأخيراً نُريد أن نذكر بسُنّة من سُنَنِ النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم لنحرص على الاقتداء بها، ونَنال الأجْر العظيم، ألا وهي سُنَّة تقليمِ الأظافر. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من أحبَّ سُنَّتي فقد أحَبَّني ومن أحبَّني كان معي في الجنّة»[1].

---

[1] ذكره الخطيب التبريزي في "مشكاة المصابيح"، كتاب الإيمان، باب الاعتصام بالكتاب والسنة، ٥٥/١، (١٧٥).

وإنّ النَّظَافة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالزِّينة في شريعة الإسلام وتَزيد في جَمَال الإنسان وتُؤثّر في صحّته وقوّته وسلامته، بل إنّ النَّظَافة شُعبة من شُعَب الإيمان، وأمّا إهمالُ النَّظافة فتَسَبّب كثيراً من الأمراض الجلديّة التي تضرُّ بالجسم، ومن ثم فلقد شَرَع الإسلامُ لتقليم الأظفار آداباً يتحقّق معها كمال مَظْهَر الإنسان ونَظافته، ومن تلك الآداب:

[١]: أن يُقَلّم أظفاره كلّ أُسبوع والأفضل أن يكون يوم الجمعة حيث إنّه يوم اجتماع للمسلمين ولا ينبغي أن يُؤَخّر عن أربعين يوماً.

[٢]: وإذا طال جدّاً وأراد تأخيرَه إلى يوم الجمعة فيكره[١].

[٣]: وورد في بعض الآثار النهيُ عن قَصّ الأظافر يوم الأربعاء، فإنّه يورِث البَرَص[٢].

[٤]: ولا يعذر في تَرْكه وراء الأربعين[٣].

[٥]: وتقليم الظُّفْر بالأسنان مكروهٌ؛ لأنّه يُورِث البَرَص[٤].

[٦]: وقَصّ الظُّفْر حالة الجنابة مكروه.

---

[١] "الدر المختار" و"رد المحتار"، كتاب الحظر والإباحة، ٦٦٨/٩.

[٢] ذكره الطحطاوي (ت١٢٣١هـ) في "الحاشية على الدر المختار"، ٢٠٢/٤.

[٣] "الفتاوى الهندية"، كتاب الكراهية، باب في الختان والخصاء، ٣٥٧/٥.

[٤] "الفتاوى الهندية"، كتاب الكراهية، باب في الختان والخصاء، ٣٥٨/٥.

[٧]: وإذا قَلّم ظُفْره ينبغي أن يَدْفنه، فإن رَمَى به فلا بأس، وإن ألقَاه في الكَنيف أو في الْمُغْتَسَل يكره ذلك؛ لأنّه يُورِث داءً[١].

[٨]: وصفة تقليم أظفار اليدين على ما يروى عن سيّدنا عليّ رضي الله عنه: «أنّه يبتَدئ بخِنْصَر اليمنى، ثم بوسطاها، ثم بإبهامها، ثم ببنصرها، ثم بمسَبِّحَتها، ثم بمُسَبِّحَة الشمال، ثم بِبِنْصرها، ثم بوسطاها، ثم بإبهامها، ثم بخِنْصَرها»[٢].

وفي رواية: أنّه بدأ بمُسَبِّحته اليمنى إلى الخِنْصَر ثمّ بخِنْصَر اليسرى إلى الإبهام وختَم بإبهام اليمنى[٣]. فينبغي لكلّ مسلم أن يَعْمَل تارةً هذا وتارةً هذا اقتداءً بالسنّة وابتغاء نيل الأجر العظيم من الله تعالى.

[٩]: وقال سيدنا الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى: وأمّا أصابِع الرِّجْل فالأولى عندي إن لم يَثْبُت فيها نقلٌ أن يبدأ بخِنْصر اليُمنى ويختم بخِنْصر اليُسْرى كما في التخليل[٤].

[١٠]: ويستحبّ غسل رءوس الأصابع بعد التقليم.

---

[١] "الفتاوى الهندية"، كتاب الكراهية، باب في الختان والخصاء، ٣٥٨/٥.

[٢] ذكره بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ) في "شرح سنن أبي داود"، ١٦٥/١.

[٣] ذكره الحصكفي في "الدر المختار"، كتاب الحظر والإباحة، ٦٧٠/٩.

[٤] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب أسرار الطهارة، ١٩٣/١.

[١١]: ومن الأدب: دَفْن الشعر والأظفار، لما روي عن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يأمُر بدَفْن سبعة أشياء من الإنسان الشعر والظُّفْر والدم والْحِيْضَة والسنّ والقُلْفَة[١] والْمَشِيْمَة»[٢].

فنسأل الله عزّ وجلّ أن يَغْفِر لي ولكم ولجميع المسلمين والمسلمات من الذنوب والخطايا والسيِّئات، ويَجْعل حاضرنا خيرًا من ماضينا، ومستقبلنا خيرًا من حاضرنا، ويجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أعمارنا أواخرها.

---

[١] الْقُلْفَةُ: الجلدةُ التي تُقْطَعُ في الختان، "شرح صحيح مسلم"، الجزء السابع عشر، ١٩٣/٩.

[٢] أخرجه الحكيم الترمذي في "نوادر الأصول"، ١٨٦/١.

فَضَائِلُ العَفْوِ عَنِ النَّاس

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدَّاعِيَةِ الكَبِيرِ أَبِي بِلَالٍ مُحَمَّد إِلْيَاسَ العَطَّارِ
القَادِرِي الرَّضَوِي حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

تعريب
مجلس التراجم


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، **أمّا بعد:**

فعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم قال: «يا أيها الناس إنّ أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم عليّ صلاةً في دار الدنيا»[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم مع أعدائه ومعانديه جميل الصَّبْر واسع الصَّدْر، يتحمّل أذى من آذاه ويحلم عمَّنْ جَهِل عليه، ويتجاوز عمن ظَلَمَه، ونحن ننظر في سيرة الرسول الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم؛ لأنّنا بحاجة ماسّة لأن يكون لنا في سيرته وشَخْصه الكريم أُسْوَة حسَنَة في حُسْن الْخُلُق والصَّبْر على الأذى واحتمال الْجَفَاء وقد روي عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كنت أمشي مع النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم وعليه بُرْدٌ نَجْراني غليظُ الحاشية، فأدْرَكَه أعرابي فجذَبه جَذْبةً شديدةً، حتّى نظرتُ إلى

[1] ذكره الديلمي (ت٥٠٩هـ) في "فردوس الأخبار"، ٢/٤٧١، (٨٢١٠)، والهندي (ت ٩٧٥هـ) في "كنز العمال"، كتاب الأذكار، ١/٢٥٤، (٢٢٢٥).

صَفْحة عاتقِ النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم قد أثَّرَتْ به حاشيةُ الرِّدَاءِ من شدّة جَذْبَته ثم قال: مُرْ لي من مال الله الذي عندك فالتفَتَ إليه فضَحك ثم أمَر له بعَطاء[1].

فلينظر المسلم فِي حِلْمه وحُسْن خُلُقه صلّى الله عليه وسلّم وليتخلَّق بهذا الخلق الحسن وليَصْفَح عمّن أساء إليه وقد جاء عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «ثلاث من كنّ فيه حاسَبَه الله حساباً يسيراً وأدْخَله الجنّة». قلت: ما هنّ يا رسول الله؟ قال: «تَصِل من قطَعَك وتُعْطي من حرَمَك وتَعْفُو عمن ظلَمَك»[2].

وقال سيد الأنام مصباح الظَّلاَم حبيب الملك العلاّم عليه أفضل الصلاة والتسليم: «ما نقَصتْ صدَقةٌ من مال، وما زاد الله عبداً بعَفْوٍ إلاّ عزّاً وما تواضَعَ أحد لله إلاّ رفَعه الله»[3]. قال سيدنا موسى بن عمران عليه السلام: يا ربّ من أعَزُّ عبادك عندك؟ قال: «من إذا قدر غفر»[4]. وعن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: لقيتُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه

---

[1] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب فرض الخمس، ٢/٣٥٩، (٣١٤٩).

[2] أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط"، ١/٢٦٤، (٩٠٩).

[3] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب البر والصلة، صـ١٣٩٧، (٢٥٨٨)، والترمذي في "سننه"، كتاب البر، ٣/٤١٥، (٢٠٣٦).

[4] أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"، باب في حسن الخلق، ٦/٣١٩، (٨٣٢٧).

وسلّم فبدَرْتُه فأخذتُ بيده وبدرَني فأخَذ بيدي فقال: «يا عُقْبَة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ تَصِلُ من قطَعك، وتُعْطي من حرَمك، وتعفو عمن ظلَمَك. ألا ومن أراد أن يُمَدّ في عمره ويُبْسَط في رِزْقه فليَصِلْ ذا رَحِمه»[1].

وعن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه عن النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه قال وهو على المنبر: «ارْحَمُوْا تُرْحَموا، واغْفِرُوْا يَغْفِرْ الله لكم»[2].

وعن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: جاء رجل إلى النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقال: يا رسول الله، كم أعفو عن الخادم؟ فصَمَت عنه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم، ثم قال: يا رسول الله، كم أعفو عن الخادم؟ فقال: «كلَّ يوم سبعين مرّةً»[3].

قال الشيخ أحمد يار خان النعيمي رحمه الله تعالى: قولُه صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «سبعين مرّةً» كناية عن الكثرة، وليس على التحديد، فحاصلُهُ لِيَكُنْ عَفْوُك أَكْثَرَ من مُؤاخَذَتك، وهذا فيما يجوز العفو عنه من سوء يأتيه إليك وجنَاية يَجْنيها

---

[1] أخرجه الحاكم في "المستدرك"، كتاب البر والصلة، ٥/٢٢٤، (٧٣٦٧).

[2] أخرجه البخاري في "الأدب المفرد"، باب رحمة البهائم، صـ١٠٣، (٣٨٠).

[3] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب البر والصلة، ٣/٣٨١، (١٩٥٦).

عليك، فأمّا إذا كان ذلك في هَتْك حُرْمَة في الدِّيْن، أو جناية على أحد من المسلمين فإنّه لا يجوز العفو عنه[1].

أيها المسلمون: قد كان الرسول الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم شديد الصبر على أذى أعدائه عند القدرة؛ لما روي في حلمه واحتماله وعفوه وصَفْحه أحاديث كثيرة وقصص مشهورة، منها قصة غَوْرَث بن الحارث حين أراد قتله وأظفره الله به وأمكنه منه فعفا عنه ولم يؤاخذه بما صنع كما جاء أنّه لما تصدَّى له غَوْرَث بن الحارث ليَفْتك به، ورسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم مُنْتَبِذٌ تحت شجرة وحده قائلاً (أي: نائماً وقت القيلولة) والناس قائلون في غَزَاة فلم ينتبه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم إلاّ وهو قائم والسيف صَلْتاً في يده، فقال: من يمنعك منّي؟ فقال: «الله». فسقط السيف من يده، فأخذه النبي صلّى الله عليه وسلّم وقال: «من يَمْنَعُك منّي؟» قال: كُنْ خير آخذ فترَكه وعفا عنه فجاء إلى قومه فقال: جئتُكم من عند خيرِ الناس[2]. ومنها قصّة أُحُد حين ناله من أذى كفّار قريش فشَقَّ ذلك على أصحابه وقالوا: يا رسول الله، لو دعَوْتَ

---

[1] ذكره أحمد يار خان النعيمي (ت ١٣٩١هـ) في "المرآة"، كتاب النكاح، ١٧٠/٥.

[2] رواه البخاري في "صحيحه"، ٦٠/٣، (٤١٣٦)، وأحمد بن حنبل في "مسنده"، ١٥١/٥، (١٤٩٣٤)، والقاضي عياض في "الشفاء"، ١٠٦/١-١٠٧.

عليهم، فقال: «إنّي لم أُبْعَث لَعَّاناً ولكنّي بُعثتُ داعياً ورحمةً. اللّهمّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون»[1].

أيها المسلمون: وكان الرسول الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم عظيم الحلم شديد الصبر على أذى قومه عند القدرة عليهم حتّى قيل له صلّى الله تعالى عليه وسلّم لَمّا رماه عتبة بن أبي وقاص يوم أُحد فكسر رباعيته السفلى وجرح شفته السفلى وشَجَّ عبد الله بن شهاب الزهري قبل إسلامه وجهه، وجَرَح عدوُّ الله ابن القمئة وَجْنَتَه فدخَلتْ حلقتان من المِغْفَر فيها ذلك اليوم: ادع الله عليهم، فقال: «اللّهمّ اهْدِ قومي فإنّهم لا يَعْلَمون»[2]. ومنها عفوه صلّى الله تعالى عليه وسلّم عن لَبيد بن الأعصم الذي سَحَره ولم يعاتب عليه فضلاً عن معاقَبته[3].

ومن عظيم خبره في العفو عفوه وصفحه صلّى الله تعالى عليه وسلّم عن اليَهودية التي سَمَّتْه في الشاة[4].

وقد حكي أنّ بعض الناس أرسلوا الرسائلَ إلى الشيخ الإمام أحمد رضا خان، وذكروا فيها العبارات المستقبحة

---

[1] ذكره مسلم في "صحيحه"، صـ١٤٠٠، (٢٥٩٩)، والقاضي عياض في "الشفاء"، ١/١٠٥، والبيهقي في "شعب الإيمان"، ٢/١٦٤، (١٤٤٧).

[2] ذكره القاضي عياض في "الشفاء"، ١/١٠٥، وابن هشام في "السيرة النبوية"، صـ٣٣١.

[3] ذكره القاضي عياض في "الشفاء"، الباب الثاني في تكميل محاسنه، ١/١٠٧.

[4] ذكره القاضي عياض في "الشفاء"، الباب الثاني في تكميل محاسنه، ١/١٠٧.

والألقاب السيّئة، فلمّا رأى ذلك أصحابه غضبوا عليهم، وقالوا: نرفع الدعوى في المحكمة فقال الإمام لأصحابه: قدّموا الهدايا إلى المادحين أوّلاً، ثم أقيموا الدعوى على الهاجين، أي: إذا لم تقدِّموا الهدايا إلى المادحين فلماذا تنتقمون من الذامّين؟![1].

أيها المسلمون: عمري يَنْقُص ساعةً فساعة وكلّ ساعة تقرِّب من الموت ولا أدري متى يأتي الأجَل، وإنّي قد بلَغْتُ الستين من عمري، ورأيت في مدّة حياتي المحدودة حوادث كثيرة تدلّ على أنّ كثيراً من الناس تعوّدت أن تعيش على قلّة الإخلاص وقلّة الوفاء وقلّة الإحسان مع الوالدين ونَقْض العَهْد وقَطيْعَة الرَّحِم والْجَزَع من الْخَلْق والطمَع فيما في أيديهم من المال والجاه ويتدلّون بحَبْل الغُرُوْر، وينخدعون بتلبيس النفس ومكر الشيطان، ولكن ولله الحمد إنّ ملايين من الناس دخلوا في البيئة الصالحة المتدَيِّنة من جمعية الدعوة الإسلامية التي تعزز التزام أمر الله وتعين عليه وتنفر من مخالفة أمره، ولكن وللأسف الشديد هناك من يخرج من البيئة الصالحة المتدينة من جمعية الدعوة الإسلامية ويخالف مبادئها الإسلامية، ومنهم من يختلط بالبيئة الأخرى، ومنهم من يميل إلى تكوين جماعة

---

[1] ذكره ظفر الدين البهاري في "حياة أعلى حضرت"، ١/١٤٣-١٤٤.

أخرى ولكن والحمد لله ربّ العالمين مع كلّ هذا الذي يجري حولنا ما تزال جمعية الدعوة الإسلامية تَحْتَلّ المكانة العالية وتتربع في أعلى منازل الرفعة والفخار في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، وإنّي أوصيكم بقلب المحبّ بالدخول والالتحاق بالبيئة المتدينة من جمعية الدعوة الإسلامية، وأحذِّركم من تكوين جماعة أخرى أو اللحاق بها بعد الدخول في جمعية الدعوة الإسلامية، فإنّ هذا قد يفضي إلى وجود الغلّ والحقد وسوء الظنّ والكذب والغيبة والنميمة وغيرها من المهلكات العظيمة.

وأمّا من يقوم بأعباء الدعوة إلى الله تعالى بعد الخروج من جمعية الدعوة الإسلامية ويتجنّب الغيبة والنميمة والحسد وسوء الظنّ وغيرها من الموبقات فهو محمود بإذن الله تعالى مشكور سعيه إن شاء الله تعالى.

وأمّا من يترك جمعية الدعوة الإسلامية ويَتّبع هواه وينزلق في مهاوي المحرّمات والكبائر فليتّق عذاباً أليماً ووبالاً جسيماً، لا بدّ أنّه واقع بأمثاله المتكبّرين، فليتّق اللهَ ذو البصيرة والهدى وليحذر من التخلّف عن جماعة المسلمين والابتعاد عن ركبهم وينبغي أن يقدِّم المسلمُ دفع المفاسد على جلب المصالح، ويترك فعل المستحبّات التي تجرّ إلى المعاصي وتورث النفرة بين المسلمين، قال الإمام أحمد رضا خان رحمه الله تعالى: ينبغي

للإنسان أن يقدِّم مداراة الناس ومراعاة قلوبهم على فعل المستحبّات، ويجتنب ما يخاف منه تولّد ضرر في دين أو دنيا، إلاّ الأمور الشرعية ولا يتعرّض لما يخاف تنفيرهم بسببه ما لم يكن فيه ترك أمر شرعي[1].

وقال العلماء الكرام: درء المفاسد أولى من جلب المصالح[2]. وقال الإمام أحمد رضا خان رحمه الله تعالى: يجوز للإنسان أن يترك الأفضل لتأليف القلوب، لئلاّ يؤدّي ذلك إلى تنفير المسلمين، وإنّ النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم كان ردَّ الكعبة إلى ما كانت عليه من قواعد سيدنا إبراهيم عليه السلام بسبب خوف فتنة بعض من أسلم قريباً، لأنّهم كانوا يعتقدون فضل الكعبة، فيرون تغييرها عظيماً فتركها صلّى الله تعالى عليه وسلّم، لما روي عن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال لي رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «لولا حَدَاثةُ قومك بالكُفْر لنقَضْتُ البيت ثم لبَنَيْتُه على أسَاس إبراهيم عليه السلام، فإنّ قُرَيْشاً استَقْصَرتْ بناءه، وجعَلْتُ له خَلْفاً»[3].

---

[1] ذكره الشيخ أحمد رضا خان (ت ١٤٣٠هـ) في "الفتاوى الرضوية"، ٥٢٨/٤.

[2] ذكره ابن نجيم زين الدين (ت ٩٧٠هـ) في "الأشباه والنظائر"، صـ٧٨.

[3] "صحيح البخاري"، ٥٣٣/١، (١٥٨٥)، و"عمدة القاري"، ١٣٧/١.

أيها المسلمون: من أعظم الآداب في هذا الباب: الكفّ عن إشاعة الفاحشة في المؤمنين والتستّر على عوراتهم وإمساك الألسنة عن الجهر بالفواحش فيجب على الإنسان أن لا يتعجّل في مخالفة الدُّعَاة بخاصّة إذا كانوا من كبار العلماء الكرام، ولا يكشف فضائح المسلمين فالحذر الحذر من مخالفتهم وإشاعة فاحشتهم؛ لأنّ ذلك قد يجرّ إلى المهلكات العظيمة، قال الإمام أحمد رضا خان رحمه الله تعالى: إن وقع الخطأ الفاحش من أهل السنّة والجماعة فيجب إخفاؤه؛ لئلاّ يؤدّي ذلك إلى تنفير الناس عن الإسلام والمسلمين، ولأنّ إشاعة الفاحشة حرام، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ**﴾ [النور: ١٩/٢٤][1].

أيها المسلمون: إنّ كبار المسؤولين من جمعية الدعوة الإسلامية يستسمحون، ويطلبون العفو من كلّ شخص أساؤوا إليه وإنّي أطلب السَّمَاح، وأعتذر من كلِّ مَن أخطأتُ في حقّه، أو أسَأْتُ إليه، وأُشْهد الله أنّني لا أحمل في قلبي غلاًّ ولا حقداً،

---

[1] ذكره الشيخ أحمد رضا خان في "العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية"، الرسالة إسماع الأربعين في شفاعة سيد المحبوبين، ٥٩٤/٢٩.

ولا حسداً لأحد من المسلمين، بل كلّ الناس منّي في حلّ، وأُشْهد الله أنّني أطلب التصالح مع كلّ شخص كانت له معي مصادمات ومشادّات بسبب سوء الفهم أو اختلاف وجهات النظر وأرجو من المسلمين قبول اعتذاري ومسامحتي لوجه الله تعالى وألتمس منهم العفو والصفح عن كلّ من ظلمهم أو آذاهم بضرب أو أخذ مال أو وقوع في عرض أو نحو ذلك.

أيها المسلمون: من الأمراض الخلقية المتفشية بين الناس مرض الغيبة، فإنّها من كبائر الذنوب، وتفضي إلى النار وتفرق بين الناس، وتورث العداوة فيما بينهم، وفيها فضيحة وهتك للأستار، وقد تجرّ إلى ما هو أسوأ من ذلك، فالواجب على الإنسان المؤمن أن يكفّ لسانه عن الغيبة في إخوانه المؤمنين وأن يبالغ في التحرّز عنها، ولا يتعرض لاستماع الغيبة من الغير؛ لأنّ القائل والمستمع لها شريكان في الإثم، ويجب على كلّ مسلم وقعتْ منه الغيبة: أن يتوب منها ويستحلّ ممَّنْ اغتابه ويطلب العفو منه ويرضيه.

أيها المسلمون: سامحوني، واجعلوني في حلٍّ من كلّ حقّ شديد عظيم لكم عليَّ، فمن شتمتُ له عرضاً فليقتصّ منّي ومن أخذتُ له مالاً فليأخذه منّي، أو يجعلني في حلّ، وها أنا ألتمس منكم قولكم من صميم قلوبكم: (جعلناك في حلّ من

كلّ حقّ). واعلموا أنّي قد أبرأتُ الناسَ من جميع الحقوق من مال وعرض، وعفوتُ عمّن ظلمني وأساء إليّ، وإنّ كبار المسؤولين من جمعية الدعوة الإسلامية يستحلّون ممَّنْ اغتابوه، ويطلبون العفو ممّن أساؤوا إليه وإنّي ألتمس من جميع الناس أن يجعلوهم في حلّ.

وفي الختام ألتمس أن يكتب أحدكم أسماء أصحاب المظالم وليؤدّ لهم حقوقهم، أو يطلب المسامحة منهم، فإن عجز عن طلبهم فليتضرّع، وليستغفر اللهَ، وليدعو لأصحاب الحقوق، وليتصدّق لهم رجاء أن يرحمه الله تعالى يوم القيامة، وليكثر من الحسنات، حتّى لا تنفد عند استرداد المظالم يوم القيامة.

فنسأل الله تعالى أن يُجملنا بالخلق الحسن وأن يَمُنَّ علينا باحترام حقوق الآخرين والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله تعالى على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

القَولُ الطَّيِّبُ

لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ الدَّاعِيَةِ الكَبِيرِ أَبِي بِلَالٍ مُحَمَّدٍ إِلْيَاسَ العَطَّارِ
القَادِرِي الرَّضَوِي حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

تعريب
مجلس التراجم


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، **أما بعد:**

فقد روي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال: خرَج رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فاتّبعتُه حتّى دخَل نخلاً فسجَد فأطال السُّجُود حتّى خِفْتُ أو خَشِيْتُ أن يكون الله قد توفَّاه أو قبَضه، قال: فجئتُ أَنْظُر، فرفَع رأسَه، فقال: «مَا لَك يا عبد الرحمن؟». قال: فذكرتُ ذلك له، فقال: «إنّ جبريل عليه السلام قال لي: ألاَ أُبشِّرُك إنّ الله عزّ وجلّ يقول لك: من صلّى عليكَ صلّيتُ عليه، ومن سلَّم عليك سلَّمْتُ عليه»[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

حكي أنّ رجلاً من الصالحين من أهل خراسان رأى قائلاً يقول له في المنام: «إنّ التتار همُ الوحوش الجهلاء الذين زحفوا إلى البلاد الإسلامية ليبيدوها فقتلوا كلّ من فيها، ولم ينج أحد

[1] أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، ١/٤٠٦، (١٦٦٢).

سوى أهل الذّمّة فيجب عليك أن تدعوهم إلى الإسلام». فخرَج الرجل من بلده إلى حيث يوجد التتار فلمّا جاء إلى تكودار خان ابن هلاكو خان دعاه إلى الإسلام، ولكن سأله تكودار خان مستهزئاً فقال: أيّها الرجل، أشَعْرُ لحيتك خيرٌ أم ذيلُ كلبي؟ فمن العجيب أنّه لم يسبّه ولم يشتمه مع شديد قبح الألفاظ وشناعتها، فصبر لوجه الله تعالى وقال له: شعرُ لحيتي خيرٌ إن فُزْتُ برضا الله ومحبّته ودخول جنّته، وإلاّ فذيلُ كَلْبك خيرٌ إن كان مطيعاً لك فيما أمَرتَ به، فلمّا سمع تكودار خان كلمتَه الطيّبة أثرت في قلبه واستقرّتْ فيه فعلت البسمة وجهه وملء قلبه فرحة وسعادة وقد قلّب الله قلبه حناناً وعطفاً وشفقة عليه فقال له تكودار خان: يسعدني أن تكون ضَيْفي، فقام الرجل الصالح عنده ويدعوه إلى الإسلام ويرغّبه فيه إلى أنْ اعتنَقَ الإسلام وسمَّى نفسَه أحمد ودخل معه قومُه في دين الإسلام وأصبحوا رعاةً للحضارة الإسلامية السنّية ببركة الكلمة الطيبة.

أيها المسلمون: الكلمة الطيّبة الصادرة من القلب تأسر النفوس وتحيي موات القلوب وتدفع إلى التغيير بإذن الله وبذلك تسمو بصاحبها إلى أسمى المقامات في الدنيا والآخرة وإنّ

الكلمة الخبيثة توقظ الفتنة والبغضاء في النفوس، وترسم البؤس على الوجوه فتشعل نار الفرقة والشتات بين الناس وبذلك تكون وبالاً وخزياً وندامةً لصاحبها فيهوي بها في أودية الخسران والهلاك، وكم من عدوّ لدود صار صديقاً حميماً بكلمة طيبة؟! وكم من صديق حميم صار عدوًّا لدوداً بكلمة نابية؟!

أيها المسلمون: فلينوا أقوالكم، واخفضوا للناس أجنحتكم واعرفوا للكلمة الطيبة حقَّها، واحفظوا لها قدرَها، واللسان نعمة من الله تعالى على بني آدم؛ إذ به يعبد اللهَ وحدَه لا شريك له وبه يتمّ التخاطب بين جميع أفراد النوع الإنساني، فباللسان ينطق المؤمن بالشهادتين، ويؤدِّي الصلاة ونحو ذلك من سائر الواجبات والفروض والسنن، وبه يذكر الله عزّ وجلّ.

حكي أنّ رجلاً عبَدَ الله أربعين سنَةً فلمّا كان في بعض الليالي أخذتْه دلّة على الله عزّ وجلّ، فقال: إلهي أَرِني ما قد أعدَدْتَ لي في الجنّة وأَخْبِرْني ما قد أعدَدْتَ لي من الحور العين الحسان، فما استتم الكلام حتّى انشق المحراب، فخرجت منه حورية لو خرجت إلى الدنيا لفتنت من فيها فقال لها: إنسية أنت أم جنية؟ قالت: أنا حورية من حوريات الجنّة، فقال: يا جارية

لمن أنت؟ فقالت: أنا لك، فقال: كم لي مثلك حورية؟ قالت: مئة حورية، ولكلّ حورية مئة خادمة، ولكلّ خادمة مئة وصيفة، ولكلّ وصيفة مئة قهرمانة ففرح وقال: يا حورية هل أعطي أحد أكثر منّي؟ قالت: يا مسكين عطاؤك عطاء البطالين الذين يقولون: أستغفر الله العظيم فيغفر لهم ثم يستغفرون الله تعالى عند غروب الشمس فيغفر لهم[1].

فالمطلوب أيّها المسلمون أن يشغل الإنسان لسانَه بذكر الله تعالى كالتسبيح والتقديس والتهليل وغير ذلك من أنواع الذكر، وقد جاءت في الأحاديث دعوة إلى الإكثار من ذكر الله عزّ وجلّ إكثاراً يجعل من يراه يظنّ أنّ به مسًّا من الْجُنُوْن، ومن هذه الأحاديث ما روي عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال: «أَكْثِرُوْا ذكرَ الله حتّى يقولوا: مَجْنُونٌ»[2].

وروي عن سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «اذْكُرُوا الله

---

[1] ذكره اليافعي في "روض الرياحين" الفصل الثاني في كرامات الأولياء، صـ٥٥.

[2] أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، ١٣٧/٤، (١١٦٥٣).

ذِكْراً يقول المنافقون: إنّكم تراؤون»[1]. هل تريدون إخواني المسلمين أن يغرس لكم شجرة في الجنّة؟ اسمعوا إذن ما روي عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم مرّ به وهو يَغْرِسُ غَرْساً فقال: «يا أبا هريرة ما الّذي تَغْرِسُ؟». قلتُ: غِرَاساً لي، قال: «أَلا أدُلُّكَ على غِرَاسٍ خَيْرٍ لَكَ من هذا؟». قال: بلى يا رسول الله. قال: «قُل: سبحانَ الله، والحمدُ لله ولا إله إلاّ الله والله أَكْبَرُ، يُغْرَسْ لَكَ بكُلِّ واحدة شَجَرَةٌ في الجنّة»[2].

أيها المسلمون: ومن النعم العظيمة على الإنسان نعمة اللسان والبيان، فبها يعبر الإنسان عن كلّ ما يريد، وإنّ الإنسان مسؤول عمّا استعمل فيه لسانه، فإذا استعمَله في الخير نال الثواب وإذا استعمله في الشرّ نال العقاب فكلّ كلمة تخرج من الفم محاسب عليها الإنسان، إن كانت خيراً فخيراً، وإن كانت شرّاً فشرّاً، فعلى الإنسان أن يستخدم لسانه في الدرس والمحاضرة الإسلامية والدعوة إلى الله تعالى؛ لأنّه يدخُل في

---

[1] أخرجه الطبراني سليمان بن أحمد في "المعجم الكبير"، ١٣١/١٢، (١٢٧٨٦).

[2] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، باب فضل التسبيح، ٢٥٢/٤، (٣٨٠٧).

ذكر الله تعالى ذكرُ أسمائه وصفاته وقراءة كتابه الكريم وذكرُ أمره ونهيه وذكرُ حبيبه الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، وقد ورد فضل الذكر في الأسواق فيما يرويه سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما حيث يقول: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «ذاكرُ الله في السُّوْق له بكُلِّ شَعْرَة نورٌ يوم القيامة يَلْقَى الله»[1].

وعن سيدنا حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: قال سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: «يا ربّ ما جَزَاءُ مَنْ دَعى أخاه وأمَره بالمعروف ونهاه عن الْمُنْكر؟ قال: أَكْتُبُ له بكلِّ كلمَة عبادة سنة، وأستحيي أن أعذِّبه بناري»[2].

أيها المسلمون: فلا بدّ أن يكون الداعي إلى الله تعالى صادقاً في دعوته، مخلصاً لله فيها، فدَعْوتُه لا إلى هوى نفسه، ولكنّها دعوة إلى الله تعالى، ويجبُ أنْ تكونَ نابعةً وصادرةً من قلب خالص، يرحم عبادَ الله، ويُشْفِق عليهم، ويحبّ الخير والصَّلاَح لهم، فيكون صدقه سبباً لتوفيق الله له وانتفاع الناس

---

[1] أخرجه البيهقي (ت ٤٥٨هـ) في "شعب الإيمان"، ٤١٢/١، (٥٦٧).

[2] ذكره أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) في "مكاشفة القلوب"، صـ٤٨.

بدعوته وقبولهم لها وإصغائهم إليها، ومع ما يعطيه الله له من الأجر العظيم الكثير حيث يعطيه مثل أجر من انتفع بدعوته واقتدى بهديه إلى يوم القيامة.

وحدَّثني بعض الإخوان عن رجل أنّه قال: كنتُ غريقاً في بحار الذنوب والمعاصي، متخلّقاً بالأخلاق الرذيلة وفي أثناء هذه الحياة القاسية لقيتُ يوماً رجلاً من الدعاة، فدعاني إلى الله تعالى بكلماته الطيبة وقلبه الرحيم، وحَضَّني على حضور حلقة العلم في المسجد، فلمّا سمعتُ كلماته تسرَّبتْ إلى قلبي، واستقرَّت فيه فحافظت على حضور حلقة العلم، وبعد مدّة قال لي: شاركْ في الاجتماع العالمي من جمعية الدعوة الإسلامية الذي يعقد لثلاثة أيّام بمدينة "ملتان"، في الباكستان فلم أتمالك نفسي من الفرح والسرور، وقبلت دعوته، وحضرتُ الاجتماع العالمي، ولَمّا وصلتُ كان الازدحام شديداً فتحيّرتُ من كثرته، فلمّا سمعت المحاضرات الدينية ذرفت الدموع من خشية الله تعالى، وتبت من جميع الذنوب والمعاصي، وارتبطتُ بالبيئة المتدينة من جمعية الدعوة الإسلامية، فلَمّا رأى أهلُ بيتي الانقلاب الديني في حياتي تأثّروا كثيراً، وارتبطوا بالبيئة المتدينة

من الدعوة الإسلامية، وحرصوا على تطبيق الشريعة الإسلامية، وأخذوا الطريقة العالية القادرية الرضوية، والتزموا بالحجاب والزيّ الإسلامي. والحمد لله عزّ وجلّ حفظتُ القرآن الكريم، وسجلتُ في معهد الدراسة الشرعية وتشرفت بعدها بمسؤولية إمارة قوافل الدعوة إلى الله تعالى، وعزمت النية على أن أسافر في سبيل الله تعالى مع القافلة لسنة كاملة وكلٌّ ذلك حصل بسبب الكلمة الطيبة.

أيها المسلمون: ومن فوائد اللسان أن يستعمله الإنسان في الصلاة على النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فعن سيدنا أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «من صلّى عليّ مرّةً واحدةً فتُقُبِّلَت منه محا الله عنه ذنوبَ ثمانينَ سَنَةً»[1]. ومن فوائد اللسان أن يستعمله الإنسان في التهنئة، وعيادة الْمَرْضَى، والتعزية لأهل المصيبة والدعاء لميتهم، فعن سيدنا عبد الله بن عمر وسيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنهم قالا: «من مشى في حاجة أخيه

---

[1] ذكره محمد بن يوسف الشامي (ت ٩٤٢هـ) في "سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد"، جماع أبواب الصلاة والسلام، ١٢/٤٤٥.

المسلم أَظلَّه الله تعالى بخمسة وسبعين ألف ملكٍ يدعون له، ولم يزَلْ يخوض في الرحمة حتّى يَفْرُغَ، فإذا فرَغ كتَب الله له حجّةً وعمرةً، ومن عادَ مريضاً أظلَّه الله بخمسة وسبعين ألف ملكٍ لا يرفع قدماً إلاّ كتب له حسنة ولا يضع قدماً إلاّ حطَّتْ عنه سيئة ورفع له بها درجة حتّى يقعد في مَقْعَده فإذا قَعَد غمَرَتْهُ الرحمةُ فلا يزال كذلك إذا أقبل حتّى ينتهي إلى منـزله»[1].

وقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من عزَّى حَزِيناً أَلْبَسَه الله التقوى وصلَّى على روحه في الأرواح ومن عزَّى مُصَاباً كسَاه الله حُلّتين من حُلَل الجنّة لا يقوم لهما الدنيا»[2].

أيها المسلمون: اعلموا أنّ البسملة تسنّ في ابتداء كلّ أمر ذي بال، وتكره عند كشف العورة أو في محلّ النجاسات، وعند شُرْب الدُّخَان، أي: ونحوه من كلّ ما له رائحة كريهة، وتحرم عند استعمال محرَّم بل في "البزازية" وغيرها: يكفر من بسمَلَ عند مباشرة كلِّ حرام قطعي الحرمة[3].

---

[1] أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط"، ٢٢٢/٣، (٤٣٩٦).

[2] أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط"، ٤٢٩/٦، (٩٢٩٢).

[3] "الفتاوى البزازية"، ٣٣٩/٦، و"ردّ المحتار"، ٣٨/١.

ولو فتَح التاجرُ الثوب فصلَّى على النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، وأراد بذلك إعلامَ المشتري جَوْدةَ ثوبه فذلك مكروهٌ، وكذا الفقاعي إذا قال ذلك عند فَتْحِ فُقاعه على قَصْد ترويجه وتحسينه يَأْثَمُ، ومن هذا يُمْنَعُ إذا قَدِم واحدٌ من الْعُظَماء إلى مجلس فسبَّح أوْ صلّى على النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم إعلاماً بقُدُومه حتّى يُفرِّجَ له الناسُ، أوْ يقوموا له يَأْثَمُ[1].

أيها المسلمون: فينبغي على كلّ عاقل أن يستخدم لسانه في عمل من أعمال البرّ المعروفة، مثل ذكر الله تعالى، وعيادة المريض، وردّ السلام، وإجابة الدعوة، وبذل النصيحة وتشميت العاطس وأن لا يستعمله في الأماكن المستقذرة كالشتم واللعن والإضرار بالناس، وإيقاع الفتنة بينهم، والكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك ويعوِّد نفسَه على ذكر الله تعالى كلّما وقع في فضول الكلام، فعن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أنّه قال: «اتّقُوا النار ولو بشِقّ تَمْرة، فإن لم تَجدوا فبكلمة طيّبة»[2].

---

[1] ذكره ابن عابدين (ت ١٢٥٢هـ) في "ردّ المحتار"، ٢/٢٨١.

[2] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الزكاة، صـ٥٠٧، (١٠١٦).

أيها المسلمون: ولما ينطق به اللسان أهمية كبيرة جدّاً، وتأثير كبير على الأعضاء كلّها، ومسيرة الإنسان في استقامته واعوجاجه ولذلك فإنّ الأعضاء تأمره كلّ يوم أن يتّقي الله فينا، فعن سيدنا أبي سعيد الْخُدْري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إذا أصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فإنّ الأعضاء كُلَّها تُكَفِّرُ اللِّسانَ فتقولُ: اتَّقِ الله فينا، فإنّما نحن بك، فإن استقمتَ استَقَمْنا، وإن اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنا»[1].

قال الشيخ المفتي أحمد يار خان النعيمي رحمه الله تعالى: إنّ الأعضاء تخضع وتذلّ للِّسَان وتلح على اللسان تقول له: نجاتنا بك، فإن أنت استقمتَ على نَهْجِ الشرع ربحنا تبعاً لك، وإن أنت انحرفتَ عن طريق الهدى خسرنا اقتداءً بك، واعلموا أنّ اللسان هو تُرْجُمان القلب والمعبِّر عنه[2].

أيها المسلمون: إنّ كثيراً من الأمراض التي تصيب العلاقات الاجتماعية من غيبة، ونميمة، وسبّ، وشتم، وقذف، وخصام وإيذاء وغير ذلك فللِّسان فيها النصيب الأكبر وإذا سمح

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الزهد عن رسول الله، ١٨٣/٤، (٢٤١٥).

[2] ذكره أحمد يارخان النعيمي (ت ١٣٩١هـ) في "مرآة المناجيح"، ٤٦٥/٦.

الإنسان للسانه أن يلغو في هذه الأعراض وغيرها كان عرضة للنهاية التعيسة والإفلاس في الدنيا والآخرة لأذى المسلمين، فعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم: «من آذَى مسلماً فقد آذَاني، ومن آذَاني فقد آذَى الله»[1].

اعلموا إخواني المسلمين: أنّ العبد قد يشتري بكلمة طيبة رضوان الله ورحمته، وبكلمة أخرى قد يسخط الله عليه، لما روي عن سيدنا بلال بْنِ الحارث الْمُزَني رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّ الرجلَ لَيتكلّمُ بالكلمة من رضوان الله عزّ وجلّ ما يظُنُّ أن تبْلُغَ ما بلَغَتْ يكتُبُ الله عزّ وجلّ له بها رضوانَه إلى يوم القيامة، وإنّ الرجل لَيتكلّمُ بالكلمة من سَخَط الله عزّ وجلّ ما يظُنّ أن تبْلُغَ ما بلَغتْ يكتُبُ الله عزّ وجلّ بها عليه سَخَطَهُ إلى يوم القيامة»[2].

قال الشيخ المفتي أحمد يارخان النعيمي رحمه الله تعالى: ينبغي للمسلم أن يحترس ممَّا ينطق به لسانه فربّ كلمة يكتب

---

[1] أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط"، ٣٨٧/٢، (٣٦٠٧).

[2] أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، ٣٧٥/٥، (١٥٨٥٢).

اللهُ بها لقائلها سخطه إلى يوم القيامة[1]. ولذلك كان سيّدنا عَلْقمة رضي الله تعالى عنه وهو أحد رُوَاة هذا الحديث يقول: «كم من كلامٍ قد مَنَعَنِيْه حديث بلال بن الحارث»[2]. فكان يمتنع عن كثير من الكلام حتّى لا يسجل عليه قول أو تدون عليه كلمة من اللغو الذي لا فائدة فيه. وروي عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول: «إنّ أكثر خطايا ابن آدم في لسانه»[3].

ومن هنا أيّها الإخوة الكرام: كان حريّاً بالمسلم أن يحفظ لسانه فلا يتكلّم إلاّ فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه ودنياه، ويسائل نفسَه قبل أن يتحدَّث عن جَدْوَى الحديث وفائدته، فإن كان خيراً تكلَّم وإلاّ سكت، والسُّكوتُ في هذه الحالة أولى به من منطق؛ لأنّ الإكثارَ من الكلام في غير ذكر الله وعبادته أو مصلحَة النفس والآخرين سببٌ للوقوع في السَّقَط وزيادة الهذيان الذي يذهبُ معه الرشدُ وتستجلبُ الفضائح، وقد

---

[1] ذكره أحمد يار خان النعيمي في "مرآة المناجيح"، ٤٦٢/٦.

[2] ذكره أحمد بن حنبل في "مسنده"، ٣٧٥/٥، (١٥٨٥٢)، وابن عساكر في "تاريخ مدينة دمشق"، باب من اسمه بلال، ٤١٧/١٠.

[3] أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"، ٢٤٠/٤، (٤٩٣٣).

جاء عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من كان يُؤمنُ بالله واليوم الآخر فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ»[1]. أيها المسلمون: اتَّقوا الله، واضبطوا ألسنتَكم، وحاسبوا أنفسَكم قبل أن تتلفَّظوا بأيّ كلمة، فما كان خيراً فتكلّموا به، وما كان سوءاً فدعوه، ويجب الحذر من آفات اللسان، فإنّها قد تهلك الإنسانَ وتجعله في النار، وإنّ آفات اللسان كثيرة ومتنوّعة، منها ما نلاحظه في بعض المجالس والاجتماعات من بذاءة وفحش ومن سبّ وشتم ولعن وسخرية وهمز ولمز بأساليب عديدة، تجري على الألسنة بسهولة ويسر دون تفكير في العاقبة، وقد لا تطيب المجالس عند البعض، ولا يحلو الحديث لديهم، إلاّ بهذه الأساليب الساقطة التي تناقض الحياء الذي ينبغي أن يكون عليه المؤمن والأنكى من ذلك والأشدُّ أنّ بعض النفوس أدمنت عليه، ويرون أنّه من باب المزاح والتسلية وقضاء الأوقات وتحلية المجالس، وما علم هؤلاء أنّهم وقعوا بذلك في الفسق والضلالة، وأضاعوا أوقاتهم، وحملوا أنفسَهم الأوزار.

---

[1] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأدب، ٤/١٠٥، (٦٠١٨).

أيها المسلمون: إنّ إطلاق العنان للسان يوقع الإنسانَ في العصيان كالكذب، والغيبة والنميمة، والرياء والنفاق والفحش، والبذاء، والخوض في الباطل، وإيذاء الخلق، وهتك العورات، ويقسي القلب ويُقلّ البهاء والمهابة فينبغي للمسلم أن يزن كلمته، ويراقب أقواله، ويحذر من الاسترسال في الكلام، فإنّ للكلام سقطات، فعن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «الْبَذَاءُ من الْجَفاء، والْجَفاءُ في النار»[1]. قال المفتي أحمد يارخان النعيمي رحمه الله تعالى: من يتجرَّأ على الشريعة الإسلامية بالفحش والبذاء، وكثرة الكلام فهو الجافي والغَلِيْظ الخِلْقَة والطَّبْع، ويفقد حياءه، ثم ينحط إلى أسفل الدركات بسوء الأدب مع الله ورسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم[2].

أيها المسلمون: ومن الناس من يعجبه كثرة الكلام، ويجرد لسانه مقراضاً لتمزيق الأعراض، والتشهير بالآخرين، والطعن فيهم، والاستطالة على من هم دونه في العلم والجسم،

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب البر والصلة، ٤٠٦/٣، (٢٠١٦).

[2] ذكره الشيخ أحمد يارخان النعيمي في "مرآة المناجيح"، ٦٤١/٦.

وربّما حرص أن يتكلَّم في جمعٍ من الناس، ومع ذلك يحبّ أن يتكلّم في كلّ مجلس بنوع مشاركة سواء كان الحديث مناسباً أم لا؟ فهو يهرف بما يعرف وما لا يعرف ويتكلّم بلا حساب، ولا يسكت عن ذكر الناس، بل تراه يغتاب الأحياء والأموات، فلا يترك حيّاً ولا ميتاً إلاّ ويقول فيه شرًّا، ويترك الخير، ووقوعُه في محظورات لا حصر لها، أعاذنا الله وإيّاكم من ذلك.

أيها المسلمون: وهناك بعض الأمثلة التي عدّها سيدنا الإمام الغزالي رحمه الله تعالى من الكلام الذي يتطرق إليه إثم أو ضرر ومن هذه الأمثلة: أن تسأل غيرك عن عبادته فتقول له: هل أنت صائم؟ فإن قال: نعم، كان مظهرًا لعبادته فيدخل عليه الرياء، وإن لم يدخل عليه الرياء خرجت عبادته من السرّ إلى الجهر، وعبادة السرّ تفضل عبادة الجهر بدرجات، وإن قال: لا، كان كاذباً، وإن سكت كان مستحقراً لك وتأذيت به، وإن احتال في الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال: إمّا للرياء أو الكذب أو للاستحقار أو للتعب ومن الأمثلة أيضاً: أن ترى إنساناً في الطريق فتقول: من أين؟ فربّما يمنعه مانع من ذكره، فإن ذكره تأذى به واستحيى، وإن لم يصدق وقع في

الكذب وكنت السبب فيه، فهذه الأمثلة وأشباهها من جنس الكلام الذي يتطرق إليه إثم أو ضرر، والكلام فيما لا يعني مذمومٌ؛ لأنّ فيه تركاً لأولى، فصاحبه يضيِّع به وقته، وكان من الأولى أن يصرف هذا الوقت فيما ينفع، ومهما تأدّى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول، أي: فضل عن الحاجة، وهو أيضاً مذموم[1].

فالواجب على المسلم أن يقتصر من الكلام على ما يؤدِّي المقصود وأن يستحيي أيضاً من كلّ نقص يدخل فيه من فضول الدنيا أو من فضول الكلام وأن ينطق بحاجته في معيشته التي لا بدّ له منها، ولكن وللأسف الشديد إنّ كثيراً من الناس يطلقون الكلمات في زماننا هذا ولا يلقون لها بالاً ولا يحاسبون أنفسهم عند قولها أهي خير أم لا، ولا ينظرون في عاقبتها.

أيها المسلمون: الكلمة كالسهم إذا انطلق لا يعود، فعلى باريها وراميها أن يحدّد المقصود والهدف بدقّة، فمن الحكمة أن يراجع الإنسان نفسه عند كلّ كلمة يريد أن يقولها، ولا يكثر الكلام تكلّفاً وخروجاً عن الحقّ، وقد جاء عن سيدنا

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب آفات اللسان، ٣/١٤٠-١٤١.

أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من تعلَّم صَرْفَ الكلامِ؛ لِيَسْبِيَ به قُلُوبَ الرِّجَال أو الناس لم يَقْبَل الله منه يوم القيامة صَرْفًا ولا عَدْلاً»[1].

قال الشيخ عبد الحقّ المحدّث الدهلوي رحمه الله تعالى: والمراد من صرف الكلام: التصنّع في الكلام والتكلّف لتحسينه والزيادة فيه من وراء الحاجة وقد يدخله الإنسان الرياء ويخالط كلامه الكذب، ويزيله عن موضعه بلسانه إرادة التلبيس على الناس[2].

فينبغي للمسلم أن يحترز من صرف الكلام عن مقاصده، ولا يتكلّف فيه أكثر من قدر الحاجة، ولا يستخدم لسانه في أذى الناس، ولا فيما حرّم الله تعالى من الكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور والإفساد بين الناس، ولا يسمح لنفسه بارتكاب الكبائر بهذا اللسان، ويستخدم لسانه في الذكر ونشر العلم ويحاسب نفسه من خلال كتيب الجوائز المدنية، ويسافر في سبل الله مع قوافل الإخوة الدعاة إلى الله تعالى.

وفي نهاية المطاف أذكر لكم آداب دخول البيت

---

[1] أخرجه أبو داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ) في "سننه"، ٣٩٢/٤، (٥٠٠٦).

[2] ذكره الدهلوي في "اشعة اللمعات"، ٦٦/٤، وانظر "الآداب" للبيهقي، ٤٢٢/١.

والخروج منه؛ ليحرِص المسلمُ على أدائها اقتداءً بسنّة النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم وينال بذلك الأجر العظيم، فقد قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «من أحيى سنَّتي فقد أحبَّني، ومن أحبَّني كان معي في الجنّة»[1].

أيها المسلمون: ينظر الإسلام للمنزل باعتباره مكاناً يأوي إليه الناس؛ ليجدوا فيه الراحة والأمن والطمأنينة، ومن ثم فلقد شرَعَ للدخول والخروج منه آداباً يتحقّق معها كلّ ذلك ومن تلك الآداب:

[١]: أن يسلِّم على أهل بيته كلّما دخل البيت أو خرج منه لما فيه من البركة باستفتاح لقائهم بهذه السنّة المباركة.

[٢]: وإن دخل بيتاً ليس فيه أحد يقول: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين». فإنّ الملائكة تردّ عليه السلام[2].

أو يقول: «السلام على النبي ورحمة الله وبركاته»؛ لأنّ روحه عليه الصلاة والسلام حاضرة في بيوت أهل الإسلام[3].

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب العلم عن رسول الله، ٣١٠/٤، (٢٦٨٧).

[2] ذكره ابن عابدين في "رد المحتار"، كتاب الحظر والإباحة، ٦٨٢/٩.

[3] ذكره الملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ) في "شرح الشفاء"، ١١٨/٢.

[٣]: ويسنّ لداخل البيت أن يسمِّي الله تعالى؛ لأنّ الشيطان لا بقاء له مع اسم الله تعالى وقد علَّمنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذكراً لدخول المنزل وهو: «اللّهمّ إنّي أسألك خيْرَ الْمَوْلَج وخيْرَ الْمَخْرَج باسم الله ولَجْنا، وباسم الله خرَجْنا وعلى ربِّنَا توكَّلْنا»[١].

[٤]: وإذا أراد أن يخرج من بيته فليسلِّم على أهله، ثم يذكر دعاء الخروج من المنزل وهو: «باسم الله، توكَّلْتُ على الله، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله»[٢].

[٥]: ومن الآداب التي حثَّ عليها الإسلام: الاستئذان قبل دخول البيوت؛ لما فيه من حفظ عورات الناس وأمورهم الخاصّة.

[٦]: ولا يجوز نظر الرجل في بيت غيره، إلاّ بإذنه والاستئذان لم يشرع إلاّ من أجل البصر.

[٧]: وإن أتى دار غيره يستأذن للدخول ثلاث مرّات بدَقّ الباب أو طَلَب الدخول، يقول في كلّ مرّة: السلام عليكم

---

[١] أخرجه أبو داود في "سننه"، باب ما يقول الرجل إذا دخل، ٤/٤٢١، (٥٠٩٦).
[٢] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الدعوات، ٥/٢٧٠، (٣٤٣٧).

يا أهل البيت، أيدخُلُ فلان؟ فإذا أُذِن له دخَل، وإلاّ رجَع سالماً عن الحِقْد والعَداوة ولا يزيد على الثلاث[1].

[٨]: والسنّة إذا قيل للمستأذن: من أنت؟ أن يسمّي نفسه ولا يقول: أنا[2].

[٩]: وينبغي على المستأذن ألا يقف تُجَاهَ الباب للاستئذان بل يقف عن يمين أو شمال الباب حتّى لا يقع بصره على موضع لا يحلّ له النظر إليه أو على شيء يكره ربّ الدار لأحد رؤيته.

[١٠]: ومن الأدب: أن يدعو لربّ الدار ويحفظ أسرار بيته الخاصّة، ولا يذيعها أمام أحد، ويقدِّم له من الهدايا ما يفرح به أهله وأولاده.

والحمد لله ربّ العالمين، نسألك اللّهمّ اتّباعًا لسنّة نبيّك ظاهراً وباطناً، وبالله التوفيق.

---

[1] ذكره الشامي في "ردّ المحتار"، ٦٨٢/٩.

[2] ذكره النووي في "رياض الصالحين"، كتاب السلام، صـ٢٥٤.

عظام الملوك

لفضيلة الشيخ الداعية الكبير أبي بلال محمد إلياس العطار
القادري الرضوي حفظه الله تعالى

تعريب
مجلس التراجم


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، **أمّا بعد:**

فقد قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من صلَّى عليّ يوم الْجُمُعَة كان شَفاعَته له عندي يوم القيامة»[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمّد

كان امرؤ القيس الكندي وهو مخرق الأوّل، طويل المصاحبة للّهو واللذّات، كثير العُكُوف على اللَّعب فرَكِب يوماً إمّا متبدياً وإمّا متصيّداً، فانقطع عن أصحابه، فإذا هو برجُلٍ جالس قد جمَع عِظاماً من عِظَام الْمَوتى وهي بين يديه يُقَلِّبها. فقال: ما قصّتُك أيّها الرّجُل، وما بلَغ بك إلى ما أرَى من سوء الحال ويُبس الجسم وتلويح اللَّوْن، والانفراد في هذه الفَلاَة؟ فقال: أمّا ذلك فلأنّي على جَنَاح سفر بعيد، وبي موكَّلان مُزعجان يَحْدُوان بي إلى منزل ضَنْك المحلّ، مُظْلم الْقَعْر، كَرِيْه الْمَقَرّ، ثم يسلِّماني إلى مصاحبة البِلَى ومجاورة الْهَلْكَى، تحت أطباق الثَّرَى، فلو تركتُ بذلك المنزل مع جفائه وضِيْقه

---

[1] ذكره عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) في "القول البديع"، صـ٣٧٨.

ووحشته وارتعاء خَشَاش الأرض في لحمي وعصبي، حتّى أعود رُفاتاً وتصير أعْظُمي رِمَاماً، كان للبلاء انقضاء وللشَّقَاء نهاية، ولكنّي أدفع بعد ذلك إلى صَبِيْحة الْحَشْر، وأرد لهول مواقف الجزاء، ثم لا أدري إلى أيِّ الدارَيْن يُؤْمَر بي، فأيّ حال يَلتَذُّ به من يكون إلى هذا الأمر مصيرُه؟ فلمّا سَمِع الْمَلِكُ كلامَه أَلْقَى نفسه عن فرَسه وجَلَس بين يدَيْه، وقال: أيّها الرجل، لقد كدَّر مقالُك عليّ صَفْوَ عَيْشِي، ومَلَكَ قلبي، فأَعِدْ عليّ بعضَ قولك، واشرَحْ لي دينك، فقال له: أما تَرَى هذه التي بين يدَيَّ؟ قال: بلى، قال: هذه عظام مُلُوك غرَّتْهم الدنيا بزُخْرُفها، واستحوَذَت على قُلُوبهم بغُرُوْرها، فأَلْهَتْهم عن التأهُّب لهذه الْمَصَارع، حتّى فاجَأَتْهم الآجالُ وخذَلَتْهم الآمالُ وسَلَبَتْهم بَهَاء النعمة وستُنْشَر هذه العِظَام فتَعُوْد أجساداً، ثم تُجازَى بأعمالها، فإمّا إلى دار القرار وإمّا إلى محل البَوَار ثم اختلس الرجل فلم ير له أثر وتلاحق أصحاب الملك وقد امتقع لونه وتواصَلَتْ عَبَراته وركب وقيذاً، فلمّا جنَّ عليه الليلُ نَزَع ما عليه من لِبَاس الملك ولبس طِمْرَين وخرج تحت الليل فكان آخر العهد به رحمه الله تعالى[1].

[1] ذكره عبد الله بن أحمد (ت ٦٢٠هـ) في "كتاب التوابين"، توبة امرئ القيس، صـ٤٧.

أيها المسلمون: إنّها حقّاً لعبرة صادقة، ونظرة ثاقبة، في حال العاقبة، فلا شكّ أنّ أحوال البرزَخِ وما بعدَه من الْحَشْر والعَرض والسُّؤال شديدة عظيمة، وكذلك ما قبلها من مَراحل الموت من قَبْضِ الرُّوْح ورؤية مَلَك الموت وخوف سُوْء الخاتمة كلّ ذلك يبلغ بالعبد ذُرْوَة الكَرْب والشدَّة.

قال سيِّدُنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لسيِّدنا كعب الأحبار رضي الله تعالى عنه: يا كعب، حدِّثْنا عن الموت فقال سيّدنا كعب رضي الله تعالى عنه: «نعم يا أمير المؤمنين، إنّ الموت كغُصْن كثير الشَّوْك، أُدْخِل في جَوْف رجل، فأَخَذَت كلُّ شَوْكَة بعرق، ثم جَذَبه رجلٌ شديد الْجَذب، فأخَذ ما أخَذ، وأبقَى ما أبقَى»[1].

وكان سيّدنا عليّ المرتضى رضي الله تعالى عنه يحُضُّ على القتال ويقول: «إن لم تقتُلوا تموتوا، والذي نفسي بيده، لألفُ ضَرْبة بالسَّيْف أَهوَنُ عليّ من موتي على فِرَاش»[2]. يعني: أنّ الشهيد لَمّا يرى من نعيم الجنّة أو قد يرى النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم تَشْغله ذات جمال المصطفى صلّى

---

[1] ذكره ابن أبي شيبة في "مصنفه"، كتاب الزهد، ما قالوا في البكاء من خشية الله، ٣١٢/٨، (١٢٢)، والغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، ٢١٠/٥.

[2] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، ٢٠٩/٥.

الله تعالى عليه وسلّم من أن يحسّ بشدّة ألَمِ ضرَباتِ السُّيُوْف وسكَرات النَّزْع، وأمّا من مات على فراشه فتَمُرّ به جميع مراحل الشِّدّة والْمَرارَة، وهو يَسْتَشْعِر بها، لما روي عن سيّدنا إبراهيم على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام أنّه قال لملَك الموت عليه السلام: هل تَسْتَطِيْع أن تُرِيني صورتَك التي تَقْبض عليها رُوْح الفاجر؟ قال: لا تطيق ذلك، قال: بلَى، قال: فأَعْرِضْ عنّي فأعْرَضَ عنه، ثم التَفت فإذا هو برجلٍ أَسْود، قاتمِ الشَّعْر، مُنْتِن الرِّيْح، أسود الثياب، يخرج من فيه ومناخيره لَهيبُ النار والدُّخَان فغُشِي على سيِّدنا إبراهيم عليه السلام، ثم أفَاق وقد عاد ملَكُ الموت إلى صورته الأُولى فقال: يا ملَكَ الموت لو لم يَلْقَ الفاجرُ عند الموت إلاّ صورةَ وجهك لكان حَسْبه[1].

أيّها المسلمون: فما بالُنا نَعيش مُطمئنِّيْن ونَنسى الموت وكُرُباته ونَتلَهّى عن أهواله وسَكَرَاته وإنّ كلّ نفس نَتنَفَّسه يسير بنا نحو الموت قَدَماً، وأيّامُ حياتنا ولَيَاليها تُقرِّبنا من الموت ساعةً بعد ساعة، ومَهْمَا ينعم أحَدُنا بربيع الحياة، فسوف يأتيه خريف الموت، ومهما يعيش أحَدُنا عيشَ تَنعُّم وتَرفُّه، فسوف ينتهي الكلّ يوم يأتيه أجَلُه، ومهما يفرح أحَدُنا بمُصاحَبة

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، باب في سكرات الموت، ٥/٢١٠.

الأحباب فسيُذيقه الموت غمّ الفِراق، كم من مغرور ذو عزّة وجاه رَغِم أنفُه تحت أيدي الموت، وكم من حاكم ظالم نقَله الموت من الْقُصُوْر الشامخة إلى القبور الْمُظْلِمة، وكم من عَريس في ليلة عُرْسه بدلاً من أن يدخُل إلى غُرْفة العروس أدخَله الموت إلى حُفْرة الدُّود، وكم من شابّ أصابته سِهام الْمَنَايا، فما أنتم فاعلون إذا حلّ بكم الْمَنُون؟ هل تستطيعون له دَرْأً أم منه ستهربون؟ إنّ لكل نفس أجَل، فإذا جاء أجَلُ الناس لا يَسْتأخرون عنه ساعة ولا يَسْتقدمون.

فليَتّق الله الظالمون، وليتدارك الوقت الْمُضيِّعون، وليُبادر إلى التوبة الْمُقصِّرون، قبل هُجوم الموت وكُرُباته، فيا خَسَارة البَطّالين عندها، قال الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم: ﴿**فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا**﴾ [الحج: ٢٢/٤٥]. وكان سيّدنا أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه يقول في خُطْبته: أين الوضاة الحسنة وجوههم؟ أين الْمُعْجَبُوْن بشَبابهم؟ أين الْمُلُوْك الذين بَنوا الْمَدائن وحَصَّنوها بالحِيْطان؟ أين الذين كانوا يُعطون الغَلَبة في مَوَاطن الْحَرْب؟ قد تَضَعْضَع بهم الدَّهْر فأصبحوا في ظُلُمات القُبُوْر، الوَحا الوَحا، النجا النجا[1].

---

[1] ذكره ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) في "ذم الهوى"، صـ٤٣٦.

أيها المسلمون: فهذا سيّدنا أبو بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه يُوْقِظنا من سنة الغَفْلة ويُنَبِّهنا على ما نحن مُقْبِلون عليه في القبر من الوحشة والظُّلمة، ووالله إنّ في تَغْطية أنفسنا بِرداء الغفلة مع علمنا بشدَّة الموت وظُلمة القبر ووحشته وطول الْمُكْث فيه: صَيْرُورة أجسامنا قُوْتاً للحَشَرات وبلاء العِظَام، فلقد كان سيّدنا عثمان رضي الله تعالى عنه إذا وقَف على قَبْر بكَى حتّى يَبُلَّ لحيتَه فقيل له: تُذْكَر الجنّة والنار فلا تَبْكي وتَبْكي من هذا، فقال: إنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «إنّ الْقَبْر أوّلُ منزل من مَنَازل الآخرة، فإن نَجَا منه فما بعده أيسَرُ منه، وإن لم يَنْجُ منه فما بعده أشدُّ منه»[1].

انظروا إخواني المسلمين إلى خَشْية سيّدنا عثمان رضي الله تعالى عنه مع كونه من المبشَّرين بالجنّة، وأمّا نحن فلا نعلم ماذا يكون حالُنا وأين يكون مآلنا، ومع ذلك فما نزال نتورَّط في وَحْل الذُّنوب ونكدس الْمَعاصي فرحين مسرورين، تَكالَبت علينا الذنوب، ونحن لاهون غافلون عن نداء القبر.

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الزهد عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم، باب ما جاء في ذكر الموت، ٤/١٣٨، (٢٣١٥)، وأحمد بن حنبل في "مسنده"، مسند عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، ١/١٤٠، (٤٥٤)، والحاكم في "المستدرك"، ١/٧٠٢، (١٤١٣).

يقال: إنّ الأرض تُنادي كلّ يومٍ خَمس مرّات: أوّلُ نداء تقول: يا ابن آدم تمشي على ظَهْري ومصيرُك إلى بَطْني. والثاني تقول: يا ابن آدم تأكل الألوان على ظهري وتأكلك الديدانُ في بَطْني. والثالثُ تقول: يا ابن آدم تَضْحَك على ظَهْري فسوف تبكي في بَطْني. والرابع تقول: يا ابن آدم تَفْرَح على ظَهْري، فسوف تَحْزَن في بَطْني. والخامس تقول: يا ابن آدم تُذْنِب على ظَهْري فسوف تُعذَّب في بَطْني[1].

وروي أنّ الرُّوْح إذا خَرَجت من الْجَسَد ومَضى عليها سبعةُ أيّام تقول: يا ربِّ عزّ وجلّ ائْذَن لي حتّى أَنْظُر إلى جَسَدي ما حاله؟ فيُقال لها: اذْهبي فتَأتي الروح إلى القَبْر فتَنْظُر إليه من بعيد، فتراه مُتغَيِّراً يسيل من مَنْخَره ماء ومن فمه ماء ومن عَينَيْه ماء ومن أذنيه ماء فكأنّه في وَسْط لُجَّة فتقول له: صِرْتَ إلى هذا الحال بعد نَضَارة جسْمك، ثم تَمْضي حتّى إذا كان بعد سبعة أيّام أُخَر تقول: يا ربِّ عزّ وجلّ ائْذَن لي حتّى أَنْظُر إلى جسَدي ما حالُه؟ فيقول الله تعالى: اذْهبي فتَأتي إلى القَبْر فتَنظُر إليه من بعيد فتراه قد تَغيَّر وقد صار الماء الذى فيه صديداً والذي في عَيْنَيْه قَيْحاً والذي في أَنْفه دماً، فتقول له: صِرْتَ إلى

---

[1] ذكره أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) في "تنبيه الغافلين"، باب عذاب القبر وشدته، صـ٢٣.

هذا الحال، ثم تَمْضي حتّى إذا كان بعد سبعة أيّام قالت: يا ربِّ عزّ وجلّ ائْذَن لي حتّى أنظُر إليه هذه الْمَرّة ما حاله؟ فيقول لها: اذْهبي فتَأْتيه فتَنْظُر إليه من بعيد فتراه، وقد صار الصديدُ دُوداً، وقد سَقَطت حَدَقَتاه على وجهه، والدُّود يَدْخُل في فيه، ويخرُج من مَنْخَره، فتقول: صِرْتَ إلى هذا الحال بعد النعيم والدلال، تالله ما يَنْفَع الْمَرْء في قَبْره غيرُ التقى والعملِ الصالح[1].

وعن سيدنا الضَّحَّاك بن مُزاحمٍ رضي الله تعالى عنه قال: أتى النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم رجل، فقال: يا رسول الله، من أزهَدُ الناس في الدنيا؟ فقال: «من لم يَنْسَ المقابر والبِلَى، وترَك أفضَل زِينَة الدنيا، وآثر ما يبقَى على ما يفنَى، ولم يعدّ غداً من أيّامه، وعَدّ نفسه من الْمَوتى»[2].

وعن سيّدنا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنّه كان يقول: «إنّكم في مَمَرّ الليل والنَّهَار، في آجال منقوصة، وأعمال مَحْفوظة والموتُ يأتي بَغْتةً، فمن يزرع خيراً يُوْشك أن يَحْصُد رغبةً، ومن زرَعَ شرّاً فيُوْشِك أن يَحْصُد نَدامةً، ولكلّ زارع مثل الذي زرَع»[3].

---

[1] ذكره شعيب الحريفيش (ت ٨١٠هـ) في "الروض الفائق"، صـ٢٨٣.

[2] ذكره ابن أبي شيبة في "مصنفه"، كتاب الزهد، ١٢٧/٨، (١٧).

[3] أخرجه أحمد بن حنبل في "الزهد"، صـ١٨٣، (٨٨٩).

أيها المسلمون: خُذُوْا من ذلك عبرةً، فإنّ العاقل من انتفع بالْمَوْعظة وأخَذ حذره، فحاسبوا أنفسَكم قبل أن تحاسبوا ومهِّدوا لها قبل أن تعذَّبوا، فإنّ الكيِّس من دانَ نفسَه وعمل لما بعد الموت وإلاّ فالقبر لا يراعي من دخل فيه سواء كان غنيّاً أو فقيراً وزيراً كان أو مُشيراً حاكماً كان أو محكوماً، مُوظِّفاً كان أو عاطلاً سيّداً كان أو عبداً، طبيباً كان أو مريضاً، مُقاولاً كان أو عاملاً، إن نقص عنده شيء من زاد الآخرة بتأخير الصَّلَوات عن وَقْتها أو تَرْك صيام شهر رمضان المبارك بدون عُذر شرعي أو الامتناع عن أداء الزكاة المفروضة أو عدم الحجّ مع الاستطاعة أو اقتراف الذنوب من الكَذِب والغيبة والنميمة وعُقوق الوالدين وانغمس في الذنوب والمعاصي واتباع الشهوات ومشاهدة الأفلام والْمَسْرَحيّات وجمع المال من المكاسب المحرمة فلا يَحْصُل له سوى الحسرة والنَّدَامة، ويبوء بمعصية الله وسخطه، وعليه غضب الله ورسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وأمّا من أدَّى الفرائض مع الالتزام بالنوافل ونشر دعوة الإسلام في كلّ مكان، وتعلَّم القرآن وعلّمه ولم يتردّد في الدعوة إلى الله تعالى فسيخوض في بحار الرحمة في قبره إلى يوم القيامة بإذن الله تعالى، وتنفجر فيه ينابيع رحمة سيّد الأنام مصباح الظلام حبيب الملك العلام عليه أفضل الصلاة والتسليم.

أيها المسلمون: إنّ الله تعالى خلق الإنسان لعبادته وأمَره بطاعته، وأمّا من عصَى ولم يقبَل الهدى، بل طغَى وآثَر الحياة الدنيا فإنّ الجحيم هي الْمَأْوَى.

أيها المسلمون: ما أقرب الحياة من الْمَمات فليس بينكم وبين ذلك، إلاّ أن يقال: فلان مات، فإنّ الدنيا موصولة بالآخرة فمن حضَره أجَلُه رَحَل وقَدِم على ما قَدَّم من العمل وأنتم في هذه الحياة الدنيا ممهلون إلى أَجَل مسمّى، فإذا استنفدتم الأنفاسَ واستَكْمَلتم الأرزاق وبَلَغتم الآجال، وأوشَكْتم على انقطاع الأعمال نَزَل بكم الموت وانقطع منكم النفس والصوت فحينئذ تنقلون من القُصُوْر إلى القُبُوْر، وتبقون في البَرْزَخ إلى يوم النُّشُوْر، وتذكّروا أيّها المسلمون يوماً تَنْطِق فيه الشُّهُود منكم عليكم، وتَفِرّون من أقرب الناس إليكم يوم يَفِرُّ الْمَرْءِ من أخيه وأمّه وأبيه وصاحبته وبنيه، لكلّ امرئ منهم يومئذ شأنٌ يُغْنيه، يومها ترمي الأمّ الحنون بطفلها في غير وعي، والكلُّ يقول: نفسي نفسي ولا يكفي الظالم أن يبتعد عن ذويه بالفرار.

قال الفُضيل بن عياض رحمه الله: المرأة تَلقى ولدَها يوم القيامة فتقول: يا ولدي ألم يكن بَطْني لك وِعاء؟ ألم يكن ثَدْيي لك سِقاء؟ ألم يكن حجري لك وطاء؟ فيقول: بلى يا أمّاه، فتقول: يا بُنيّ، قد أثقلَتْني ذُنُوبي، فاحمِلْ عنّي منها ذنباً واحداً،

فيقول: إليك عنّي يا أمّاه، فإنّي بذنبي عنك مشغول[1]. قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ١٠١/١-١١].

أيها المسلمون: فتصَوّروا وُقوفكم مُنْفرِدين وقد أدنيت الشمس من رُؤوس الخلائق فبينما أنتم على تلك الحال اشتدّ الكَرْب وازدحمت الخلائق وتدافعت وتضايقت واختلفت الأقدام وشَخَصت الأحداق وتطاولت الأعناق، وانْثنت من شدّة العَطَش والْخَوْف وانضاف إلى شدّة حَرّ الشمس وكثرة الأنفاس، وفاض عَرَقهم على وجه الأرض، ثم على أقدامهم ثم على قدر مراتبهم ومنازلهم عند ربّهم من السَّعَادة والشَّقَاء فمنهم من يكون العرَق إلى كَعْبَيْه، ومنهم إلى حَقْوَيْه ومنهم إلى شَحْمَة أُذُنَيْه ومنهم من يُلْجمه العرَقُ إلجامًا لما روي عن سيّدنا عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنّ النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال:

---

[1] ذكره القرطبي (ت ٦٧١هـ) في "الجامع لأحكام القرآن"، الجزء الرابع عشر ٢٤٧/٧، وشعيب الحريفيش في "الروض الفائق"، صـ١٩٣.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦/٨٣]. حتّى يَغِيْب أحدُهم في رَشْحه إلى أَنْصَاف أُذُنَيْه[١]. وعن سيدنا عُقْبَة بن عامر رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول: «تَدْنُو الشمس من الأرض فيَعْرَق الناسُ فمن الناس من يَبْلُغ عَرَقُه عَقِبَيْه ومنهم من يبلُغ إلى نصف الساق ومنهم من يبلُغ إلى رُكْبَتَيْه ومنهم من يبلُغ الْعَجُزَ، ومنهم من يبلُغ الخاصرَةَ ومنهم من يبلُغ مَنْكِبَيْه، ومنهم من يبلُغ عُنُقَه، ومنهم من يبلُغ وسطَ فيه». وأشار بيده فألْجَمَها فاهُ. رأيتُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يشير هكذا: «ومنهم من يُغَطِّيه عَرَقُه». وضرَب بيده إشارةً[٢]. وعن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: سمعتُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم تلا هذه الآية: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦/٨٣]. فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «كيف بكم إذا جمَعكم الله عزّ وجلّ كما يجمع النبل في الكِنانَة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم؟!»[٣].

قال سيّدنا الحسن البَصْري رحمه الله تعالى: ما ظُنُّك

---

[١] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب التفسير، ٣/٣٧٤، (٤٩٣٨).

[٢] أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، ٦/١٤٦، (١٧٤٤٤).

[٣] أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير"، ١٣/٢٦، (٨٥).

بيوم قاموا فيه على أَقْدامهم مقدار خمسين ألف سَنة لا يَأْكُلون فيها أَكْلةً ولا يَشْرَبون فيها شربةً، حتّى إذا انقطعت أَعْناقُهم عطَشاً واحترقت أجوافُهم جُوْعاً انصرف بهم إلى النار، فسُقُوْا من عين آنية قد آن حرُّها واشتدّ لَفْحها، فلمّا بلَغ المجهود منهم ما لا طاقةَ لهم به كَلّم بعضُهم بعضاً في طَلَب من يكرم على مولاه ليشفع في حقّهم، فلم يتعَلّقوا بنبيّ إلاّ دفَعهم، وقال: دعوني نفسي نفسي، شغلني أمري عن أمر غيري، واعتذر كلّ واحد بشدّة غَضَب الله، وقال: قد غَضِب اليوم ربّنا غَضَباً لم يَغْضَب قبله مثلَه، ولا يَغْضَب بعده مثله، حتّى يشفع نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وسلّم لمن يؤذن له فيه[1].

أيها المسلمون: لَهِيب وسَمُوم يلفح الوُجوه ويذَكِّرنا لفح حَرارَته شمسَ ذلك اليوم الطويل، وأهوال يومِ النُّشُوْر، ها هي الشَّمس ترتفع فوق رؤوسنا أكثر من تسعين مليُون ميل، ولهبها يكاد يخنقنا، ولفح سمومها يكاد يسلخ منّا الْجُلود، فلا نطيق بقاء تحت سَمُوْمها ونَفِرّ منه إلى غُرَف مكيفة وأماكن مبردة، ونبحث عن الظلال، ونعرف قيمة الماء البارد العذب الزلال.

إخواني المسلمين: كم في حَرّ الصَّيْف من ذكرى، أرأيتم

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب التوبة، باب منامات المشائخ رحمة الله عليهم أجمعين، ٤/٥٤٨.

وأنتم تَفِرّون من حَرّ الشمس وبينكم وبينها ملايين الأميال فكيف بي وبكم إذا دنت منّا مقدار ميل يوم القيامة؟! أنطيق ذلك؟! فلنوقف أنفسنا على عَتَبات الْمُحاسبة، ونقول لها: أيْ نفسي، أتراك تطيقين الْحَرّ في ذلك اليوم؟! وكيف تهربين من حَرّ الشمس ونسيت فيح وحَرّ جهنّم ولا تهربين منها؟! ليتك أيتها النفس عملت لظِلّ الجنّة كما عملت لداء الْهَرَم والسَّقَم وليتك هَرَبْت من زَفير النِّيْران كما هَرَبْت من شمس النَّهَار.

أيها المسلمون: وإنّ هَوْل القيامة الكبرى شديد لا يكاد يتحمَّله بَشر، فيَوْمها تذهلُ كلّ مرضعة عن رضيعها، وتَضَع كلُّ ذات حَمْلٍ حَمْلها وينتاب الناس الهلع والرعب، وفي ذلك اليوم العَصيب الذي يَقِف فيه الناس على أقدامهم خمسين ألف سنة بموازين الآخرة، ويبلغ الكَرْب والضيق بالناس إلى الدرجة التي يتمنّون معها أن ينفضوا الْمَوْقف وينصرفوا منه ولو إلى النار ولا ظِلّ يومئذ إلاّ ظِلّ العَرْش، فلا يصيب منه عبدٌ ولا أمَةٌ إلاّ على قدر عَمَله، فمن قَطَع عُمْرَه في الدنيا بطاعة الرحمن وعَمَل بالسنّة والقرآن خلَّصه مولاه سبحانه وتعالى من الْهُمُوم والأحزان.

أيها المسلمون: والله نحن مُسْرِفون على أنفسنا، نحن عصاة، لو قبضنا على هذه الحالة كيف يكون حالنا؟! وإنّ الله عزّ وجلّ لو سلط علينا عذاب النار بسبب الذنوب والمعاصي

وبسبب ظُلْم العِبَاد وبسبب أكل المال الحرام ونحو ذلك من القاذورات ماذا يكون حالنا؟! ولو ملأ الله تعالى أعْيُنَنا ناراً بسبب النَّظَر الحرام ماذا يكون حالنا؟ لو صبّ الرَّصَاصُ الْمُذَاب في الآذان بسبب سَمَاع الأغاني فكيف يكون حالنا؟! وكيف تكون روائحُنا أيها المسلمون؟!

فيجب على كلّ مسلم أن يَحْذَر من أن يخسر الدنيا والآخرة، ولا يؤثر الدنيا على الآخرة، فإنّ الدنيا مَزْرَعة الآخرة، فإذا لم يَزْرَع فيها لآخرته فقد خسرها وخسر آخرته، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦/٧٨-٤١].

وينبغي على كلّ مسلم أن يَغْتنم وقت فراغه ونشاطه وزَمَن عافيته وشرخ شبابه وقلّة شواغله قبل عوارض البطالة، ويتذكّر هول المطلع، ويتفكّر في أمر المنقلب، ويتزوّد لذلك بصالح العمل والتوبة إلى الله تعالى من التفريط والزلل؛ ليَفُوْز يوم النشور ويَنْجُو من الذلة يوم العَرْض على الله تبارك وتعالى،

ويَسْعَد بشفاعة النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم.

اللّهمّ وفِّقنا للزوم الطريق الذي يقرِّبنا إليك، وهَبْ لنا نورًا نهتدي به إليك، ويسِّرْ لنا ما يسَّرته لأهل محبّتك، وأيقظنا من غفلاتنا، وألهمنا رشدَنا، واسترنا في الدنيا والآخرة، واحشرنا في زمرة عبادك المتّقين، وألحقنا بعبادك الصالحين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلّى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اَلطَّرِيقَةُ لِإِصْلَاحِ النَّفْسِ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدَّاعِيَةِ الْكَبِيرِ أَبِي بِلَالٍ مُحَمَّدٍ إِلْيَاسَ الْعَطَّارِ
الْقَادِرِيِّ الرَّضَوِيِّ حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

تعريب
مجلس التراجم


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، **أمّا بعد:**

فقد رأى بعض الصالحين صورةً قبيحةً في المنام فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا عَمَلُك القبيح، قال لها: فبمَ النَّجَاة منكِ؟ قالت: بكثرة الصلاة على المصطفى محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم[1].

فحيّ على طريق الْخَلاَص والنجاة من الْهُمُوْم والآفات بكثرة الصلاة على النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم في كلّ حال وحين.

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

روي عن مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه أنّه سئل عن سبب توبته فقال: كنت شرطياً وكنت مُنْهَمِكاً على شرب الْخَمْر ثم إنّي اشتريتُ جاريةً نفيسةً ووقعت منّي أحسن موقع فوَلَدَتْ لي بنتاً فشُغِفْتُ بها، فلمّا دبَّتْ على الأرض ازدادت حبّاً في قلبي وألفتْني وألَفتُها فكنتُ إذا وضعتُ الْمُسْكِر جاءت إليّ وجاذَبَتْني

[1] ذكره السخاوي في "القول البديع"، صـ٢٥٥، (٧).

إيّاه وأهرَقتْه على ثوبي فلمّا تَمّ لها سنتان ماتت فأكمَدَني الْحُزْنُ عليها فلمّا كانت ليلة النصف من شَعْبَان وكانت ليلة جُمُعَة بتُّ ثَملاً من الخمر ولم أصلّ صلاة العشاء، فرأيت في منامي كأنّ أهل القُبُوْر قد خَرَجوا وحشر الخلائق وأنا معهم فسمعت حسّاً من ورائي، فالتفتّ فإذا أنا بتِنِّيْن أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعاً نحوي، فمررت بين يديه هارباً فزعاً مرعوباً، فمررت في طريقي بشيخ نقيّ الثياب طَيِّب الرائحة، فسلّمت عليه فردّ عليّ السلام، فقلت له: أجرني وأغثني، فقال: أنا ضعيف وهذا أقوى منّي، وأنا ما أقدر عليه، ولكن مر وأسرع، فلعلّ الله تعالى أن يسبّب لك من ينجيك منه، فولّيت هارباً على وجهي، فصعدت على شَرَف من شُرَف القيامة، فأشرفتُ على طبَقات النيران فنظرت إلى أهوالها وكدتُ أهوي فيها من فزعي من التنين الذي في طلبي، فصاح بي صائح: ارجِعْ فلست من أهلها فاطمأننت إلى قوله، ورجعت ورجع التنين في طلبي، فصاح بي صائح، فأتيت الشيخ فقلتُ له: يا شيخ، سألتُك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل، فبكَى الشيخ وقال: أنا ضعيف ولكن سر إلى هذا الجبل فإنّ فيه للمسلمين ودائع فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك، فنظرت إلى جبل مستدير فيه كوًى مخرّقة وستور معلّقة، على كلّ كوّة مصراعان من الذهب الأحمر مرصّعة

بالياقوت مكلّلة بالدرّ، وعلى كلّ مصراع ستر من الحرير، فلمّا نظرت إلى الجبل هربت إليه والتنين ورائي، حتّى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة: ارفعوا السُّتُوْر وافتحوا المصاريع وأشرفوا فلعلّ لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوّه، فإذا الستور قد رفعت، والمصاريع قد فتحت، فأشرف عليّ أطفال بوجوه كالأقمار، وقرب التنين منّي فتحيّرت في أمري، فصاح بعض الأطفال: ويحكم أشرفوا كلّكم فقد قرب منه، فأشرفوا فوجاً بعد فوج فإذا بابنتي التي ماتت قد أشرفتْ عليّ معهم فلمّا رأتني بكت وقالت: أبي والله ثم وثبت في كفّة من نور كرمية السهم، حتّى مثلت بين يديّ، فمدّت يدها الشمال إلى يدي اليمين، فتعلّقت بها، ومدّت يدها اليمين إلى التنين فولّى هارباً، ثم أجلستني وقعدت في حجري وضربت بيدها اليمين إلى لحيتي وقالت: يا أبت ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦/٥٧]. فبكيت وقلت: يا بنيّة، وأنتم تعرفون القرآن؟ قالت: يا أبت نحن أعرف به منكم، قلت: فأخبريني عن التنين الذي أراد هلاكي، قالت: ذلك عملك السوء الخبيث، قوّيته فتقوّى فأراد أن يغرقك في النار قلت: فأخبريني عن الشيخ الذي مررتُ به في طريقي، قالت: يا أبت، ذلك عملك الصالح

أضعَفْتَه فضعف حتّى لم يكن له طاقة بعملك السوء، قلت: يا بنيّة، وما تصنعون في هذا الجبل؟ قالت: نحن أطفال المسلمين قد أسكنا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع فيكم، فانتبهت فزعاً مرعوباً فلمّا أصبحت فارقت ما كنت عليه وتبت إلى الله عزّ وجلّ، وهذا سبب توبتي[1].

أيّها المسلمون: كم من العبر البالغة في هذه القصة وسأبيّن لكم بعضاً منها:

أوّلها: أنّ من مات ولده فاحتسبه عند الله كان له زخراً وأجراً ونال به نفعاً كثيراً كما جعل الله تعالى بنتَ سيّدنا مالك بن دينار سبباً لهدايته وعودته إلى الله تعالى والإقبال عليه، حتّى صار في مصافِّ أولياء الله عزّ وجلّ.

ثانيها: بيان فضيلة الآية المذكورة في هذه القصة ومدى تأثيرها على القلب، ولا شكّ أنّ هذه الآية وسيلة لإصلاح النفس وتزكية القلب والوقاية من الذنوب والمعاصي، ولما سمع بعض الناس هذه الآية انشغلوا بالإصلاح النفسي، قياماً بالأوامر والطاعات، وبعداً عن الزواجر والمحرمات، ووصلوا إلى مقام الولاية، فعن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها: قالت: خرج

---

[1] ذكره اليافعي (ت ٧٦٨هـ) في "روض الرياحين"، صـ١٧٣-١٧٤.

رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم على نفر من أصحابه في المسجد وهم يضحكون فسحب رداءه محمرّاً وجهه، فقال: أتضحكون ولم يأتكم أمانٌ من ربّكم بأنّه قد غفر لكم وقد نزل عليّ في ضحككم آية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾. قالوا: يا رسول الله فما كفّارة ذلك؟ قال: «تبكون بقدر ما ضحكتم»[1].

وسئل ابن المبارك رضي الله تعالى عنه عن هذه الآية فقال: إنّي كنت يوماً في بستان وأنا شابّ مع جماعة من أترابي، وذلك في وقت الفواكه، فأكلنا وشربنا، وكنت مولعاً بضرب العود، فقمت في بعض الليل وإذا بغصن يتحرّك على رأسي، فأخذت العود لأضرب به فإذا أنا بالعود ينطق ويقول: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾. قال: فضربت بالعود الأرض فكسرته، وصرفت ما عندي من جميع الأمور التي كنت عليها مما تشغل عن الله عزّ وجلّ وجاء التوفيق من الله تعالى، وكان ما سهل لنا من الخير بفضله وبرحمته[2].

---

[1] ذكره الألوسي في "روح المعاني"، ٢٥٣/٢٧، والسيوطي في "الدر المنثور"، ٥٧/٨.

[2] أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"، باب في معالجة كل ذنب بالتوبة، فصل في محقرات الذنوب، ٤٦٨/٥، (٧٣١٧).

وكان رحمه الله تعالى مستجاب الدعوة، قال أبو وهب: مرّ ابن المبارك برجل أعمى، فقال: أسألك أن تدعو لي أن يردّ الله عليّ بصري، فدعا له فردّ عليه بصره وأنا أنظر[1].

وأمّا الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى فكان سبب توبته أنّه عشق جاريةً فواعدته ليلاً فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾. فرجع القهقرى وهو يقول: بلى والله قد آن، فآواه الليل إلى خربة وفيها جماعة من السابلة، وبعضهم يقول لبعض: إنّ فضيلاً يقطع الطريق فقال الفضيل: أوّاه، أراني بالليل أسعى في معاصي الله وقوم من المسلمين يخافونني، اللّهمّ إنّي قد تبت إليك، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام[2].

وذكر أبو علي الرازي قال: صحبت فضيل بن عياض رحمه الله تعالى ثلاثين سنة، ما رأيته ضاحكاً ولا مبتسماً إلاّ يوم مات علي ابنه، فقلت له في ذلك فقال: إنّ الله عزّ وجلّ أحبّ أمراً فأحببت ما أحبّ الله[3].

---

[1] ذكره الخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد"، عبد الله بن المبارك، ١٠/١٦٥.

[2] ذكره القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن"، الجزء السابع عشر، ٩/١٨٤.

[3] أخرجه ابن أبي الدنيا في "كتاب الرضا عن الله"، ١/٤٥٣، (٨٩).

أيها المسلمون: إن كنتم تريدون الإصلاح النفسي فعليكم بالتحفظ والاحتراز من جميع الذنوب صغائرها وكبائرها وامتثال أمر الله الكريم الرحيم واجتناب ما نهى عنه ويتأكّد عليكم أن تبذلوا نهاية الجهد والاستطاعة في ذلك، وأن تفرغوا فيه طاقاتكم وأن تعمروا فيه أوقاتكم راجين مغفرة الله ورحمته وقد قمتُ بإعداد كتيب الجوائز المدنية؛ ليزداد نَشاطُ الامتثال لأوامر الله الكريم والاجتناب عن ما نهى عنه، وقد رتّبت ٧٢ جائزة من الجوائز المدنية للإخوان المسلمين، و٦٣ جائزة للأخوات المسلمات على صورة أسئلة تجمع الشريعة والطريقة، وهي ليست في حقيقتها إلاّ وسيلة إلى عبادة يؤدّي بها المسلم حقّ الله وحقّ العباد ويتقرّب بها إلى مرضات الله تعالى، وأخصّ كلّ من يعمل بها ابتغاءً لوجه الله بهذا الدعاء: «اللّهمّ أدخلْه الفردوس الأعلى بجوار حبيبك المصطفى صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم».

أيها المسلمون: اقرؤوا كلّ سؤال على حدة من الجوائز المدنية ثم أجيبوا عليه بنعم أوْ لا بصدق مع أنفسكم، ثم انظروا للإجابة الصحيحة التي ينبغي أن تكون، ومنها: هل صلّيتَ الصلوات الخمس في الصفّ الأوّل جماعةً مع تكبيرة الإحرام في

هذا اليوم؟ فمن تعوّد على العمل بهذا السؤال فسيفوز في الدارين إن شاء الله عزّ وجلّ، ولا يخفى على أحد من المسلمين ما للصلاة من فضائل وفوائد لا تعدّ ولا تحصى، فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من صلّى سجدتين لا يسهو فيهما غفر الله له ما تقدّم من ذنبه»[1]. فإذا كان هذا فضل ركعتين فكيف يكون فضل الصلوات الخمس؟! وهذا فضل صلاة الفرد فماذا عن فضل صلاة الجماعة؟! وقد جاء في الحديث عن سيدنا ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «صلاة الرجل في الجماعة تزيد على صلاته وحده سبعاً وعشرين»[2]. وروي أنّ النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول: «من صلّى في مسجد جماعةً أربعين ليلةً لا تفوته الركعة الأولى من صلاة العشاء كتب الله له بها عِتْقاً من النار»[3]. سبحان الله، فإذا كان هذا الفضل للصلاة في المسجد جماعةً أربعين ليلة مع التكبيرة الأولى فكيف يكون

---

[1] أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، كتاب مسند الأنصار، حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله تعالى عنه، ١٦٢/٨، (٢١٧٤٩).

[2] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، صـ٣٢٦، (٦٥٠).

[3] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب المساجد، باب صلاة العشاء والفجر في جماعة، ٤٣٧/١، (٧٩٨).

فضل الصلوات الخمس جماعةً مع التكبيرة الأولى مدى الحياة؟! قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من خرج من بيته مُتَطَهِّراً إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاجّ الْمُحْرِم»[1]. وقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «أرأيتم لو أنّ نَهَراً بباب أحدكم يغتسل منه كلّ يوم خمس مرّات، هل يبقى من دَرَنه شيء؟». قالوا: لا يَبْقَى من دَرَنه شيء. قال: «فذلك مَثَل الصلوات الخمس يَمْحُو الله بهنّ الخطايا»[2].

ولا بدّ للعاملين بهذه الجائزة المدنية أن يصلّوا الصلوات الخمس في المسجد؛ لما في ذلك من أجر عظيم فقد قال النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من غدا إلى المسجد أو راح أعدّ الله له في الجنّة نُزُلاً كلّما غدا أو راح»[3].

وقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «لو يعلم الناس ما في النِّدَاء والصفّ الأوّل، ثم لم يجدوا إلاّ أن يستهموا عليه لاسْتَهَمُوْا»[4].

---

[1] أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل المشي إلى الصلاة، ١/٢٣١، (٥٥٨).

[2] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات، صـ٣٣٦، (٦٦٧).

[3] أخرجه مسلم في "صحيحه"، باب المشي إلى الصلاة، صـ٣٣٦، (٦٦٩).

[4] أخرجه مسلم في "صحيحه"، باب تسوية الصفوف وإقامتها، صـ٢٣١، (٤٣٧).

وعن سيدنا أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّ الله وملائكته يصلّون على الصفّ الأوّل». قالوا: يا رسول الله، وعلى الثاني؟ قال: «إنّ الله وملائكته يصلّون على الصفّ الأوّل». قالوا: يا رسول الله، وعلى الثاني؟ قال: «وعلى الثاني». قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «سَوُّوْا صُفُوْفَكم وحاذُوْا بين مَنَاكبكم ولِيْنُوْا في أيدي إخوانكم وسُدُّوا الْخَلَل، فإنّ الشيطان يدخُلُ بينكم بمَنْزِلة الْحَذَف». يعني: أولاد الضَّأْن الصِّغَار[1].

أيها المسلمون: يمكن أن تكون محاسبة النفس من خلال الجوائز المدنية شاقةً وثقيلةً على النفس، لكن وطّنوا أنفسكم على العمل بها من قلوبكم، فإنّ الله تعالى سينصركم، لما في ذلك من مرضاة له سبحانه وتعالى، وقد سُئِل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: أيّ الأعمال أفضل؟ قال: «أحْمَزُها»[2]. وقال سيّدنا إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى: أثقل الأعمال في الميزان أثقلها على الأبدان[3].

---

[1] أخرجه أحمد في "مسنده"، حديث أبي أمامة الباهلي، ٢٩٦/٨، (٢٢٣٢٦).

[2] ذكره الرازي في "التفسير الكبير"، ٤٤٤/١، والعجلوني في "كشف الخفاء"، ١٤١/١، (٤٥٩).

[3] ذكره أبو نعيم الأصفهاني في "حلية الأولياء"، ١٦/٨، (١١٢١٥).

فيا أيّها الإخوان: كلّما اجتهدتم في العمل اسْتَرَحْتم في الآخرة والعملُ الشاقُّ في بدايته سهل في نهايته ومن يبدأ العمل يسهل عليه، كمن يجلس للوضوء عند البرد الشديد فتصطكّ أسنانه من شدّة البرد في البداية، حتّى إذا بدَأ الوضوء يستشعر بنقص البرد شيئاً فشيئاً ويسهل عليه حتّى يفرغ منه وكذلك من ابتلي بالمرَض المهلك فإنّه يضطرب، ثم يألفه يوماً بعد يوم فتشتدّ عنده قوّة الصبر ويتيسّر عليه كلّ عسير.

اسمعوا إخواني المسلمين إلى قصّة هذا الأخ المسلم الذي أصيب بعرق النساء وهو مرض يضرب من الكعب إلى الورك، ويمتدّ إلى شهور أو سنوات، وهذا في الغالب صعبٌ عسيرٌ في حقّ كثير من الناس، فاضطرب اضطراباً شديداً لما بلغ به من الوجع، فقلت له: لا بأس عليك طهور، والله يشفيك، وعندما تتعوّد عليه يسهل عليك إن شاء الله عزّ وجلّ، ثم لقيته بعد عدّة أيّام، فسألتُه عن مرضه، فأجاب أنّ الوجع على ما كان عليه، لكنّي تعوّدت عليه.

أيها المسلمون: ولا بدّ من التنبيه إلى أنّ الشيطان يصدّكم أو يفشلكم عن العمل بالجوائز المدنية، ولكن استعينوا

بالله وتوكّلوا عليه واعلموا أنّ الجوائز المدنية وسيلة لنيل الأجر العظيم ولرؤية وجه الله تعالى في الجنّة، وإنّها ترغّب في الإصلاح النفسي وتحث على العبادات وتَرْدَع عن المخالفات، فعليكم الانتباه إلى هذا والالتزام بالجوائز المدنية ولو كرهت النفسُ، ولا تستسلموا للشيطان، والتزموا بأعمال الدعوة الإسلامية، فإنّها تهيّأ الجوّ الإسلامي الذي تنمو فيه السنن والآداب، وحاسبوا أنفسكم من خلال الجوائز المدنية بقلوب راجية، مصممة، مفعمة بالحبّ والقوّة، ابتغاءً لوجه الله تعالى فسترون بركاتها في حياتكم، وتكونون عند الله عزّ وجلّ من الفائزين، المفلحين؛ لأنّ الجوائز المدنية شجرة طيبة إذا ثبت أصلُها في حياتكم امتدّت فروعها إلى الجوارح، وأثمرت عملاً صالحاً وقولاً رابحاً وسلوكاً قويماً وفعلاً كريماً، عندها تخشع الجوارح وينكسر القلب ويرقّ الفؤاد وتزكو النفس وتجود العين ويكون القلب مشحوناً بمحبة الله ورسوله الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وتمتدّ أعمال الدعوة الإسلامية في بلادكم إن شاء الله عزّ وجلّ، قال سيدنا الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى: قال بعض الناس لشيخه أبي عثمان المغربي رحمه الله تعالى: إنّ

لساني في بعض الأحوال يجري بالذكر والقرآن، وقلبي غافل، فقال: اشكر الله إذا استعمل جارحةً من جوارحك في الخير، وعوَّده الذكر، ولم يستعمله في الشرّ ولم يعوّده الفضول، فإيّاك وأن تلمح في الطاعات مجرّد الآفات فتفتر رغبتك عن العبادات فإنّ هذه مكيدة روَّجها الشيطان بلعنته على المغرورين، وخَيَّل إليهم أنّهم أرباب البصائر وأهل التفطّن للخفايا والسرائر، فأيّ خير في ذكرنا باللسان مع غفلة القلب؟ فانقسم الخلق في هذه المكيدة إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، أمّا السابق، فقال: صدقت يا ملعون، ولكن هي كلمة حقّ أردتَ بها باطلاً، فلا جرم أعذبك مرّتين وأرغم أنفك من وجهين، فأضيف إلى حركة اللسان حركة القلب، فكان كالذي داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه. وأمّا الظالم المغرور، فاستشعر في نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة، ثم عجز عن الإخلاص بالقلب، فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر، فأسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره، فتمت بينهما المشاركة والموافقة. وأمّا المقتصد: فلم يقدر على إرغامه بإشراك القلب في العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان بالإضافة إلى القلب،

ولكن اهتدى إلى كماله بالإضافة إلى السكوت والفضول، فاستمرّ عليه وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير، فكان السابق كالحائك الذي ذمّت حياكته فتركها وأصبح كاتباً. والظالم المتخلّف كالذي ترك الحياكة أصلاً وأصبح كناساً. والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة فقال: لا أنكر مذمة الحياكة، ولكن الحائك مذموم بالإضافة إلى الكاتب، فإذا عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياكة[1].

أيها المسلون: فالاستمرار على طريقة الإصلاح النفسي خيرٌ لنا ولو غفل القلبُ، وقد رغّبتُ المسلمين في جائزة من الجوائز المدنية إلى صلاة التوبة كلّ يوم، لأنّ التوبة سببٌ لحصول وجه الله تعالى وللإصلاح النفسي، وكلّما ارتكبتم الكبائر أو الصغائر فتوبوا إلى الله تعالى، فإنّ فضل التوبة عظيم جدّاً لا يخفى على أحد من المسلمين، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «التائب من الذنب كمن لا ذَنْبَ له»[2].

وأوصيكم في نهاية المطاف بأن ترتبطوا بالبيئة المتدينة

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب التوبة، ٤/٦٠-٦١، ملتقطاً.

[2] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ٤/٤٩١، (٤٢٥٠).

من جمعية الدعوة الإسلامية، وأن تحاولوا الالتزام بحضور الاجتماع الأسبوعي، وكذلك أن تسافروا في سبيل الله لسنة كاملة في الحياة ولثلاثين يوماً على الأقلّ في كلّ سنة ولثلاثة أيّام في كلّ شهر.

نسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يقينا وإيّاكم عذاب النار، وأن يدخلنا الجنّة بمنّه وكرمه، آمين.

اِحْتِرَامُ الْمُسْلِمِ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدَّاعِيَةِ الْكَبِيرِ أَبِي بِلَالٍ مُحَمَّدٍ إِلْيَاسَ الْعَطَّارِ
الْقَادِرِيِّ الرَّضَوِيِّ حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

تعريب
مجلس التراجم


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، **أمّا بعد:**

فعن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «أَوْلَى الناس بي يوم القيامة أَكْثَرُهم عليّ صلاةً»[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمّد

رُوي أنّ سيدنا أبا عبد الله الْخَيّاط رحمه الله تعالى كان يَجْلِس على دُكَّانه، وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة فكان إذا خاط له شيئاً حَمَل إليه دراهم زائفَةً فكان أبو عبد الله يأخُذها منه ولا يُخْبره بذلك ولا يرُدّها عليه، فاتّفق يوماً أنّ أبا عبد الله قام لبعض حاجته فأتَى الْمَجوسي، فلم يَجده فدَفَع إلى تلميذه الأُجْرة، واسترجع ما قد خاطه فكان دِرْهَماً زائفاً، فلمّا نظَر إليه التلميذ، عرَف أنّه زائف، فردَّه عليه، فلمّا عاد أبو

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم، ٢/٢٧، (٤٨٤).

عبد الله رحمه الله تعالى، أخْبَره بذلك، فقال: بئس ما عَمِلْتَ، هذا المجوسي يُعاملني بهذه المعاملة مُنذ سَنَة، وأنا أَصْبِر عليه، وآخُذ الدراهم منه، وأُلقيها في البئر، لئلاّ يغُرّ بها مسلمًا[1].

فيالله كيف كان المسلمون يحرصون على بعضهم ويقدّمون مصالح إخوانهم على مصالحهم؟! كيف كانت قُلوبهم مملوءةً بالْمَحبّة والتوقير؟! كيف كانوا يتحمَّلون الضرر في سبيل نَفْعِ إخوانهم؟! لقد كانت نفوسهم تطيب بالْخَسَارة لِيَرْبَح أخ مسلم.

واعلموا أنّ أحقّ الناس بحسن الْمُعاشَرة والمعاملة وأوّل من تجب صلتهم واحترامهم هم الوالدان ثم الأقرب فالأقرب، كيف لا يكون ذلك، وقد أكَّد الله تعالى على طاعتهما وبِرّهما والإحسان إليهما وقد أكَّد على ذلك رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم إذ قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنّة: العاقّ والدَيه والدَّيُّوْثُ ورَجُلَةُ النساء»[2].

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق، بيان علامات حسن الخلق، ٨٧/٣.

[2] أخرجه البيهقى فى "السنن الكبرى"، كتاب الشهادات، باب الرجل يتخذ الغلام والجارية المغنين عليهما ويغنيان، ٣٨٢/١٠، (٢١٠٢٥).

أيها المسلمون: فالوعيد في هذا الحديث هو تأكيد على ضرورة الإتمار بما فيه والانتهاء بنَهْيه وهو في حدّ ذاته تنبيه على خُطُورة الأمر وضرورة تداركه، ولكن على القلوب أقفال وعلى البَصَائر غِشَاوة، فمع كلّ ما توفّر لنا من الْمَسْموع والْمَرئي من الدُّرُوس والْمُحاضرات نجد أنّ أحوالنا هي أسوء الأحوال وأعمالنا هي أقبحُ الأعمال، وكأنّ الداعي يدعونا إلى الضَّلال فالأخلاق تَسُوْء والعبدُ كلَّ يوم بذنب جديد يبوء، والبِرّ والإحسان صار أنْدَر من الياقوت، فهل يا ترى تَتدارَك نفسك قبل أن تَمُوت، أم أنّها في غَفْلتها سارية، وفي لَهْوها مدلجة، وعن ربّها معرضة، ولا بدّ أن تدعوها إلى الفرار إلى الله تعالى، ولا يكون هذا إلاّ بطاعته ولا يتصوّر إلاّ بطَلَب مَرْضاته.

أيها المسلمون: وبِرُّ الوالدين والإحسان إليهما وطاعتُهما وخَفْض الْجَنَاح لهما جُزء من رضا الله سبحانه وتعالى، فيتأكّد على الأخ المسلم أن يبرّ والدَيْه، ويُرْضيهما، ولا يتأخَّر في طاعتهما، ولكن وللأسف الشديد لا يلتفت إلى تأدية حُقوق الوالدين إلاّ القليلُ، وكثير من الناس يتخلّق بمكارم الأخلاق والآداب خارج البيت، ولكنّه في داخل البيت يكون متشدِّداً

وسيِّئ الأخلاق فليحذر من سَخَط الوالدين وعُقوقهما والتهاون بحقّهما، وليحرص كلّ الحرص على ابتغاء مرضاتهما ولزوم طاعتهما وإدخال السرور على قلوبهما بكلّ وجه، ومع ذلك يحسن صحبة الإخوان وعشرتهم، ويحرص على احترامهم وتعظيمهم وتوقيرهم وعدم مخالفتهم، وقد جاء في الحديث: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «حقُّ كبير الإخوة على صغيرهم كحقِّ الوالد على وَلَده»[1]. فالصغيرُ عليه أن يحترم الكبير، والكبيرُ عليه أن يَرْحَم الصغير.

أيها المسلمون: كما يجب على الأولاد أن يسارعوا إلى برّ الوالدين وطاعتهما والإحسان إليهما كذلك ينبغي على كلّ من الوالدين أن يقوم بحسن التربية لأولاده على الآداب الإسلامية ويختار لهم التعليم الْحَسَن ورفقاء الخير، ويحذِّرهم من رفقاء الشرّ ورفقاء السُّوْء ومن مشاهدة الأفلام والمسرحيّات، ومن سَمَاع الأغاني الماجنة، ومما يجب عليه تجاه أولاده: أن يحميهم من المنكرات، ومما يحسن بكلّ واحد من الوالدين:

---

[1] رواه البيهقى فى "شعب الإيمان"، باب في بر الوالدين، ٦/٢١٠، (٧٩٢٩)، والبغدادي (ت٤٦٣هـ) في "تاريخ بغداد"، أحمد بن محمد بن يحيى، ٥/٣٢٦.

أن يَرْبُط الأولاد بالصحبة الطيبة ويَمْنَع البنينَ من التشبّه بالبنات، ويمنع البنات من التشبّه بالبنين ويمنع الأولاد من التشبّه بالعادات السيئة، ويمنعهم من الخروج إلى السينمات وحَفَلات الرَّقْص والغِنَاء، وينظر في أدراجهم إذا ذهبوا للمدرسة، وقد أخبر النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّ التربية خير من الصدَقة فقال: «لأن يُؤَدِّب الرجلُ ولدَه خَيْرٌ من أن يتصدَّق بصاع»[1].

وأرشد النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم إلى أنّ تعليم الولد الْخُلُقَ الحسن أفضلُ من كلِّ عطاء فقال: «ما نَحَلَ[2] والد ولداً من نَحْلٍ أفضَلَ من أدَب حَسَنٍ»[3]. فأين هذه البيئةُ الْحَسَنة الإسلامية، كيف نكتسبها وسُوْء الْمُعاشَرة قد فشى بيننا في عَصْرنا، فعندما يكون أحد منّا خارج البيت، تَراه خافضَ الْجَناح للناس متواضعاً مُتأدِّباً، فإذا ما عاد إلى البيت تجدُه أسَدًا هَصُوْرًا زئارًا لا فِعْل له، قد تَخلّى عن شمِّ الأدَب وتَرَكَه خلف

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في أدب الولد، ٣٨٢/٣، (١٩٥٨).

[2] قوله: [ما نحل]: أَيْ: ما أَعْطَى وَالِدٌ وَلَدًا.

[3] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في أدب الولد، ٣٨٣/٣، (١٩٥٩).

الباب عندما دَخَل، ورمى بحيائه في سَلّة الْمُهْمَلات قبل دخول البيت، فلا يَرْعَى لأهله حرمةً، ولا يُقيل لهم عَثْرَةً، فياالله ما أقبح فعلُه، وما أخسّ أخلاقُه، وما أسفه عقله.

فكيف يبقى لهذا وقار ومكانة عند أهل بيته، أم كيف تُؤثِّر كلماتُه فيهم، أم كيف يُرْجى منه إصلاحُهم، وقد فَسَد وهل تطفئ النار بالنار، فالعجل العجل والنجاة النجاة قبل أن تأكُل النار بُيوتَنا وتحتل الفاحشةُ أركانها وتأسر الفتنةُ أفرادَها، فلنُسارع للتمسّك بهَدْي النبوّة وإظهار التواضع وإدخال البسمة على أهل بيتنا، وقد أرشَدَنا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم إلى الْمُسارَعة لإنقاذ أنفسنا وأهل بيتنا من النار، فقال: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦/٦٦].

وينبغي على المسلم أن يتعامَل مع الأقارب مُعاملةً حَسنةً فعن سيدنا أمير المؤمنين علي المرتضى رضي الله تعالى عنه أنّ النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «من سَرَّه أن يمُدَّ

الله في عُمْره ويُوسِّع له في رِزْقه ويُدْفِع عنه ميتةَ السُّوْء فلْيَتَّقِ الله ولْيَصِلْ رَحِمه»[1]. وعن سيدنا جُبَيْر بن مُطعم رضي الله عنه أنّه سمع النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول: «لا يدخلُ الجنّة قاطعٌ»[2]. فليعتبر بهذا الحديث من يُقاطِع أقاربَه لأتْفَه الأسباب وأخَسّها، وليُسارِع إلى صلة الرحم، وليُقم علاقات الْمَحبّة معهم، مُتواضعاً لهم، ممتثلاً لقول الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩/٤٨].

ويَجْدُرُ بالزوج أن يقف على أهمّ الحقوق للزوجة، فمنها: أن يعاشرها معاشرةً حسنةً، بلطف ولين، وأن لا يغلظ عليها في الكلام، ويبتعد عن أسلوب الزَّجْر والتوبيخ في كلّ أمر من الأمور ويصبر على ما يبدر منها من أخطاء، وليكن سَمْحاً لَيِّناً وقت تعامله معها، فإنّه لو قابَل الشدّة بمثلها، والعُنْف بالعُنْف ربّما أدَّى ذلك إلى فَصْم العَلاقة بينهما، وتشتيت شَمْل الأسرة، لما جاء في الحديث الشريف: عن سيدنا أبي هريرة رضي الله

---

[1] أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط"، ٢/٢٠٠، (٣٠١٤)، وأحمد بن حنبل في "مسنده"، مسند علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، ١/٣٠٢، (١٢١٢).

[2] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأدب، ٤/٩٧، (٥٩٨٤).

تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّ الْمَرأة خُلقتْ من ضِلَع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتَعْتَ بها استمتعتَ بها وبها عِوَجٌ، وإنْ ذهَبْتَ تقيمها كَسَرْتَها، وكَسْرُها طلاقُها»[1].

وينبغي للزوج أن يتنازل عمّا يراه من الزوجة من زَلّة في القول أو خَطَأ في المعاملة، وليقابلها بالصبر والكلمات الرقيقة والعبارات اللطيفة ويتخلّق بالأخلاق الكريمة ويَسْتُر عورتها وقد جاء في الحديث عن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّ من أكمل المؤمنين إيماناً أَحْسَنُهم خُلُقاً، وأَلْطَفُهم بأهله»[2].

ويجب أن يكون الرجل أقوى من المرأة تحمّلاً، أشدّ منها صبرًا، لا يعاتب على كلّ قليل وكثير، ولا يضربها ولا يَزْجُرها ولا يخاطبها بالألفاظ الشنيعة البذيئة الساقطة، فإنّ الزوجة ليست محلاً لإظهار القوّة والشِّدّة، فهذا ليس بشجاعة بل جُبْن، وإنّما الشجاعة أن يسامح الرجل زوجتَه، ويصبر على

---

[1] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الرضاع، صـ٧٧٥، (١٤٦٨).

[2] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الإيمان، ٢٧٨/٤، (٢٦٢١).

أذاها، وإن حصل منها ما يغضبه فعليه أن ينظر إلى حسناتها ولا يركز على سيئاتها فقط، فعن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «لا يَفْرَكْ[1] مؤمن مؤمنة إن كَرِه منها خُلُقاً رضِيَ منها آخَر». أو قال: «غَيْرَه»[2].

أيها المسلمون: هكذا أرشد الإسلام الزوجَ كيف يتعامل مع المرأة، وكيف يصبر، وكيف يتحمَّل، وكيف يعالج أيَّ نِزَاع، ثم في مقابل ذلك يُرْشد المرأةَ إلى طاعة زوجها والسَّمْع والطاعة له في المعروف، والتأدُّب معه، وتنفيذ أوامره، ويجْدُرُ بالزوجة أن تقف على أهمّ الحقوق للزوج، فعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم قال: «والذي نفسي بيده لو كان من قَدَمه إلى مَفْرِق رأسه قُرْحَةً تَنْبَجِسُ بالقَيْح والصديد، ثم استقبَلَتْه فلَحسَتْه ما أدَّتْ حقَّه»[3]. فالمرأة يكفيها هذا الحديث لتحلّ الإشكالات التي بينها وبين

---

[1] قوله: [لا يفرك]: أي: لا يبغض. ذكره النووي في "شرح مسلم".

[2] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الرضاع، باب وصية النساء صـ٧٧٥، (١٤٦٩).

[3] أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، مسند أنس بن مالك، ٣١٨/٤، (١٢٦١٤).

زوجها، والْمَرأةُ التي تسخط وتغضب من أمور واهية، وتذهب إلى بيت أمّها من غير إذن الزوج فينبغي عليها أن تُكرِّر هذا الحديث الشريف على سمعها وتُقرِّره في قلبها، فعن سيدنا ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنّ النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «وأن لا تَخْرُج من بيته إلاّ بإذنه، فإن فعَلتْ لعَنتْها الملائكة ملائكةُ الغَضَب وملائكةُ الرحمة، حتّى تتوب أو تَرْجِع» قيل: وإن كان ظالماً، قال: «وإن كان ظالماً»[1]. ولكن نجد أنّ غالب النساء في هذا الوقت لا تهتمّ بحقوق الزوج، بل تكثر الكلام البذيء واللعن والْجُحُوْد، وتَكْفُر بنعمة الزوج فلا تَعْرِف له طاعةً، ولا معروفًا، ولا قدرًا ولا نعمة وإذا كَرِهتْ قولاً من زوجها نسيت الجميل والإحسان الذي أسداه، وتدعو عليه وتكثر اللعن والزَّجْر، فلتستمع إلى هذا الحديث الذي يقوله النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم للنساء: «يا مَعْشَر النِّسَاء تصَدَّقْن فإنّي رَأيْتُكُنّ أكثرَ أهلِ النَّارِ» فقُلْن: وبم ذلك يا رسول الله؟ قال: «تُكْثِرْن اللَّعْن، وتَكْفُرْن العَشير»[2].

---

[1] أخرجه أبو داود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ) في "مسنده"، صـ٢٦٣، (١٩٥١).

[2] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الحيض، ١/١٢٣، (٣٠٤).

ويجب على المرأة المسلمة أن تحتجب من الذين لا يَحْرُم الزَّوَاج بينها وبينهم كابن العمّ وابن الخال وابن العمّة وابن الخالة وزوج أختها ويلزمها الحجاب من الرجال الأجانب وأقارب زوجها كأخيه وعمّه، وأمّا من يعلم الفاحشة في زوجته أو أهله ويَسْكُت عنها فهذا دَيُّوْثٌ والجنّة حرام عليه والعياذ بالله تعالى، وقد ثبت في هَدْي النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّ تشَبُّه النِّسَاء بالرِّجال أو الرجال بالنساء سبب الحرمان من الجنّة، ومما ينبغي تنبيه عليه أنّه لا يجوز للرجل أن يتَخَضَّب بالحناء في اليدين والقدمين؛ لأنّه جزء من التشبّه بالنساء، ويجوز للمرأة أن تتزيّن بالحناء للأرجل والأيدي.

أيها المسلمون: والمسلم يعترف بما للجار على جاره من حقوق وآداب، يجب على كلّ من المتجاورين أن يَنْصُره إذا استنصره ويعُوْده إذا مرِضَ، ويُعزِّيْه إذا أصيب، ويساعده إذا احتاج، ويلين له الكلام، ويرعى جانبه، ويحمي حماه ويَصْفَح عن زَلاّته ولا يتطلّع إلى عوراته، ولا يُؤْذيه بقذَرٍ أو وَسَخ يُلْقيه أمام منزله، والمسلم يعرف نفسه إذا كان قد أحْسَن إلى جيرانه أو أسَاء إليهم، ففي الحديث الصحيح عن سيدنا عبد الله بن

مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رجلٌ لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: كيف لي أن أعلم إذا أحْسَنْتُ وإذا أَسَأْتُ؟ قال النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إذا سمعتَ جِيْرانَك يقولون: أن قد أحْسَنْتَ فقد أحسَنْتَ، وإذا سمعتَهم يقولون: قد أَسَأْتَ فقد أسَأْتَ»[1].

أيها المسلمون: وينبغي على المسلم أن يَخْدم رفقاءه في السفر وتتأكّد خدمةُ الإخوان على من كان مُراقِباً للقافلة، كما جاء في الحديث عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «سيِّد القوم في السفر خادمُهم، فمن سَبَقهم بخدمة لم يَسْبِقوه بعمل إلاّ الشهادة»[2].

وينبغي للمسلم الاستكثار من الزاد والنَّفَقات ليواسي منه المحتاجين، فقد جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن في سفر مع النبي الكريم صلّى الله

---

[1] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب الثناء الحسن، ٤/٤٧٩، (٤٢٢٣).

[2] أخرجه البيهقى فى "شعب الإيمان"، باب في حسن الخلق، فصل في ترك الغضب وفي كظم الغيظ والعفو عند القدرة، ٦/٣٣٤، (٨٤٠٧).

تعالى عليه وسلّم إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعَل يَصْرِف بَصَره يميناً وشمالاً فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من كان معه فَضْلُ ظَهْر فَليَعُدْ به على من لا ظَهْرَ له، ومن كان له فَضْلٌ من زَاد فَليَعُدْ به على من لا زَادَ له». قال: فذكر من أصناف المال ما ذكَر، حتّى رأينا أنّه لا حقَّ لأحد منّا في فَضْل[1]. ويا أيها الإخوان المسلمون الذين في أيديهم شيء من ولاية ينبغي عليكم أن تستعملوا الرِّفْق وحُسْن الْخُلُق مع مرؤوسيكم ومن في سلطانكم ومن تحت رعايتكم فقد جاء في الحديث عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنّه سمع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول: «كُلّكم راعٍ ومسؤول عن رَعِيَّته، فالإمام راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيّته، والرجل في أهله راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيّته، والمرأة في بيت زَوْجها راعية وهي مسؤولة عن رعِيَّتها، والخادم في مال سيّده راعٍ وهو مسؤول عن رعيَّته»[2]. إنّ هذا الحديث بيان عظيم لموضوع تحديد المسؤوليات وتوزيعها بين العباد في المجتمع

---

[1] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب اللقطة، صـ٩٥٢، (١٧٢٨).

[2] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب في الاستقراض، ١١٢/٢، (٢٤٠٩).

الإيماني، يبيِّن فيه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّ كلّ فرد من أفراد المجتمع قد استرعاه الله رعية، وأناط به مهمة سيسأل يوم القيامة عنها.

وينبغي للمسلمين تقسيم الأعمال بينهم، وتحديد المسؤوليات، وقد جاء في الحديث: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم في سفر، وأمر أصحابَه بإصلاح شاة فقال رجل: يا رسول الله عليّ ذَبْحها وقال آخَر: يا رسول الله عليّ سلخُها، وقال آخَر: يا رسول الله عليّ طَبْخُها. فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «وعليّ جَمْع الْحَطَب» فقالوا: يا رسول الله نكفيك العمَل. فقال: «قد علمتُ أنّكم تكفوني، ولكن أكره أن أتميّز عليكم، وإنّ الله تعالى يكره من عبده أن يَراه مُتميِّزًا بين أصحابه»[1]. وعن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنّا في غزوة بَدْر، كلُّ ثلاثة منّا على بعير، كان عليّ وأبو لُبَابَة زميلَيْ رسولِ الله صلّى الله تعالى عليه

[1] ذكره محب الدين أبو جعفر الطبري (ت ٦٩٤هـ) في "خلاصة سير سيد البشر"، أحواله مع أصحابه، صـ٨٧، ومحمد بن يوسف الصالحي الشامي في "سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد"، جماع أبواب صفاته المعنوية، ١٣/٧.

وسلّم فإذا كان عُقْبة النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم قالا: ارْكَبْ يا رسول الله حتّى نمشي عنك، فيقول: «ما أنْتُما بأقْوَى على المشي منّي، وما أنا بأغْنَى عن الأَجْر منكما»[1].

أيها المسلمون: اليتيم في الشرع: هو من فقد أحد والديه، أو كليهما قبل البُلوغ. ولقد جعل الرسول الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم الإحسان إلى الأيتام علاجاً لقَسْوَة القلب.

فعن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ رجلاً شكا إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قَسْوَة قلبه، فقال: «امسَحْ رأسَ اليتيم، وأَطْعم المسكين»[2]. ولقد وعد الرسول الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم بالأجر العظيم على ذلك، حيث يَكْسِبُ المرء الحسَنات العِظَام بكلّ شعرة يمسح فيها على رأس اليتيم، فعن سيدنا أبي أُمَامة رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «من مَسَحَ رأسَ يتيم لم يَمْسَحْه إلاّ لله، كان له بكلِّ شَعْرة مرَّتْ عليها يدُه حسناتٌ،

---

[1] أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، مسند سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، ١٠٥/٢، (٤٠٠٩).

[2] ذكره الخطيب التبريزي في "مشكاة المصابيح"، ٢١٧/٢، (٥٠٠١)، وأحمد بن حنبل في "مسنده"، مسند سيدنا أبي هريرة، ٨٢/٣، (٧٥٧٩).

ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنتُ أنا وهو في الجنّة كهاتَيْن». وفرَّق بين أُصبعَيْه السَّبَّابة والوُسْطى[1].

وقال الرسول الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «إذا كان الغلام يتيماً فامْسَحُوْا رأسه هكذا إلى قُدّام، وإذا كان له أب فامسحوا برأسه هكذا إلى خَلْف من مُقدَّمه»[2].

أيها المسلمون: ومن آداب الإسلام التوسيع في الطريق وقد جاء عن سيدنا سهل بن مُعَاذ بن أنس الْجُهَني عن أبيه قال: «غَزَوْتُ مع نبي الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم غَزْوَةَ كذا وكذا فضَيَّق الناسُ المنازل وقَطَعُوا الطريقَ، فبَعَث نبي الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم مُنادياً يُنادي في الناس: أنّ من ضَيَّق مَنْزِلاً، أو قَطَع طريقاً فلا جِهَادَ له»[3]. وإذا كانت جماعة تجلس في مجلس وقَدم عليهم آخرون فيستحبّ للجالسين أن يَفْسَحُوْا ويوسعوا للقادمين ما أمكنهم ذلك، فعن سيدنا واثلة بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: دخَل رجل إلى رسول الله

---

[1] أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، مسند الأنصار، ٢٧٢/٨، (٢٢٢١٥).

[2] أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط"، ٣٥١/١، (١٢٧٩).

[3] أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب الجهاد، ٥٨/٣، (٢٦٢٩).

صلّى الله تعالى عليه وسلّم وهو في المسجد قاعد فتَزَحْزَح له رسولُ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقال الرجل: يا رسول الله إنّ في المكان سِعةً. فقال النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّ للمسلم حَقّاً إذا رآه أخوه أن يَتَزَحْزَح له»[1].

أيها المسلمون: وينبغي على المسلم أن لا يتخطّى رِقابَ الناس، كلُّ ذلك تأدّباً واحتراماً للمسلمين، وحرصاً على عدم مضايقتهم وعدم إيذائهم بتخطّي رقابهم، يقول النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من تَخَطَّى رِقابَ الناس يوم الْجُمُعَة اتّخَذَ جِسْرًا إلى جهنّم»[2]. ولكن هاهنا أمر آخر ينبغي التنبّه له، وهو أنّ من سبَقَ إلى المسجد فعليه أن لا يدَع فُرْجةً أمامه، وأنّ المصلّي إذا جاء بعده فوجد فرُجَات كبيرةً، فلَهُ أن يتخطَّى إليها. ومن أدب المجالس أن لا يجلس بين اثنين إلاّ بعد أن يستأذن منهما، لما روي عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «لا يحلُّ لرجل أن يفرِّق بين اثْنَيْن إلاّ بإذنهما»[3].

---

[1] أخرجه البيهقي فى "شعب الإيمان"، باب في مقاربة أهل الدين وموادتهم وإفشاء السلام بينهم، ٤٦٨/٦، (٨٩٣٣).

[2] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الجمعة، ٤٨/٢، (٥١٣).

[3] أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب الأدب، ٣٤٤/٤، (٤٨٤٥).

ومن أدب المجالس أن لا يجلس وسط الحلقة وقد جاء في الحديث عن سيدنا حذيفة رضي الله تعالى عنه: «أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم لعَن من جَلَس وَسْط الْحَلْقَة»[1].

ومن السنّة أن يجلس الإنسان حيث انتهى به المجلس، ولا يُقيم أحداً من مجلسه ليجلس هو مكانه، فعن سيدنا ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنّ النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «لا يُقيم الرجلُ الرجلَ من مَقْعَده، ثم يَجْلِس فيه، ولكن تفَسَّحُوْا وتوَسَّعُوْا»[2]. ولكن لو قام الرجل من مجلسه لحاجة كأن يقوم للوضوء أو لقضاء حاجته، فإنّه إن عاد إلى مجلسه فهو أحقُّ به ممن جلس فيه، ويحقّ له أن يطلب من الثاني أن يقوم من مكانه؛ لقول النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم: «من قام من مَجْلسه، ثم رَجَع إليه، فهو أحقُّ به»[3].

أيها المسلمون: نحن بحاجة ماسّة؛ لأَنْ نربِّي أنفسَنا وأجيالنا على أخلاق النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم،

---

[1] أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب الأدب، ٣٣٩/٤، (٤٨٢٦).

[2] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب السلام، صـ١١٩٨، (٢١٧٧).

[3] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب السلام، صـ١١٩٩، (٢١٧٩).

وسنذكُر بعضاً منها على سبيل الاختصار، لنحرص على أدائها اقتداءً بسُنّة النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم وابتغاء نيل الأجر العظيم من ربّ العالمين:

كان النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم أحلم الناس، وأشجع الناس وأعْدَل الناس، وأعَفّ الناس، لم تمسّ يدُه قطّ يدَ امرأة لا يَمْلك رِقّها أو عصمة نكاحها، أو تكون ذات مَحْرَم منه.

وكان عليه الصلاة والسلام أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فَضَل شيء ولم يجد من يُعطيه وفَجَأه اللَّيْلُ لم يَأوِ إلى منزله، حتّى يتبرّأ منه إلى من يحتاج إليه. لا يأخُذ مما آتاه الله إلاّ قُوْت عامه فقط، من أيسر ما يجد من التَّمْر والشعير، ويضع سائرَ ذلك في سبيل الله، لا يسأل شيئاً إلاّ أعطاه، ثم يعُوْد على قُوْت عامه فيُؤْثر منه حتّى إنّه ربّما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء.

وكان عليه الصلاة والسلام يَخْصِف النَّعْل، ويَرْقَع الثوب ويكون في مِهْنَة أهله، ويَقْطَع اللَّحْم معهنّ، وكان عليه الصلاة والسلام أشدّ الناس حياءً، لا يثَبِّت بَصَرَه في وَجْه أحَد ويُجيب

دَعْوةَ العَبْد والْحُرّ، ويَقْبَل الْهَدايا ولو أنّها جُرعَـة لَـبَنٍ، أو فخـذ أرنَب، ويكافئ عليها، ويأكُلها ولا يقبَلُ الصدَقة ولا يأكلها ولا يستكبر عن إجابة الأمَة والمسكين، ولا يَغْضَب لنفسه ويَغْضب لربِّه، ويُنفِّذ الْحَقّ وإن عاد ذلك بالضرر عليه أو على أصحابه.

عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلّة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عَدَد من معه، فأبى، وقال: «أنا لا أنتصر بمشرك». وكان عليه الصلاة والسلام يَعْصِبُ الْحَجَر على بَطْنه مرّة من الْجُوْع ومرّة يأكُل ما حضر، ولا يَرُدّ ما وجد، ولا يتورّع عن مطعم حلال، وإن وجد تَمرًا دون خُبْز أكله، وإن وجد شواء أكَله، وإن وجَد خُبْز بُرّ أو شعير أكله، وإن وجد حُلْواً أو عَسَلاً أكَله، وإن وجد لَبناً دون خُبز اكتَفَى به، وإن وجد بطِّيخاً أو رُطباً أكَله، لا يَأكُل مُتَّكِئاً.

يجيب الوليمة، ويَعُود الْمَرضى ويَشْهَد الجنائز، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس. أشدُّ الناس تواضعاً، وأسكَنُهم من غيرِ كِبْر، وأبلغُهم في غير تطويل، وأحسَنُهم بشرًا، لا يهوله شيء من أمور الدنيا. يحبّ الطيب ويَكْرَه الرائحة الرديئة، ويجالس الفُقَراء، ويُؤاكل المساكين، ويُكْرِم أهلَ الْفَضْل في أخلاقهم،

ويتألّف أهلَ الشَّرَف بالبرّ لهم. يَصِل ذوي رَحِمه من غير أن يُؤْثرهم على مَنْ هو أفضلُ منهم، لا يَجْفُوْ على أحد، يَقْبَل مَعْذِرة الْمُعتذر إليه، يَمْزَح ولا يقول إلاّ حقّاً، يَضْحَك من غير قَهْقَهَة.

أيها المسلمون: وما شَتَم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم أحداً من المؤمنين، وما لَعَن امرأة قطّ ولا خادماً، وما ضرب بيده أحَداً قطّ إلاّ أن يَضْرِب بها في سبيل الله تعالى، وما انتَقَم من شيء صُنِعَ إليه قطّ، إلاّ أن تنتهك حرمة الله، وما خيّر بين أمرين قطّ، إلاّ اختار أيْسرَهما، إلاّ أن يكون فيه إثْمٌ أو قَطيعةُ رَحِم، فيكون أبعَد الناس من ذلك، وما كان يأتيه أحد حرّ أو عبد أو أمَة، إلاّ قام معه في حاجته.

وكان من خُلُقه أن يَبْدأ من لقيه بالسلام، وكان لا يقوم، ولا يجلس إلاّ على ذكر الله، وما رُؤي قطّ مادّاً رِجْليه بين أصحابه، حتّى لا يضيق بهما على أحَد، إلاّ أن يكون المكان واسعاً لا ضيق فيه، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يُكْرِم من يدخل عليه، حتّى ربّما بسَط ثَوْبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع، يجلسه عليه، وكان يُؤثر الداخل عليه بالوِسادَة التي تحته، فإن أبَى أن يَقْبَلها عَزَم عليه حتّى

يفعَل، وما استصفاه أحد إلاّ ظنّ أنّه أكرَم الناس عليه، حتّى يُعطي كلّ من جلَس إليه نصيبَه من وجهه حتّى كان مجلسه وسمعه وحديثه، ولُطْف محاسنه، وتوجهه للجالس إليه، ومجلسه مع ذلك مجلس حياء، وتواضع، وأمانة، ولقد كان يدعو أصحابه بكُناهم إكراماً لهم واستمالةً لقُلوبهم، ويكني من لم تكن له كُنْيَة، فكان يدعى بما كناه به، ويكني أيضاً النساء اللاتي لهنّ الأولاد، واللاتي لم يلدن، يبتدئ لهنّ الكُنى، ويكني الصِّبْيَان فيستلين به قُلوبهم، وكان أبعد الناس غَضَباً وأسرعهم رضاً. وكان أرأف الناس بالناس، وخير الناس للناس، وأنفع الناس للناس، ولم تكن ترفع في مجلسه الأصوات، وكان إذا قام من مجلسه قال: «سُبْحانك اللّهمّ وبحمدك أشهَد أن لا إله إلاّ أنت أستغفرك وأتوب إليك»[1].

أيها المسلمون: جمعية الدعوة الإسلامية تقوم بنشر الدعوة إلى الله تعالى، وتحضّ على الأعمال الصالحة والآداب

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة، بيان جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطوها من الأخبار، ٢/٤٤١-٤٥٠، ملتقطا.

الكريمة والأخلاق الفاضلة، وتُحَذِّرُ النـاسَ مـن الْفُحْـش والبَـذَاء وتشتغل في نشر روح الْمَحبّة والأخوّة، ولترسيخ هذه الْمَبـادئ وتمكينـها في القلـب والـروح تـدعو المـسلمين إلى الـسفر في سبيل الله مع قوافل الإخوة الدعاة وتدعوهم إلى محاسبة الـنفس من خلال كتيب الجوائز المدنية.

بضائع الشيطان

لفضيلة الشيخ الداعية الكبير أبي بلال محمد إلياس العطار
القادري الرضوي حفظه الله تعالى

تعريب
مجلس التراجم


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، **أمّا بعد:**

فقد روي عن النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه قال: «من صلّى عليّ صلاةً صلّى الله عليه عَشْراً وكتَب له عَشْرَ حسَنَات»[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

روي أنّ سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام لقي إبليسَ يسوِّق أربعةَ أَحْمِرَة عليها أحمالٌ، فسأله، فقال: أحْمِلُ تِجَارةً وأطْلُب مشترين، فقال: ما أحَدُها؟ قال: الْجَوْر. قال: من يشتريه؟ قال: السلاطين. قال: فمَا الثاني؟ قال: الْحَسَد. قال: فمن يشتريه؟ قال: العلماء. قال: فمَا الثالث؟ قال: الخيَانة. قال: فمن يشتريها؟ قال: التُّجَّار. قال: فما الرابع؟ قال: الكَيْد. قال: فمن يشتريه؟ قال: النِّسَاء[2].

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الوتر، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم، ٢/٢٨، (٤٨٤).

[2] ذكره شهاب الدين (ت ٨٥٠هـ) في "المستطرف"، ٢/٤١٠، والعلامة الصفوري (ت ٨٩٤هـ) في "نزهة المجالس"، ٢/٥٣.

أيها المسلمون: الظُّلْم والكِبْر والحسَد والخيَانة والكَيْد من بَضَائع الشيطان، وأمّا الظلم فإنّه يبيعه للحُكَّام؛ لأنّ كلّ أحد منهم يَظْلِم رعيَّته ويجُوْر على الضُّعَفاء.

والمراد من قول إبليس: (أبيعه للسلاطين): أنّهم يظلمون كثيراً، وإلاّ فكُلُّ من يظلم الناسَ فهو مرتكب للكبائر ومستحقّ لدخول النار، فليَحْذَر من يتعدَّى على المسلمين، ويتسلَّط على الضعفاء، ويَغْصِبُ أموالهم، ويُؤْذيهم ويمزِّق أعراضَهم ويتسَبَّبُ في تخويف قلوب الآمنين وإنّه سيَخْسَر الدنيا والآخرة، فليتذكَّر هذا الحديث دائماً ويجعله بين عينيه في كلّ وقت، فقد قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّ الله لَيُمْلي للظالم حتّى إذا أخَذه لَم يُفْلِتْه»[1]. وعن أسماء بنت عُمَيْس رضي الله تعالى عنها قالت: سمعتُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول: «بئسَ العبدُ عبدٌ تخيَّل واختالَ، ونسِي الكبيرَ الْمُتَعالَ. بئس العبدُ عبدٌ تَجَبَّر واعتدَى ونسي الجبَّارَ الأعلى. بئس العبد عبدٌ سهَا ولَهَى ونَسِيَ الْمَقابرَ والبِلَى. بئس العبد عبدٌ عتّا وطغَى ونسي الْمُبْتَدَأَ والْمُنْتهَى. بئس العبد عبدٌ يَخْتِل الدنيا بالدِّين. بئس العبد عبدٌ يَخْتِل الدِّين بالشُّبُهات. بئس العبد عبدٌ طمَعٌ

---

[1] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب التفسير، باب قوله: وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد، ٣/٢٤٧، (٤٦٨٦).

يقُوْده. بئس العبد عبدٌ هَوًى يُضِلّه. بئس العبد عبدٌ رَغَبٌ يُذِلّه»[1]. وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «اتَّقِ يا عليّ دعوةَ المظلوم، فإنّما يسأل اللهَ حقَّه، وإنّ الله تعالى لن يَمْنَعَ ذا حقٍّ حقَّه»[2].

أيها المسلمون: إنّ الله تعالى ينصُرُ المظلوم ويمدُّه بعَوْنه وعنايته، ويحفَظُه بلُطْفه وحِفْظه ورِعَايته، ويُثيْبه أجراً عظيماً لصبره على المصيبة، وأمّا الظالم فلا يَكْسِبُ إلاّ غضَبَ الله عزّ وجلّ، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «عُرِضَتْ عليَّ النارُ فرأيتُ فيها امرأةً من بني إسرائيل تُعَذَّب في هرَّة لها ربَطَتْها فلم تُطْعمها ولم تَدَعْها تأكُلُ من خَشَاش الأرض»[3].

ومن أخذ شِبْراً من أرض المسلمين بغير حقّ، أو غصبها فإنّه يكون من الظالمين، وعلى من هذا حالُه أن يتوب إلى الله تعالى ويؤدِّي الحقوق إلى أهلها، فقد قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من أخَذ شِبْراً من الأرض بغير حقّه طوَّقه

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، ٤/٢٠٣، (٢٤٥٦).

[2] ذكره الخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد"، ٩/٣٠٢، والسيوطي في "الجامع الصغير"، صـ١٤، (١١٩)، والأصفهاني في "حلية الأولياء"، ٣/٢٣٥، (٣٨١٥).

[3] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، صـ٤٥٠، (٩٠٤).

الله في سَبْعِ أرضين يوم القيامة»[1]. فمن اللائق بالعاقل أن يحترز عن حقِّ الغير؛ لأنّ أكل حقّ الغير من الكبائر والمهلكات ومن ابتلي بحقّ من حقوق العباد فعليه بالاستحلال قبل الانتقال إلى دار السُّؤال، ويتوب إلى الله تعالى من جميع الذنوب، فمن كانت عنده مَظْلمَةٌ لأخيه فليتَحَلَّله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهمٌ، وإنّما هي الأعمال، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر المظلمة، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيّئات صاحبه فحمل عليه، ومن اجتمعت عليه مظالمُ وقد تاب عنها وعسر عليه استحلالُ أرباب المظالم فليُكْثر من حسناته ليوم القِصَاص وليُكْثر من الاستغفار لمن ظلَمه، فعسَاه أن يقرِّبه ذلك إلى الله تعالى فيَنال به لُطْفَه الذي ادّخره لأرباب الإيمان في دَفْع مظالم العباد عنهم بإرضائه إيّاهم.

وجاء عن سيّدنا أبي بَكْر الوَرّاق رضي الله تعالى عنه أنّه قال: «أكثرُ ما ينزع من القلب الإيمانَ ظُلْمُ العباد»[2]. فمن سُلِب إيمانُه بسبب التعدِّي على المسلمين فيخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين ويُسَاق بعدها إلى نار الجحيم، وقد

---

[1] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب المساقاة والمزارعة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، صـ٨٦٩، (١٦١٠).

[2] ذكره أبو الليث السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) في "تنبيه الغافلين"، صـ٢٠٤.

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٦٩/٢٥-٣٢].

أيها المسلمون: فمن ابتلي بالجور والظلم لأحد من خَلْق الله تعالى ويريد التوبة والإنابة من هذا الظلم فإنّي أنصَحُه بقراءة الرسالة المسمَّاة بـ"عقاب الظلم" أو سماع بعض الأشرطة عن الظلم وعقابه، ففيها نفع عظيم لمن كان له قلب سليم وينبغي أن يسافر في سبيل الله مع قوافل الإخوة الدُّعَاة إلى الله تعالى، ويحاسب نفسه من خلال كتيب الجوائز المدنية.

أيها المسلمون: الخِيَانة بِضَاعةٌ من بَضَائع الشيطان يبيعُها للتُّجَّار، لأنّهم يتجرَّؤون على الخيانة، ولا يخشون لومةَ لائم، وينسون أنّها من عَلامات النِّفَاق، كما قال النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خَصْلةٌ منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق، حتّى يدَعَها: إذا اؤتُمِنَ خَانَ، وإذا حدَّث كذَب، وإذا عاهَد غدَر،

وإذا خاصَم فجَر»[1]. وضدُّ الخيانة الأمانة وهي تُطْلَق على معَان كثيرة: قال القُرْطُبي رحمه الله تعالى: الأمانة تعُمّ جميعَ وظائف الدِّيْن على الصحيح من الأقوال[2]. وقال سيّدنا الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى: فالفَرْجُ أمانة، والأُذُنُ أمانة، والعين أمانة، واللِّسَان أمانة، والبَطْنُ أمانة، واليد والرِّجْل أمانة، ولا إيمانَ لمن لا أمانة له[3]. وعن سيّدنا عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «أوَّلُ ما خلَق الله عزّ وجلّ من الإنسان فَرْجه» ثم قال: «هذه أمانتي عندك، فلا تَضَعْها إلاّ في حقّها، فالفرج أمانة، والسَّمْع أمانة، والبَصَر أمانة، واللِّسَان أمانة»[4].

قال سيدنا الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى: باب الأمانة واسع، فأمانة اللسان أن لا يستعملَه في الكَذِب والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش وغيرها، وأمانة العين أن لا يستعملها في النظَر إلى الحرام، وأمانة السَّمْع ألا يستعمله في

---

[1] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الإيمان، ١/٢٥، (٣٤).

[2] ذكره القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن"، الجزء الرابع عشر، ٧/١٨٧.

[3] ذكره الغزالي في "مكاشفة القلوب"، الباب الثالث عشر في الأمانة، صـ٤٣.

[4] ذكره ابن أبي الدنيا في "موسوعته"، كتاب مكارم الأخلاق، باب ما جاء في الأمانة، ٣/٤٨٢، (٢٧٦)، والديلمي في "فردوس الأخبار بمأثور الخطاب"، باب الألف، ١/٣٠، (٥).

سَمَاع الملاهي والمناهي، وسماع الْفُحْش والأكاذيب وغيرها وكذا القول في جميع الأعضاء[1]. فيجب على كلّ مسلم أن يؤدِّي الأمانة إذا اؤتمن، وأن لا يعرض نفسه لعذاب النار بسبب الخيانة، ونقل سيدنا الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى: يُؤتَى بالعبد يوم القيامة فيُوْقَف بين يدَيِ الله تعالى فيقول الله تعالى: أَرَدَدْتَ أمانةَ فلان؟ فيقول: لا، يا ربِّ، فيأمُر الله تعالى ملَكاً فيأخُذ بيده وينطلق به إلى جهنّم ويُرِيه الأمانة بعَيْنه في قَعْر جهنّم فيَهْوِي فيها سبعين عامًا، حتّى ينتهي إلى قَعْرها ثم يصعَد بالأمانة فإذا بلغ أعلى جهنّم زلَّتْ قدمُه فيَهوي فيها كذلك، ثم يصعَد ثم يَهْبِط، وهكذا حتّى يُدْرِكه لُطْفُ ربِّه بشَفاعة المصطفى صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، فيَرْضى عنه صاحبُ الأمانة[2].

أيها المسلمون: فكما تَحْرُم الخيَانة في الأموال والحقوق فكذلك تحرُم في الأَعْراض والأسرار والْعُهُوْد، ويجب حفظ الأمانات وعدم إفشاء الأسرار وعدم كشف الأستار، وأمّا من يَنْكُث العُهود التي بينه وبين الْخَلْق فهو متَّصف بصفة خبيثة من صفات المنافقين.

---

[1] ذكره فخر الدين الرازي في "التفسير الكبير"، ١٠٩/٤.

[2] ذكره الغزالي في "مكاشفة القلوب"، الباب الثالث عشر في الأمانة، صـ٤٤.

وهكذا بعض الْحُكَّام والمسؤولين والْمُوظِّفين لا يقومون بواجباتهم على التمام والكمال، ويُضَيِّعُون الوقت المخصَّص للعمل بأمور أخرى، غير العملِ الذي يجب أداؤه فيه، وبعضُهم يشتغل في مصلحته الخاصّة، أو في مصلحة غيره، وقد لا يكون لها علاقة بالعمل، وبَعْضُهم يقصِّرون في تأدية الحقوق، ويتقاعسون عن العمل بواجباتهم، وما علموا أنّهم يقعون في الخيانة ويأكلون أموال الناس بالباطل، وإنّ الله سبحانه وتعالى سيُحاسبهم ويسألهم وأكثرُهم يُفضحون في الدنيا وليس لهم في الآخرة إلاّ النّارُ وبئس القرار، بل وللأسف الشديد ترى بعض الناس من الْمُدَراء وكبار الموظّفين لا يحاسبون صغارَ الموظّفين التابعين لهم على الكسل والإهمال في الْعَمَل، بل يعاون بعضُهم بعضاً على هذه الخيانة، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ**﴾ [المائدة: ٢/٥]. واعلموا أنّه ليس للأجير الخاص أن يعمَل لغيره، ولو عمل نقص من أُجْرته بقَدْر ما عمل[1]. وإذا استأجر رجلاً يوماً يعمَل كذا، فعليه أن يعمَل ذلك العَمَل إلى تمام الْمُدّة، ولا يشتغل بشيء آخَر سوى

[1] ذكره علاء الدين الحصكفي في "الدر المختار"، كتاب الإجارة، ٩/١١٨-١١٩.

المكتوبة والمسنونة ولا يُؤَدّي نفلاً[1]. ومن يتهاون أو يقصِّر في تَحمُّلِ المسؤولية والقيام بوظيفته ويتأخَّر عن أوقات الدوام، ويتوانى في القيام بعَمَله، ويضيع الوقت المخصَّص للعمل في أمور أخرى، ثم يأخُذ المرتب كاملاً، ولا ينقص من أجرته شيئاً فهو خائن وآخذٌ لمال السُّحْت والحرام، وقد روي: «إذا وقعت لقمة من الحرام في بَطْن ابن آدم لعنه كلّ مَلَك في الأرض والسماء ما دامت تلك اللقمةُ في بَطْنه، وإن مات على تلك الحالة فمأواه جهنَّم»[2]. وأمّا من أخذ الإذن للتأخير وغيره من الأمور فلا حَرَج عليه.

أيها المسلمون: وبعض الضُّبّاط والْمَسْؤولين يقدِّمون الوظيفة على الصلاة، ويقولون للمُوظِّفين: اُتْرُكوا الصلاة وأدّوا الوظيفة؛ لأنّ القيام بالوظيفة فرضٌ وهذه الكلمة خَطيرة جدّاً بل هي نَوْع من أنواعِ الكُفْر والعياذ بالله تعالى؛ لأنّ فيها إهانة الصلاة. وقد نقل: إذا قيل لرجل: صلِّ، فقال: أُصلّي وما تحصُل نتيجةٌ، أو قال: أنت صلَّيتَ فما الذي نتَج لك، أو قال: أُصلّي لمن؟ أُمّي وأبي ماتا. أو قال: الصلاة وعدَم الصلاة سواءٌ، أو قال: صلّيتُ حتّى مَلّ قلبي، فهذا كلّه كفر. ورجل يصلّي في

---

[1] ذكره ابن عابدين في "ردّ المحتار"، كتاب الإجارة، ١١٨/٩، ملتقطاً.

[2] ذكره الغزالي في "مكاشفة القلوب"، الباب الأول، في بيان الخوف، صـ١٠.

رمضان لا غير، ويقول: هذا كثيرٌ أو يقول: هذا زيادة؛ لأنّ كلَّ صلاة في رمضان تُساوي سبعين صلاةً يكفُرُ[1].

أيها المسلمون: وكثير من التُّجّار يقعون في الخيانة، ويكتسبون المال من غير مبالاة بالحلال والحرام، ولا يتعلّمون أحكام البيع والشراء، ثم يظُنّ كلّ واحد منهم أنّه يتورَّع عن كَسْب المال الحرام، ولكن كيف يتورَّع من يجهَل الأحكام الشرعية؟! وقد روي عن سيّدنا عمر رضي الله تعالى عنه أنّه كان يطُوْف في السُّوْق، ويضرب بعضَ التجّار بالدِّرَّة ويقول: «لا يبيع في سُوْقنا إلاّ من يفقَهُ»[2]. فينبغي على التاجر أن يتعلَّم أحكام الشَّرْع ويسافر في سبيل الله مع قوافل الإخوة الدعاة إلى الله تعالى لتعلّم الأحكام الشرعية، فكثير من الناس لا يعلمون شيئاً عن أحكام البيوع مع أنّها من أهمِّ الأمور التي يجب تعلّمها.

أيها المسلمون: الكيد بضاعة من بضائع الشيطان يبيعها للنِّسَاء، وليس المرادُ منه أنّ الرجال لا يَكيدُوْن، بل المراد منه: تقع النساء في الكَيْد أكثرَ من الرجال. والكَيد حرام، يُفضي إلى النار، فعن سيدنا أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «ملعون من ضارَّ مؤمناً

---

[1] "الفتاوى الهندية"، كتاب السير، باب في أحكام المرتدين، ٢/٢٦٨.

[2] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب آداب الكسب والمعاش، ٢/٨٣.

أو مكَر به»[1]. وعن سيدنا أبي صِرْمَة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «من ضارَّ أضَرَّ الله به ومن شاقَّ شقَّ الله عليه»[2]. وعن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من غشَّنا فليس منّا والْمَكْر والخِدَاع في النار»[3]. وعن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «لا يدخُل الجنّة خبّ ولا بخيل ولا مَنّان»[4]. ونحن نرى في هذه الأيام أنّ الْجَوْر والكِبْر والحسَد والخيانة والكَيْد والخِدَاع ينتشر انتشاراً واسعاً بين الناس حتّى بين المسلمين وبين الْمُتَدينين منهم وقد عمَّ الْمَنّ والأذَى لدَرَجة أنّ كثيراً من الناس يستكثرون الإحسان، ويفتخرون ويتحدّثون بما يعطونه، ويظهرونه، ويطْلُبُوْن العِوَض والْمُكافأة عليه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم، والقيام بالْحُقوق والتقديم في الْمَجالس والمتابعة في الأمور، فهذه كلّها ثَمَرات الْمَنَّة والأذى، وقد قال الله تبارك وتعالى في

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الخيانة والغش، ٣/٣٧٨، (١٩٤٨).

[2] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب الأحكام، ٣/١٠٧، (٢٣٤٢).

[3] أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير"، ١٠/١٣٨، (١٠٢٣٤).

[4] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب البر والصلة، ٣/٣٨٨، (١٩٧٠).

كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢/٢٦٤].

يقول الشيخ المفتي أحمد يارخان النعيمي رحمه الله تعالى: إن كان في إظهار الصدَقة فضيحةُ الفقير، فينبغي على الْمُتصدِّق أن يُخْفيَها، فإنّ الأذى أن يُظهِرها[1]. فمن يُريد دَفْع المال ونحوه إلى الْفُقراء أو طُلاّب العلم فيجب عليه أن يُعطيَه سرّاً، ولا يتحدَّث به، ولا يُظهِره.

أيها المسلمون: الخِدَاع من الآفات الرذيلة والعادات الشنيعة، وقد كان السَّلَف الصالح رحمهم الله تعالى يحترزون من الرذائل والسيّئات ويُطهِّرون قلوبَهم من الْمُهْلكات ويبالغون في التقوى والحذر من الشبهات، وقد جلس الشيخ أبو بكر الشبلي رضي الله تعالى عنه عند رجل يتعلّم منه النحو فقال: قُلْ: ضرَب زيدٌ عمرواً، فقال الشِّبْلي: أضرَبَه حقيقةً؟ قال: لا، وإنّما هو مثالٌ فقال: علمٌ أوّلُه كَذِبٌ لا أتعلَّمه[2]. وسببُ ذلك أنّه بلَغ كمالَ الإيمان والتقوى، وإلاّ يجوز ضَرْب هذه الأمثال في التعليم، وقد نُقل أنّ سيدنا الإمام البخاري رضي الله تعالى عنه

---

[1] ذكره أحمد يار خان النعيمي في "نور العرفان"، صـ٥٤.

[2] ذكره العلامة الصفوري في "نزهة المجالس"، فصل في زكاة الأعضاء، ١/١٩١.

خرَج يطلُب الحديث من رجل فرآه وقد هرَبت فرَسُه، وهو يُشير إليها برِدائه كأَنّ فيه شعير فجاءته فأخَذها، فقال: أكان معك شعير؟ قال: لا، ولكن أوهَمْتُها. فقال البخاري: لا آخُذ الحديث عمَّن يَكْذِبُ على البَهائم[1]. نسأل اللهَ عزّ وجلّ أن يرزُقنا فِعْل الخيرات وتركَ المنكرات من الكذب والغيبة والخيانة والخداع.

أيها المسلمون: الحسَد بِضاعة من بضائع الشَّيطان يبيعها للمُقرئين. والحسَد: أن تَتمَنّى زَوال نعمة الْمَحسود إليك[2]. فمن الصِّفات الْمَذْمومة أن ترى فاضلاً فتشتَهي زوال نعمته إليك. وهو من أفعال الْحَمْقَى؛ لأنّه اعتراضٌ على قسمة الله تعالى.

والحسَد موجودٌ في جميع الطبَقات الإنسانية وخاصّةً في الْمُتَدَيِّنين الذين لا ينتبهون إلى مضرّات هذا الفعل الحرام، فيقعون فيه، فإنّك ترى هذا واضحاً فيما إذا تفوَّق أحدٌ على أقرانه فإنّ الكثيرَ منهم يتمَنّى زَوال هذه النِّعْمة عنه، ويطلُبُها لنفسه وقد فشَى هذا الأَمْر كثيراً بين الطُّلاّب والقُرَّاء، فالمتفوِّقُون يَرْغَبون بالدرَجة الأولى في الْمُسابقات، فإن نالها غيرُهم تَمَنّوا زَوالها عنه لنيل هذا الشَّرَف، فيقعون بسبب ذلك في مَعاصٍ أُخرى كالغيبة والبهتان وسُوْء الظنِّ بالمؤمنين والمسلمين، ولا

---

[1] ذكره العلامة الصفوري في "نزهة المجالس"، ١/١٩١.

[2] ذكره ابن منظور (ت ٧١١هـ) في "لسان العرب"، باب الحاء، ١/٨٢٦.

بُدَّ من تنبيه الإخوة المسلمين الذين يُشاركون في الاحتفالات والمسابقات من مُنْشدين وغيرهم إلى التَّحَرُّز من آفات الرياء والسُّمْعة، لأنّنا رأينا كثيرًا منهم يُسارِعون في الإنشاد والقراءة في الْحَفَلات الكبيرة، ويحزَنون إذا ما فاتَتْهم فُرْصةُ المشارَكة، وأمّا في الْحَفَلات الصغيرة فلا يحضر فيها إلاّ من وَفَّقه اللهُ تعالى، فعلى كلِّ واحد منهم أن يُفتِّش في نيته قبل حُضور هذه الْحَفَلات والْمُسابقات لئلاّ يقَع في الآفات والْمُهلِكات بَدَلاً من نَيْل الْحَسنات، وينبغي علينا أن نزيِّن أعمالنا بالصِّدْق والإخلاص، فعن سيدنا مُعاوية بن قُرَّة رضي الله تعالى عنه قال: «عمَلُ السِّرّ أفضل من الْعَلانية بسَبْعين»[1]. ومن المعلوم أنّ العمَل بدون إخلاص لا يجلب الخير لصاحبه في الدنيا ولا في الآخرة، بل يُوْقِعه في الْحَسرة والنَّدامة، وقد رُوي عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه قال: «الْمُرائي يُنادى به يومَ القيامة على رُؤوس الْخَلائق بأربعة أسماء: يا كافِر، يا فاجر، يا خائن، يا غادر، ضَلّ عمَلُك، وبطل أَجْرُك، فلا خَلاَقَ لك اليوم عند الله تعالى، فالتَمِسْ أَجْرَكَ ممَّن كنتَ تعمَلُ له يا مُخادعُ»[2].

---

[1] ذكره البخاري في "التاريخ الكبير"، الجزء الثاني عشر، ٣/٣٠، (٣٠٠٥).

[2] ذكره الديلمي في "فردوس الأخبار بمأثور الخطاب"، ٢/٣٥٦، (٦٩٠١).

وروي عن ضَمْرة بن حبيب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّ الملائكة يرفَعُون أعمال العبد من عباد الله يستكثرونه ويُزَكّونه، حتّى يبلغُوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه، فيُوحي الله إليهم أنّكم حَفَظَةٌ على عمَل عبدي، وأنا رقيب على ما في نفسه، إنّ عبدي هذا لم يخلص لي، ولم يخلص عملُه فَاجْعلُوه في سِجِّيْن»[1].

وروي عن عطاء بن أبي رَبَاح قال: حدَّثتْني فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه: أنّها دخَلت عليه وهو في مُصلاّه تَسيل دُموعُه على لِحْيته، فقالت: يا أميرَ المؤمنين أَلشيء حدث؟ قال: يا فاطمة إنّي تَقَلّدتُ من أَمْر أُمّة محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم أسوَدَها وأحمَرها، فتفَكّرتُ في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري الْمَجْهود والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير، وذي العيال الكثير والمال القليل، وأَشباهُهم في أَقْطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمتُ أنّ ربّي سائلي عنهم يوم القيامة، فخشيتُ ألا تثْبُت لي حُجّةٌ فبكيتُ[2].

---

[1] ذكره ابن مبارك في "كتاب الزهد والرقائق"، صـ١٥٣، (٤٥٢)، وابن أبي الدنيا في "موسوعة"، كتاب الإخلاص والنية، ١/١٧٦، (١٨).

[2] "تاريخ الخلفاء"، صـ٢٣٦، و"تاريخ مدينة دمشق"، ٤٥/١٩٧.

أيها المسلمون: ولا بُدّ هُنا من التنبيه إلى الفَرْق بين الْحَسَد والغِبْطة، فالحسد هو تمنّي زوال النعمة عن المحسود، وأَمّا الغِبْطة فهي أن يرغَب الرجل في نَيْل النِّعمة التي توجَد عند الآخَر بدون تمنّي زَوالِها عنه، فمِثْل هذا لا يقال له: حاسد.

وقد نقل الإمام النووي رحمه الله تعالى: الْحَسود لم يَرْضَ بقسمة الله تعالى ومن لم يرض بالقسمة فقد عارَض الله تعالى في قسمته وحكمته[1]. وروي عن سيّدنا أنس رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «الحسَد يأكُل الْحَسَنات، كما تأكُل النار الْحَطَبَ»[2].

يا من عمره كُلّما زاد نقص، يا من يأمن مَكر الله وبَغْتَةَ الْمَوت، يا من يطلُب الْحُكْم والسُّلْطة وما تَهوَى النفس، يا مائلاً إلى الدنيا هل سلِمْتَ من النَّقْص؟ اعلم أنّ الموت أفظَع الأَهْوال وهو أشَدُّ من نَشْرِ الْمَنَاشير وقَرْضِ الْمَقَاريض وغَلْي في الْقُدور، وألفُ ضَرْبة بالسَّيْف أَهْونُ من موت على فِراش، فيجب على المسلم أن يتوب إلى الله تعالى، ويستعدّ للموت بتَرْك المعصية، والرَّكْض وراء الدنيا وجمع حُطامها من مال وغيره، ولا يطمع

---

[1] ذكره النووي في "شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية"، صـ٥٠.

[2] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب الحسد، ٤/٤٧٣، (٤٢١٠).

في حبّ الله مع حبّ المال والشرف، فقد قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «ما ذِئْبان جائعان أُرْسِلاَ في غنَمٍ أفسَد لها من حرص الْمَرء على المال والشَّرَف لدينه»[1].

وقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «ستّةٌ يدخلون النار بغير حساب: الأُمَراء بالْجَوْر، والعَرَب بالعَصَبيّة، والدَّهاقين بالكِبْر، والتُّجّار بالكذب، والعلماء بالحسد، والأغنياء بالبُخْل»[2].

وعن عبد الله بن بُسْر رضي الله تعالى عنه عن النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «ليس منّي ذو حسَد ولا نميمة ولا كهانَة ولا أنا منه»[3].

أيها المسلمون: الذهاب إلى الكهان وسؤالهم وتصديقهم خطرٌ عظيم وعرض النفسِ للشرّ والتهلكة؛ لأنّ الكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدّعي معرفة الأسرار مُعْتمداً في ذلك على الجنّ، وقد ثبت في القرآن الكريم أنّ أولئك الجنّ لا يعلمون الغيب، فمن استغاث بهم أو سألهم عن شيء من ذلك فعليه أن يتوب إلى الله تعالى.

---

[1] أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، ٣٥٠/٥، (١٥٧٨٤).

[2] "اتحاف السادة المتقين"، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، ٤٨٦/٩.

[3] "مجمع الزوائد"، ١٧٢/٨، (١٣١٢٦)، و"تاريخ دمشق"، ٣٣٤/٢١، (٤٨٠٥).

أيها المسلمون: ولا بُدّ من التنبيه هنا إلى أنّ بعض السذج من الناس يغترون بالكهان الذين يسلط عليهم الجنّ خاصةً أنّهم يظهرون بمظهر عباد الله الصالحين، ويحدِّثون بأشياء تصدق أحياناً ويأمُرون بالمعروف، وينهون عن المنكَر ولكن اعلموا أنّهم لا يقصدون بذلك إلاّ الضلال المبين، يقول الإمام أحمد رضا خان رحمه الله تعالى: الجنّ لا يعلمون الغيب، فمن سألهم عن أُمور الغيب فهو أحمق، ومرتكب للكبائر، وإن اعتقد لهم علم الغيب وصدَّقهم بما يقولون فقد كفر[1]. قال الشيخ مُحيي الدين ابن العربي رحمه الله تعالى: فإنّ الجانّ بالطبع يؤَثِّرون في جَليسهم التكبُّر على الناس وعلى كلّ عبد لله[2]. والتكبّر من عادات الْحَمْقى؛ لأنّ الْمُتكبِّر يظُنّ أنّ التكبُّر يرفَعُه ويجعَله بين الناس عزيزاً كريماً، ولكن هذا الفَهْم الخاطئ يُوْقعه في قَعْر الجحيم كما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «من تواضع لله درَجة، رفَعه الله درَجةً، حتّى يجعَله في عِلِّيِّين، ومن تكبَّر على الله درَجة وضَعه اللهُ درَجة حتّى يجْعَله في أسفَل السافلين»[3].

---

[1] ذكره أحمد رضا خان البريلوي في "الفتاوى الأفريقية"، صـ١٧٨.

[2] ذكره محيي الدين العربي (ت ٦٣٨هـ) في "الفتوحات المكية"، ١/٦١٧.

[3] أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، ٤/١٥٢، (١١٧٢٤).

أيها المسلمون: الحسَدُ حرام، ومُعالَجتُه فرضٌ على كلّ مكَلَّف، فلو قال قائل: لقد ابتليتُ بالحسد فكيف أزيله من قلبي؟ فنقول: أن يتذكّر الأمور التي تعين على تَرْك هذا الفعل القبيح:

[١]: أن تدعو الله عزّ وجلّ بأن يقيك من هذا الحسد.

[٢]: أن تعرف أنّ الحسد يضرّك في الدين والدنيا، ولا يضرّ محسودَك فيهما، بل ينتفع به فيهما.

[٣]: أن تخوّف نفسك من سخط الله ورسوله الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وأن تعلم أنّ من سلب إيمانه بسبب الحسد فمصيره إلى النار.

[٤]: أن تذكر الموت هاذم اللذّات، لما روي عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: من أَكْثَر ذكرَ الموت قَلّ فَرَحُه وقَلَّ حَسَدُه[١].

[٥]: أن لا تفكّر في من هو أعلى منك طبقةً أو منزلةً أو مكانةً؛ لأن ذلك يُولِّد الْحَسَد، وضَعْ نُصْب عَيْنَيْك هذا الحديث: «اُنْظُرُوْا إلى مَنْ هو أسفَلُ منكم، ولا تنظُرُوْا إلى من هو فوقَكُم، فإنّه أَجدَرُ أن لا تَزْدَرُوْا نعمةَ الله»[٢].

---

[١] ذكره ابن أبي شيبة في "مصنفه"، ١٦٧/٨، وأبو نعيم في "الحلية"، ٢٨١/١.

[٢] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب القناعة، ٤٤٣/٤، (٤١٤٢).

[٦]: أن تحبّ المحسود ولا تبغضه.

[٧]: أن تبدأ بإلقاء السلام مع بشَاشة الوجه ولين الجانب.

[٨]: أن تقدّم الهدايا إلى المحسود.

[٩]: أن تدعو بالبركة في النعمة المحسودة.

[١٠]: أن لا تتكلّم على المحسود ولا تسمع الكلام عليه.

[١١]: أن تقوم بالتعزية عند حُلول المصائب.

[١٢]: أن تلتزم بالتهنئة عند ظهور الفضل والنعمة على المحسود.

[١٣]: وأن تنصره عند الحاجة.

[١٤]: أن تكلّف اللسان المدح والثناء على المحسود.

[١٥]: وأن تسعى في حصول الخير له مهما أمكن.

يقول سيدنا الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى: فأمّا إذا كفَفْتَ ظاهرك وألزَمْتَ مع ذلك قلبَك كراهةَ ما يترَشَّح منه بالطبع، من حبّ زوال النعمة، حتّى كأنّك تمقت نفسك على ما في طبعها، فتكون تلك الكراهة من جهة العقل، في مقابلة الميل من جهة الطبع، فقد أدَّيت الواجب عليك، ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا[1].

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب، ٣/٢٤٦.

أيها المسلمون: ومن يريد التوسع، فعليه أن يقرأ الكتب والرسائل للإمام الغزالي، ولترسيخ هذه النصائح يسافر في سبيل الله، ويحاسب نفسه من خلال كتيب "الجوائز المدنية"، ويستحضر دائماً أنّ الموت لا بدّ أن يدركنا ولو كنّا في بُرُوج مشيَّدة، ويخرجنا من الغُرف الواسعة إلى حفر مُظْلمة ومن فوق الأرض إلى تحت الأرض، ويتفكّر في الآخرة، ويهرع إلى باب الله تعالى تائباً منيباً، ويترك الذنوب والمعاصي خاشعاً مطيعاً، وقد قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «التائب من الذنب كمن لا ذنبَ له»[1].

أيها المسلمون: توبوا إلى الله تعالى، وأدّوا حقوق الآخرين، واسعوا في إصلاح ذات بينكم، فإنّ من يُكثر التعامل مع الناس يُخاف عليه تضييع الحقوق، وإنّي أغتنم هذه الفرصة وأستسمح من جميع المسلمين الذين يسمعونني، فسامحوني عن كلّ تقصيرٍ بدر مني في حقّكم، ومن أخذتُ له مالاً فليأخذه منّي، أوً يسامحني، وأنا سامحتُ كلّ من قصّر في حقّي، أو آذاني، أو يؤذيني في المستقبل حتّى إن قتلني أحد فإنّي أسامحه فلا يجوز لأحد أن يؤذيه أو يؤذي الآخرين فيضيِّع أموالهم وأملاكهم.

---

[1] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ٤/٤٩١، (٤٢٥٠)، والطبراني في "المعجم الكبير"، عبد الله بن مسعود، ١٠/١٥٠، (١٠٢٨١).

أيها المسلمون: وأقيموا الصلاة، وصُوْموا شهر رمضان المبارك واعزموا النية على أن لا تتركوا العبادات المكتوبة، وإن وجب عليكم الحجّ فلا تتأخّروا عنه، واقضوا ما فاتكم من الصلاة والصيام، وقد جاء عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه قال: «من ترك صلاة متعمِّداً كتب اسمه على باب النار فيمن يدخلها»[1]. وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من أفطَر يوماً من رمضانَ من غير رخصة ولا مرَضٍ لم يَقْضِ عنه صومُ الدَّهْر كلِّه وإن صامَه»[2].

أيها المسلمون: وتوبوا إلى الله تعالى من جميع الذنوب كالغناء والنظر إلى الحرام ونحوهما، وقد روي: «من ملأ عينه من الحرام ملأ الله تعالى يوم القيامة عينه من النار»[3].

وروي عن النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه خرج على الصحابة بعد صلاة الفجر، وذكر لهم رؤياه وفيها: «فإذا نحن برجال ونساء مُسَمَّرَة أَعْيُنُهم وآذانُهم، فقلتُ: ما هؤلاء؟ قال الملك: هؤلاء الذين يُرُّون أَعْيُنَهم ما لا يَرَوْن، ويُسْمِعون

---

[1] ذكره أبو نعيم في "حلية الأولياء"، مسعر بن كدام، ٢٩٩/٧، (١٠٥٩٠).

[2] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الصوم، ١٧٥/٢، (٧٢٣).

[3] ذكره الغزالي في "مكاشفة القلوب"، الباب الأول في بيان الخوف، صـ١٠.

آذَانَهم ما لا يَسْمَعُون»[1]. وأوصيكم أيها المسلمون بترك تقليد الغَرْب والكفّار، وبمخالفتهم في الأعمال والعادات، وإيّاكم وحلق اللِّحَى، وقد روي عن سيدنا ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «خالفوا المشركين، وفِّروا اللّحَى، وأَحْفُوا الشَّوَارب»[2].

وقد عدّ النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم حَلْق اللّحى من التشبّه بأعداء الإسلام، وقد شاع في زمننا كلمة المقاطعة الاجتماعية في الْمُنْتَجات والمصنوعات لأعداء الإسلام، فينبغي علينا أن نقاطعهم أيضاً في التقاليد والعادات السيئة، ونلتزم في جميع شُعَب الحياة، ونتقيّد بالزِّيّ الإسلامي، ونترك كلّ ما يغضب الله ورسوله ويُوصل إلى المهلكات العظيمة وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لما عُرِجَ بي مَرَرْتُ برجال تقطع جُلُودُهم بمَقَاريضَ من نار فقلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يتزَيَّنون إلى ما لا يحلّ لهم، قال: ثم مررتُ بجُبّ مُنْتنِ الريح فسمعتُ فيه أصواتاً شديدةً فقلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: نساء كنَّ يتزَيَّنَّ للزِّينة ويفعَلْنَ ما لا يحلّ لهنّ»[3].

---

[1] أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير"، ٨/١٥٦، (٧٦٦٦).

[2] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، ٤/٧٥، (٥٨٩٢).

[3] "شعب الإيمان"، ٥/٣٠٩، (٦٧٥٠)، و"تاريخ مدينة دمشق"، ٥١/٢١٦.

اللهم احفظنا من كلّ بلاء في الدنيا وعذاب في الآخرة، وجنِّبنا مكائد الشيطان والظلم والخيانة والكيد والحسد وغيرها من الآفات برحمتك يا أرحم الراحمين.

اَلْغَفْلَة

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدَّاعِيَةِ الْكَبِيرِ أَبِي بِلَالٍ مُحَمَّد إِلْيَاسْ الْعَطَّارِ
الْقَادِرِي الرَّضَوِي حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

تعريب
مجلس التراجم


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، **أمّا بعد:**

فقد روي عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «من صلّى علَيّ واحدةً صلّى الله عليه عشراً»[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

وجد رجل صالح سَبِيْكَة ذهب فأخَذها ومَضى في طريقه، وهو يُخَطِّطُ لمشاريع لا حصر لها من بناء العمارات الضخمة واقتناء أدَوَات الزينة والترف والرفاهية المتنوّعة بأغلى ما يتخيَّله بالٌ أو يخطر عليه، وفِعْلاً فازدهر عمرانه، وزاد خدمه وحشمه، وكثرت تجارته، فقضى جُلّ وقته في تدبير أموره وصيانة أمواله، حتّى غفل عن ربّه سبحانه وتعالى بسبب ثرائه ووقوعه في مُسْتَنْقعات الرَّخَاء والتَّرَف، وبينما هو كذلك غافلٌ عن ربّه، مسترسلٌ في غيِّه، راغبٌ في جمع الْحُطام والتلذذ بالشراب

[1] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الصلاة، صـ٢١٦، (٤٠٨).

والطعام وانقضاء العمر القصير في اللّهث وراء الدنيا والاغترار بزيفها مع نسيان الآخرة وأهوالها، إذ خرَج يوماً من بيته على عادته من أمره، فمَرَّ في طريقه بمقبرة فرأى رجلاً يَعْجِن الطِّيْن على قبر ليَصْنَع منه اللَّبِن، فلمّا رأَى هذا المنظر استيقظ من سنة الغفلة وصحا من أوهامه ووقع ما رآه منه موقعاً وأثّر في حياته أيما تأثير وذكَّره بالمصير وإلى أين يصير فارتفع ستار الغفلة عن قلبه وجرت الدموع من عينه، بعدَ ما تَذكَّرَ أنّ هناك من سيصنع له اللَّبِن ويضعه فوق قبره تماماً كما يرى الآن.

فتأوَّه كثيراً في نفسه وخاطبها قائلاً: ستبقى هنا بيوتي العالية وملابسي الفارهة سأترك ما جمعتُ وعمّا قريب سأفارق الدنيا، فيا خسارة نفسي عند نقلتها ويا وحشتها في غربتها إذا لم يتب ربّي عليّ، وإذا لم أتدارك نفسي، فترك الحطام بأسره، وهرب إلى ربّه زاهداً في الدنيا مقبلاً على الآخرة.

أيها المسلمون: إنّ في هذه القصة من الدروس والعبر البالغة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، والموفق الملهم مَنْ أخذ من ذلك دروساً وعبراً، واستفاد منه مُدّكراً ومُزْدَجراً، وتزوّد من الْمَمَرّ للمَقَرّ، فإلى الله سبحانه المرجِع والمستقرّ،

والكيّس الْمُسَدّد مَنْ حاذَر الغفلة عن الدار الآخرة، حتّى لا يعيش في غمرة، أيها المسلمون: إنّ النِّعَم التي تتوفّر لنا بكثرة في هذه الدنيا لا تخلو من خطر الغفلة، فمن يشغل قلبه بالنعم الدنيوية تصُدُّهُ الغفلة وتُبْعده عن ربّه، فالتجارة الطيبة والمال والبيوت العالية والمركب الجيد والأولاد كلّها نعمٌ تحتاج أن نشكر اللهَ عليها لا أن نشغل قلوبنا بها؛ لأنّ شغل القلب في نعمة من النعم الدنيوية أكثر من الحاجة سببٌ للغفلة والبعد عن الله تعالى ولذلك حذَّر الله عباده من فتنة المال والولد فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩/٦٢].

ففي ذلك عبرة لمن يركن إلى الدنيا ويرسل نفسه في الفرح بها، وينهمك في التنعّم واللذّة، ويجهد عمره في جمع المال وكسبه، وبعض الناس قد يحتجّون في عدم السفر في سبيل الله بأعذار تافهة، كأن يقول مثلاً: والله ما عندي وقت، ويتعذّر بزوجته وأولاده، ومنهم من يترك الصلاة، ويشتغل كلّ وقته بعمله أو تجارته، ويقول: العمل عبادة، وكلُّنا نعلم بطلان هذه

المقولة، ووالله ما الباعث على هذا الكلام إلاّ الغفلة. يا من يشغل باله في جمع المال، ويتَخَبَّطُ خبط عشواء مسافراً شرقاً وغرباً للحصول على المال لم تحيد عن دخول المساجد؟ يا من يسرف في زخرفة بيوته لم تبخل عن الإنفاق في سبيل الله؟ يا من يبتكر طرقاً مختلفةً لتضخيم ثروته لم لا تبتكر طرقاً للبرّ والمعروف؟ تفكّروا أيّها الإخوة قبل أن يأتيكم الموت، فينقلكم من غرفكم المضاءة إلى القبور المظلمة المخيفة المليئة بالحشرات. يا من عن الله غافل وبماله مذهول تدارك نفسك قبل أن يأتي ما كنت تخشاه ويدهمك ما كنت تتحاشاه، فتصرخ عندها: ﴿**رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ**﴾ [المنافقون: ٦٣/١٠]. ربِّ أعدني في الدنيا لكي أعبدك وأنفق جميع أموالي في سبيلك، وأصلّي الصلوات الخمس جماعة مدركاً التكبيرة الأولى؛ مع صلاة التهجد والاعتكاف في المساجد وإعفاء لحيتي وفقاً للسنّة ولبس العمامة دائماً.

يأيها الغافلون: عن المصير المحتم ارجعوا إلى ربّكم من قبل دهم الموت ووقوع كثبان العذاب العظيم، فهناك لا يلقى

الرديُّ سوى الردى، ويقرّ في قبر مخيف مظلم، عندها يقول هؤلاء الغافلون: اللّهمّ أرجعنا إلى الدنيا لنعمل صالحاً غير الذي كنّا نعمل وأمهلنا مدّة يسيرة لنتوب، وأمهلنا لنعمل الصالحات ولكن لا ينفع الغافل صراخه حين موته، ولا استغاثته بعد حلوله في رمسه فلقد جاء التحذير من الله تعالى على لسان البشير النذير في كتاب كريم فقال تعالى: ﴿**وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [المنافقون: ٦٢/١٠-١١]. قال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى[1]: دخلت على رجل صالح أعوده وهو مريض، وكان من المشايخ الكبار وحوله تلاميذه، وهو يبكي وقد بلغ أرذل العمر، فقلت له: أيها الشيخ مِمَّ بكاؤك؟ أعَلى الدنيا؟ فقال: أبكي على فوت صلاتي، قلت: وكيف ذلك وقد كنتَ مصلّياً؟ قال: لأنّي قد بقيت إلى هذا وما سجدت إلاّ في غفلة، ولا رفعت رأسي إلاّ في غفلة، وها أنا أموت على

[1] ذكره الغزالي في "مكاشفة القلوب"، الباب السادس: في الغفلة، صـ٢٢.

الغفلة، ثم إنّه تنَفَّس الصعداء وأنشد يقول:

تفكرت في حشري ويوم قيامتي	وإصباح خدي في المقابر ثاويا
فريداً وحيداً بعد عزٍّ ورفعة	رهيناً بجرمي والتراب وساديا
تفكّرت في طول الحساب وعرضه	وذلّ مقامي حين أعطى كتابيا
ولكن رجائي فيك خالقي	بأنّك تغفر يا إلهي خطائيا

أيها المسلمون: لنتفكّر في الدروس والعبر البالغة التي انطوت عليها هذه القصة ولننظر إلى عباد الله الصالحين، كيف أنّهم يذمّون أنفسهم على تقصيرها مع حسن عملهم، ويخافون من الله تعالى ولا يكترثون بعبادتهم، أمّا الغافلون فلا يعرفون شيئاً من العمل الصالح ولا الإخلاص ومع ذلك يعجبون بعبادتهم، ولا يستحيون من ارتكاب الذبوب والجهر بها بل تراهم يضحكون عند اقتراف الذنوب. اسمعوا أيّها الإخوة إلى ما نقله حجّة الإسلام الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «من أذنب ذنباً وهو يضحك دخل النار وهو يبكي»[1]. فليتفكّر الذين يكذبون، ويخالفون الوعد ويبيعون الأموال المغشوشة، ويشاهدون الأفلام والروايات

[1] ذكره الغزالي في "مكاشفة القلوب"، باب في الضحك والبكاء واللباس، صـ٢٧٥.

المسرحية، ويسمعون الأغاني ويؤذون المسلمين، ويكسرون خواطرهم بدون عذر شرعي، وهم يضحكون في هذه الأحوال فإن سخطَ اللهُ ورسولُه الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم فماذا يحصل لهم؟ وإن ختم لهم بالكفر والعياذ بالله بسبب الذنوب والمعاصي وأصبح الجحيم مأواهم فماذا يفعلون، اسمعوا إلى قول الله عزّ وجلّ: ﴿**فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**﴾ [التوبة: ٨٢/٩].

وينبغي للإنسان أن يكون في كلّ صباح ونهار وليل مسلماً، لأنّ الموت متوقّع أن يأتي في كلّ لحظة من ليل أو نهار، ويجب أن يحذر الموت ويحذر ما بعد الموت، والحذر إنّما يكون بالاستعداد والعمل الصالح، روى أنّ سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام كان مؤاخياً لملك الموت، فزاره فقال له يعقوب عليه الصلاة والسلام: يا ملك الموت أزائراً جئتَ أم قابضاً روحي؟ فقال: بل زائراً، قال: فإنّي أسألك حاجة، قال: وما هي؟ قال: أن تعلّمني إذا دنى أجلي، وأردت أن تقبض روحي، فقال: نعم أرسل إليك رسولين أو ثلاثة، فلمّا انقضى

أجله أتى إليه ملك الموت، فقال: أزائراً جئتَ، أم لقبض روحي؟ فقال: لقبض روحك، فقال: أولستَ كنت أخبرتني أنّك ترسل إليّ رسولين، أو ثلاثة؟ قال: قد فعلت. بياض شعرك بعد سواده وضعف بدنك بعد قوّته وانحناء جسمك بعد استقامته هذه رسلي، يا يعقوب إلى بني آدم قبل الموت.

مضى الدهر والأيام والذنب حاصل	وجاء رسول الموت والقلب غافل
نعيمك في الدنيا غرور وحسرة	وعيشك في الدنيا محال وباطل[1].

أيها المسلمون: إنّ ملك الموت عليه السلام يرسل رسله إلى بني آدم قبل الموت، وقد جاءت رسل الموت إلى كثير من الناس ومع ذلك ترى الغفلة مخيمة على حياتهم فإن اشتعل رأس أحد شيباً قال: هذا من الزكام، وإن مرض قال: سهل ويمضي كما مضى غيره، ولا ترى الغفلة إلاّ بازدياد والحال أنّ كثيراً من الناس يموتون بالمرض يومياً، ومن الممكن أنّ المرض الذي لا نلتفت إليه لضعفه أو لهوانه قد يشتدّ، ويوصلنا إلى القبور، فلا يكون حينئذ إلاّ الميت وأعماله الحسنة أو السيئة، فالعاقل منّا من استعدّ لهذا اليوم، وأعدّ العدّة ليكون من أهل الجنّة.

---

[1] ذكره الغزالي في "مكاشفة القلوب"، الباب السادس في الغفلة، صـ٢١.

وأمّا من يكون مقصراً عن الطاعة، مصرّاً على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة، فهو متخبِّط في ظلمة المعاصي، وإن استحقّ بذلك سخط الله وغضبه فيقع في عذاب أليم، ولا ينفع ولا يجديه الأسف والندم شيئاً، فالمتساهلُ في صلاته الذي لا يقيمها بأركانها وبشروطها، ولا يحافظ على أوقاتها، بل يسهو عنها ويضيّعها، هذا العابد موعود بالويل والثبور، وقد جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من ترك صلاة متعمّداً كتب اسمه على باب النار فيمن يدخلها»[1]. والمتساهلُ في الصوم الواجب والمفرِّط فيه، الذي لا يبالي إنْ أفطَر في رمضان بلا عذر ولا مرَضٍ ولا رخصة معلومة مؤاخذٌ ملوم، ففي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من أفطَر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا مرَضٍ لم يَقْضِ عنه صومُ الدهر كلِّه وإن صامَه»[2]. والمتلذّذُ بالاستماع للأغاني والموسيقى أو بالنظر إلى النساء الأجنبيات وإلى الشباب

---

[1] أخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء"، مسعر بن كدام، ٢٩٩/٧، (١٠٥٩٠).

[2] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الصوم، ١٧٥/٢، (٧٢٣).

المردان بباعث الشهوة بواسطة وسائل الإعلام المرئية أو بواسطة المجلات والصحف فهذا مستحقّ للشديد من العذاب، لما روي عن النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أنّه خرج على الصحابة بعد صلاة الفجر، وذكر لهم رؤياه، وفيها: «فإذا نحن برجال ونساء مُسَمَّرَةٍ أَعْيُنُهم وآذانُهم، فقلتُ: ما هؤلاء؟ قال الملك: هؤلاء الذين يُرُون أَعْيُنَهم ما لا يَرَوْن ويُسْمِعون آذَانَهم ما لا يَسْمَعُون»[1]. وفي رواية: «من ملأ عينه من الحرام ملأ الله تعالى يوم القيامة عينه من النار»[2].

أيها المسلمون: نظرُ الرجلِ إلى المرأة الأجنبية، أو نظرُ المرأة إلى الرجل الأجنبي بباعث الشهوة حرام، ويجب على المرأة أن تحتجب من الذين لا يحرم الزواج بينها وبينهم كابن العمّ وابن الخال وابن العمّة وابن الخالة وزوج أختها، كما أنّه يلزمها الحجاب من الرجال الأجانب وأقارب زوجها كأخيه وعمّه، ويجب الحجاب بين الشيخ ومريدته، ولا يجوز للرجل أن ينظر إلى زوجة عمّه وخاله وأخيه وإلى أخت زوجته بباعث

---

[1] أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير"، ٨/١٥٦، (٧٦٦٦).

[2] ذكره الغزالي في "مكاشفة القلوب"، الباب الأول في بيان الخوف، صـ١٠.

الشهوة، وإذا بلغت البنت تسعة من العمر تؤمر بالحجاب، وإذا بلغ الولد اثني عشر عاماً يُبْعَد عن النساء الأجنبيات. وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لما عرج بي مررت برجال تقطع جلودهم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟» قال: الذين يتزينون للزينة قال: «ثم مررت بجب منتن الريح، فسمعت فيه أصواتاً شديدةً، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟» فقال: نساءكن يتزين للزينة ويفعلن ما لا يحلّ لهنّ[1].

فينبغي لكلّ مسلم أن يحرص على تطبيق الشريعة الإسلامية ويجب على المرأة أن تحتجب عن الرجال الأجانب، وأخصّ الأقارب الذين هم غير محارم: الحمو وابن العمّ وابن الخال وابن العمّة وابن الخالة والأقارب الذين ليسوا بمحارم، ولا تلبس الثِّيَاب القصيرة أو الثياب الضيِّقة أو الثياب الشفافة التي لا تستر الجسم أو تبدي مفاتن الجسد، وإذا خرجت إلى خارج المنزل فيجب أن تستتر من مشاش رأسها إلى قدمها، ولا يبدو منها شعرة ولا ظفر واحد، وينبغي على كلّ مسلم أن يعزم النية من الآن على اجتناب الذنوب والمعاصي والمحافظة على الصلاة

[1] أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"، باب في تحريم، ٣٠٩/٥، (٦٧٥٠).

والـصيام وعـدم مـشاهدة الأفـلام والمـسرحيات، وعـدم حلـق اللحية. أيها المسلمون: ها هي بيئة الدعوة الإسـلامية تـدعوكم بقلوب أبنائها التي تنبض بمحبتكم، وتزهو بالشوق لـرؤيتكم في صفوف العائدين إلى الله تعالى، المقـبلين عليـه الملتـزمين بـسنّة خير الأنام ومصباح الظلام صلّى الله تعالى عليه وسلّم وتدعوكم لتفوزوا في الدارين برضا الرحمن ورسوله العدنان صـلّى الله تعـالى عليه وسلّم، وسأنثر علـى مـسامعكم هـذه القـصة الجميلـة الـتي جرت مع شـابّ ارتـبط ببيئـة الـدعوة الإسـلامية؛ لتزيـد ثقـتكم بجمعية الدعوة الإسلامية ولتتيقنوا مصداقيتها، كان هذا الـشابّ حريصاً على اتّباع الزيّ الحديث، اسم هذا الشابّ محمد إحـسان العطاري، أصبح مريداً لسيّدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعـالى مـن طريـق الـشيخ محمـد إليـاس العطـار القـادري الرضوي، فتغيّر دستور عيشه وأطلق لحيته قبضة، وتعَمَّم بعمامة خضراء وصار متديِّناً، تعلّم القرآن الكـريم في مدرسـة المدينـة، واشتغل بدعوة الناس إلى البر والمعروف، وذات يوم أصابه الألم فعالجه الطبيب، ولكن اشتدَّ مرَضه حتّـى اُحتـضر، فأعـدَّ الوصـايا مـستفيداً مـن "الوصـايا المدنيـة" للـشيخ محمـد إليـاس العطـار

القادري الرضوي، وسلَّمها إلى مسؤول المنطقة، ثم توفّي وهو ابن خمس وثلاثين سنةً، ودفن في المقبرة من "كراتشي"، واجتمع الإخوة المسلمون وأنشدوا في مدح النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلَّم إلى اثنتي عشرة ساعةً عند قبره على حسب وصيته، وبعد وفاته بثلاث سنَوات ونصف يوم الثلاثاء من السادس من شهر جُمادى الآخرة سنة ١٤١٨هـ، دفن الإخوة المسلمون عثمانَ العطاري في نفس المقبرة فذهب بعضهم عند قبر محمد إحسان العطاري لزيارته وإيصال الثواب إليه، فرأوا شقّاً كبيراً في قبره، وقد دهشوا عندما رأوا أنّ محمد إحسان العطاري كان سالماً مع جسمه وكفنه المعطّر، وعمامته الخضراء، وكأنّه ينام، وقد شاع هذا الأمر في كلّ مكان فكان الناس يزورون جثته المكفنة الناضرة، وقد تغيرت نظرة الناس إلى جمعية الدعوة الإسلامية، لَمّا شاهدوا فضْلَ الله العظيم على أصحاب الدعوة الإسلامية، فأصبحوا من محبّيها.

أيها الإخوة المسلمون: لعلَّكم تذكرون أنّ الداعيتين الحاج أُحُد رضا العطاري ومحمّد سجاد العطاري قد قُتلاَ في مدينة لاهور، لَمَّا هجم عليَّ بعضُ الناس وهم يريدون قتلي وقد

انهدَم قبر الحاج أُحُد رضا بعد وفاته بثمانية أشهر، ولَمَّا فُتح قبره لعذر شرعي كانت جثته ناضرة، سالمة.

وفي الختام ألتمس من جميع الإخوة المسلمين أن يرتبطوا ببيئة الدعوة الإسلامية، وأن يلتزموا بحضور اجتماعات الدعوة الإسلامية، وأن يسافروا في سبيل الله مع قوافل الإخوة الدعاة إلى الله تعالى، ولله الحمد أولاً وآخراً.

أريدُ إصلاحَ نفسي

لفضيلة الشيخ الداعية الكبير أبي بلال محمد إلياس العطار
القادري الرضوي حفظه الله تعالى

تعريب
مجلس التراجم


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، **أمّا بعد:**

فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من صلّى عليّ صلاةً واحدةً صلّى الله عليه عشْراً، ومن صلّى عليّ عشراً صلّى الله عليه مئةً ومن صلّى عليّ مئةً كتَب الله بين عينَيْه براءةً من النِّفَاق وبراءة من النار وأسْكَنَه الله يوم القيامة مع الشُّهَداء»[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

قال إبراهيم التَّيْمي: مثَّلْتُ نفسي في النار أعالج أغلالَها وسعيرَها، وآكُلُ من زَقُّومها وأشرَبُ من زَمهريرها، فقلتُ: يا نفسي، أيَّ شيء تشتهين؟ قالت: أرجِعُ إلى الدنيا أعمَلُ عملاً أنجو به من هذا العذاب، ومثَّلْتُ نفسي في الجنّة مع حُورها وألبَسُ من سُنْدُسِها وإستَبْرَقِها وحَرِيرها فقلتُ: يا نفسي، أيَّ شيء تشتهين؟ قالت: أرجِعُ إلى الدنيا أعمَلُ عمَلاً أزداد من هذا الثواب، فقلتُ: أنت في الدنيا وفي الأُمْنِيَّة[2].

---

[1] أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط"، ٥/٢٥٢، (٧٢٣٥).

[2] أخرجه الأصفهاني في "حلية الأولياء"، ٤/٢٣٥، (٥٣٦١)، وأحمد بن حنبل في "الزهد"، زهد إبراهيم التيمي، صـ٣٦٠، (٢١٠٦).

أيها المسلمون: انظُرُوْا إلى الأسلاف رحمهم الله تعالى أنّهم كيف كانوا يُصْلحون ويُحاسبون أنفسهم من أجل التقصير في طاعة ربِّهم، وكانوا أشدّ الناس مُحاسبةً لأنفسهم، يخافون ربَّهم في كلّ حين، ويتزوّدون من الدنيا للآخرة، فنِعْمَ السعي سعيُهم، ونعم العمَل عمَلهم، وإنّ سعيهم كان مشكوراً بشهادة كتاب الله تعالى إذ قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا**﴾ [الإسراء: ١٩/١٧].

أيها المسلمون: هذه أحوال السّلَف، فما أحوالنا نحن اليوم لا نراها تؤدِّي بنا إلاّ إلى التّلَف، ويا للأسَف، نحن نتفكَّر في الدنيا ونجمع الأموال، ونضيِّع صحّةَ أجسامنا وأوقاتنا في جَمْع حُطَام فيه هَلاكُنا، نحن نشتغل عن الآخرة، ونُسوِّف في العمَل لها، ولا نتزوَّد لها، ثم بعد ذلك نرجو النَّجاةَ، هيهاتَ هيهاتَ، فلتنظر يا من عمرُه بالذنوب والمعاصي في أحوال من سبقَك ممّن سلَك مَسْلَكك كيف جاءته الْمَنيَّة فباغتْه، فلم يجد وقتًا للتوبة والإنابة، فقد تصدَّع صدرُه حسرةً، وزهقَتْ نفسُه تصحبها صيحات الأسف والندم وحل في قبرٍ سيجد فيه ما قدَّم، فكم من مستقبل لم يَسْتكمله؟! وكم من هدَف لم يَصِلْه فتفكَّر

بالآخرة والإقبال عليها، وتأهّب للرحيل إليها قبل أن يفوت الأوان؟! فكم من راغب في الدنيا قد نُسِجَتْ أكفانُه وختم ديوانه، وسار ملَكُ الموت نحوه ليقبض روحَه، فما أخسره إن كان ألهاه عصيانه، حتّى حلّت به أعظم المصائب أفتراه بتماديه في طلَب الدنيا صائبًا، فلتتعظ ولتتأهب للرحيل، فما بقي إلاّ القليل، ويجب على كلّ مسلم أن يستقبل أيّامَه وشُهورَه وأعوامَه بطاعة رَبِّه، ومُحاسبَة نفسه وإصلاحِ ما فسَد من أعماله، وإن لم يَعْزِم النيةَ على اجتناب الذنوب وعمَلِ الصالحات فالْخَسَارة بالمِرْصاد، فالعاقلُ من حاسَب نفسه، وتزوَّد للآخرة، ونَدِم على الذنوب والتقصير في الطاعة، واستشعَر الخوفَ من عُقوبَة الذنوب، كما كان يفعَل أسلافُنا رحمهم الله تعالى. نقل حجّة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى: كان توبة سيدنا ابن الصِّمَّة رحمه الله تعالى بالرقة وكان مُحاسبًا لنفسه فحسَب يومًا فإذا هو ابن ستّين سنةً، فحسب أيّامَها فإذا هي أحدٌ وعشرون ألف يومٍ وخمسُ مئة يومٍ، فصرَخ وقال: يا وَيْلتي ألقَى الْمَلِكَ بأحد وعشرين ألفَ ذنب؟ فكيف وفي كلّ يوم عشرة آلاف ذنب؟! ثم خرَّ مَغشيًّا عليه فإذا هو ميِّتٌ[1].

---

[1] ذكره البيهقي في "شعب الإيمان"، ١/٥٣٣، (٩٤٤)، والغزالي في "إحياء العلوم"، بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل، ٥/١٣٩.

فتفكَّروا أيها المسلمون في مآلكم قبلَ رحيلِكم إلى القبر الذي أنتم اليوم في غفلة عنه، وتأمّلوا في حال الأسلاف رحمهم الله تعالى أنّهم كيف كانوا يتفكَّرون في الآخرة، ويُحاسبون أنفسَهم، وكانوا أعبَد الناس وأخشاهم، ومع ذلك كانوا أشدّ الناس خوفاً من الله تعالى، وكانوا يصلّون ويصومون ويتصدّقون ويعملون الصالحات، ويسهَرُون اللَّيَالي ومع ذلك يَعُدّون تَرْك الْمستحبّات من السيئات، أمّا نحن المستغرقون في الذنوب والمعاصي، نتجرّأ عليها، ولا نخشي لومة لائم، ولا نخاف من عُقوبة الله تعالى، ومع ذلك نعُدّ أنفسنا في زمرة الصالحين، فيا لله ما أشدّ غبننا بما نحن فيه، وما أشدّ غفلةً طمَست الحقائق عندنا، حتّى صِرْنا ندعي ما ليس لنا.

مرّ عُتْبَة الغلام رحمه الله تعالى يوماً على مكان، فارتعَدَ ورشَح عرقاً، فقيل له في ذلك، فقال: هذا المكان عصيتُ الله فيه وأنا صغيرٌ[1].

وكان سيّدُنا الحسن البَصْري رحمه الله تعالى عصَى اللهَ وهو صغيرٌ، فكلّما خيَّط الثوب كتب ذلك الذنب عليه، وكلّما رآه وقَع مغشِيًّا عليه[2]. فالسَّلَف الصالح كانوا يذكُرون ذنوبَهم

---

[1] ذكره عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت ٩٧٣هـ) في"تنبيه المغترين"، صـ٤٩.

[2] ذكره فريد الدين عطار نيشابوري (ت ٦٣٧هـ) في "تذكرة الأولياء"، ٣٩/١.

وكانوا يستشعرون الخوف من الله تعالى، فما بالنا نحن نرتكب المعاصي ونتجرَّأ عليها، ولا نخشى لومةَ لائم، ولا نخاف من العُقوبة، بل ننسَى الذنوبَ ونذكُر الأعمالَ الصالحة.

أيها المسلمون: السعيد من يعمَل الصالحات ثم يَنْساها ويذكُر ذنوبَه ويُحاسب نفسَه بالتقصير في طاعة ربّه، ويخاف من الله تعالى في كلّ حال وحين ويشُدّ يده على امتثال الكتاب والسنّة والطرق الْمُوْصلَة إلى ذلك، وهي اتِّباعُ السلَف رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، لأنّهم أعلم بالسنّة منَّا، إذْ هم أعرَف بالمقال، وأفقَه بالحال، نقل حجّة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى: أنّ سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يضرب قدَمَيْه بالدِّرَّة إذا جنه الليل، ويقول لنفسه: ماذا عملت اليوم؟[1]. وهذا سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من العشرة المبشَّرين بالجنّة وكان أفضَل الناس بعد سيّدنا أبي بَكْر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه، وأتقاهم لله، ومع ذلك كان يُحاسب نفسه، قال سيدنا أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يوماً وقد خرَج، وخرجتُ معه، حتّى دخَل حائطاً،

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب المراقبة والمحاسبة، بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها، ١٣٧/٥.

فسمعتُه وهو يقول وبيني وبينه جدار، وهو في جوف الحائط: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، بَخٍ بَخٍ! والله، لَتتَّقيَنَّ الله أو لَيُعذِّبنَّك[1]. وقال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه: «حاسِبُوْا أنفسَكم قبل أن تُحاسَبوا»[2].

فينبغي على كلّ مسلم أن يُحاسب نفسه على جميعِ حرَكاتها وسكَناتها، كما يفعل التُّجّار في الدنيا مع الشّرَكاء في آخر كلّ سنَة أو شهر أو يوم حِرْصاً على الدنيا، فينظُر في رَأسِ المال وفي الرِّبْحِ والْخُسْران لِيَتبيَّن له الزِّيادة من النقصان، فكذلك لا بدّ من مُحاسَبة النفس على الأعمال السابقة، ليتَّقي المسلم غَبْن النفس ومَكْرَها؛ لأنّها خَدّاعة، مُلبِّسَة مَكَّارة، تُقدِّم إليه طُغيانَها في لباس الطاعة، ويحاسب نفسه فيما سبَق من تقصيره، ويُدبِّر في دَفْعه، ويتذكَّر تقصيره، كما كان يفعل الصالحون رحمهم الله تعالى. وروي أنّ عامّة صلاة الأحنَف بن قيسٍ باللّيلِ الدعاء، وكان يجيء إلى المصباح فيضع أصبعه فيه، حتّى يحسّ بالنار، ثم يقول لنفسه: يا حنيف، ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟[3].

---

[1] "الموطأ" للإمام مالك، ٤٦٩/٢، (١٩١٨)، و"الطبقات الكبرى"، ٢٢١/٣.

[2] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب صفة القيامة، ٢٠٨/٤، (٢٤٦٧).

[3] "إحياء العلوم"، ١٣٨/٥، و"الزهد" لابن المبارك، صـ٢٤٨، (١٣٠١).

وروي عن سيدنا مُجمِّع رحمه الله تعالى أنّه رفَع رأسه إلى السَّطْح فوقَع بصَره على امرَأة فجعَل على نفسه أن لا يَرْفَع رأسه إلى السماء ما دام في الدنيا[1]. مع أنّ نظرة الْمُفاجأَة التي هي النظرة الأولى مُباحَة ولكنّ الورع الذي يمنع التساهل مع النفس إذا ما قصّرتْ ولو عن غير قصد فيؤدِّيها بما لا يهلكها.

ولقد كان السلف أعدَل الناس، وأعبدهم، وأخشاهم لله تعالى ومع ذلك كانوا أشدّ الناس خوفاً من الله تعالى، بل إنّهم يصلّون ويصومون، ويتصدّقون، ويجتنبون الذنوب، ومع ذلك يخافون أن لا يُتقبّل منهم، فإذا كان هؤلاء الصالحون المصلّون المكثِّرون للخيرات يخافون أن لا تُقبل أعمالُهم، فكيف بالمقصِّرين؟! بل كيف بالذين لا يصلّون، ولا يصومون، ولا يعرفون لأحكام الله حُرْمةً، ولا يذكرون الله، ولا يجتنبون الذنوب، ولا يحاسبون أنفسَهم ولا يتفكّرون في الآخرة؟!

وحكي أنّ سيدنا إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أراد أن يدخُل الحمَّام فمنَعه الحمّامي أن يدخُلَه بدون الأجرة فبكَى إبراهيم وقال: إذا لم يؤذن أن أدخل في بيت الشيطان مجّانًا، فكيف لي بالدُّخُوْل في بيت النّبِيِّيْن والصِّدِّيقين؟![2].

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب المراقبة والمحاسبة، ١٤١/٥.

[2] ذكره إسماعيل حقي بن مصطفى في "روح البيان"، الجزء الثالث عشر، ٢٨٤/٤.

إنّ عباد الله الصالحين يراقبون في كلّ مكان ويُحاسبون أنفسَهم أشدّ من مُحاسَبة الشريك شريكَه، ويخافون ربَّهم، ولا يغفلون عن ذِكْر الآخرة لَحْظَةً. إنّ سيدنا الإمام زينَ العابدين رضي الله تعالى عنه كان في عهد الْحَجّاج بن يوسف مُكَبَّلاً بالحديد، فلمّا جاءه سيّدُنا الإمام الزُّهْري رضي الله تعالى عنه يَتوجَّع له ويقول: يعزّ علَيّ يا ابن رسول الله أن أراك على مثل هذه الحالة فلمّا رأى زينُ العابدين رضي الله تعالى عنه شدّة حُزْنه وبُكائه قال: «يا زُهرِي لا تَجْزَع، ولا تَحْرِمني الأجر على مصيبتي، فإنّ هذا الحديد لا يؤذيني، بل يذكِّرُني الآخرةَ، وإن شئتُ تحرَّرْتُ منه، ثم نزَعَه من رجله ووضَعه بين يديه»[1].

وقال سيدنا الحسن البصري رحمه الله تعالى: المبادَرة المبادَرة، فإنّما هي الأنفاس لو حبستْ عنكم انقطعت عنكم أعمالُكم التي تتقرّبون بها إلى الله عزّ وجلّ، رحم الله امْرءً نظَر إلى نفسه وبكَى على عدد ذنوبه[2]. أيها المسلمون: تأمّلوا فإنّ الكثير من الناس اليوم يشكُوْن من ضيق في الْمَعيشة، وقلق في النفس والسببُ في ذلك بلا شكّ كثرةُ الذنوب والمعاصي، مع

---

[1] رواه عبد الرحمن ابن الجوزي في "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، ٦/٣٣٠.

[2] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت وما بعده، ٥/٢٠٥، وابن أبي الدنيا في "قصر الأمل"، مع الموسوعة، ٣/٣٣٦، (١٤٦).

مُراءَاة الناس، وهي مُحبطَةٌ للأعمال الصالحة، ولا نخاف من سوء العاقبة، ولا من سوء الخاتمة، ومع هذا نعُدّ أنفسنا من العاقلين وأهل التفطّن للخَفايا والسرائر.

قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من ترَك صلاة متعمِّداً كتب اسمُه على باب النار فيمن يدخلُها»[1].

وقال النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «من أفطَر يوماً من رمضانَ من غير رخصة، ولا مرَض لم يَقضِ عنه صومُ الدَّهْر كلّه وإن صامَه»[2]. وقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من ملَك زاداً وراحلةً تُبلِّغه إلى بيت الله ولم يَحُجّ فلا عليه أن يموت يَهوديًّا أو نصرانيًّا»[3]. ومن أخلف الوعدَ فعلَيْه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبَل منه صَرْفٌ ولا عدْلٌ، ومن نظَر إلى غير مَحْرَم وصورة مَليحة بشهوة أو شاهَد الأفلام والمسرَحيّات الماجنَة أو نحوَ ذلك من المحرّمات خسرَ الدنيا والآخرة، ومن المنقول فيه: «من مَلأ عَينَه من الحرام مَلأ الله تعالى يوم القيامة عينَه من النار»[4].

---

[1] ذكره الأصفهاني في "حلية الأولياء"، ٢٩٩/٧، (١٠٥٩٠).

[2] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الصوم، باب ما جاء في الإفطار متعمداً، ١٧٥/٢، (٧٢٣).

[3] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الحج، ٢١٩/٢، (٨١٢).

[4] ذكره الغزالي في "مكاشفة القلوب"، الباب الأول في بيان الخوف، صـ١٠.

أيها المسلمون: إنّ كلَّ نفس ذائقةُ الموت، ولن يؤخِّر الله نفساً إذا جاء أجلُها وقد روي في الأحاديث: أنّ القبر يقول للميت حين يُوْضَع فيه: وَيْحَك يا ابن آدم ما غرَّك بي؟ ألَم تعلَم؟ أنا بيتُ الفتنة وأنا بيت الظُّلمة وأنا بيت الوَحْدة وأنا بيت التُّراب وأنا بيت الدُّود، فإن كنتَ في حياتك لله مُطيعًا كنتُ عليك اليوم رحمةً، وإن كنتَ لربِّك في حياتك عاصيًا فأنا عليك نِقْمةٌ، أنا البيت الذي من دخَله مُطيعًا خرَج منه مسروراً، ومن دخَله عاصيًا خرَج منه مثبوراً، ويَضْغَط القبرُ كلّ واحد منّا فضَغْطَة القبرِ على الْمُطيع برِفْق كالأمّ الشفيقة ضَمَّت الولدَ إذا غاب عنها، ثم قدِم عليها، ولكن من كان عاصيًا لله ضَمَّه القبر بعُنْف كضَغْطة الصَّخْرة على البَيضة، ويضيق عليه حتّى تختلف أَضلاعُه، حتّى تدخُل اليُمنَى في اليُسرى، واليسرى في اليمنى. وروي: يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة، وتُدْنَى الشمسُ يومَ القيامة من الْخَلق، حتّى تكون منهم كمقدار مِيْل، ويكون أمرُ الحساب والكتاب، فتكون للصالحين راحة الجنّة، وللمجرمين عذاب النار.

أيها الإخوة المسلمون: الدنيا دار بلاء وفناء، والآخرةُ دار جزاء وبقاء ومع ذلك يَغْفُل كثير من الناس عن ذكر الآخرة ولا يخافون من وَحْشَة القبر وأهواله، ولا يقيمون الصلاة، ولا

يصومون شهر رمضان المبارك، ولا يؤدُّون الزكاة ولا يَحُجّـون البيت عند القدرة، ويخالفون الوعد ويكذبون ويغتابون المـسلمين ويُشاهدون الأفلام والْمَسرحيّات ويقترفون الذنوب والمعاصـي ثم يقولون: إنّ الله تعالى كريم رحيم، ينتظـرون المغفـرة، فانتظـارهم حمق. قال سيدنا الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى: من قطَع عن بَذْرِ الإيمان تعهّده بمـاء الطاعـات أو تـرَك القلـبَ مـشحوناً برذائـل الأخـلاق، وانهمـك في طلـب لـذّات الـدنيا، ثم انتظَـر المغفرة، فانتظـاره حمـق وغـرور[1]. قـال رسـول الله صـلّى الله تعالى عليه وسلّم: «الكيِّسُ من دانَ نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجزُ من أَتْبَع نفسه هواها، وتمنّى على الله»[2].

قال الشيخ المفتي أحمد يارخان النعيمي رحمه الله تعالى تحت هذا الحديث: العاجز هو من غلَبتْ عليه نفسُه، وعمل ما أمَرتْه به نفسُه فصار عاجزاً لنفسه وأَتْبَع نفسَه هَواها أيْ: جعَلها تابعةً لهواها من تحصيل المشتهيات واستعمال اللّـذّات وارتكـاب المحرّمات وترك الواجبات، فلـذا قُوْبِـل الكَـيِّس بالعـاجز الـذي يُذْنِب ويتمنّى الجنّة من غير الاستغفار والتوبـة، قـائلاً: إنّ ربّـي

---

[1] ذكره الشيخ الإمام أبو حامد الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب الخـوف والرجـاء، ١٧٥/٤.

[2] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب صفة القيامة، ٢٠٨/٤، (٢٤٦٧).

كريمٌ رحيمٌ، وقد قال جلّ شأنه: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦/٨٢]. وقال تبارك وتعالى في مقام آخر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨/٢]. فزراعةُ الشعير وأمل حَصَاد البُرّ غرُّ الشيطان ووسوسة النفس.

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: ما أطالَ عبْدٌ الأمَل إلاّ أساء العمَلَ[1]. نقل سيدنا الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى: من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب مع رَجَاء العفو من غير ندامَة وتوقّع القُرْب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زَرْع الجنّة ببَذْر النار وطلَب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمَل والتمنّي على الله عزّ وجلّ مع الإفراط:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إنّ السفينة لا تجري على اليَبَس[2]

أيها المسلمون: الكثير من الناس اليوم يشكُوْن من ضَيْق في المعيشَة وقَلَق في النفس، فمن منّا لا يُصاب بمصيبة؟ ألا

---

[1] ذكره أحمد يارخان النعيمي (ت ١٣٩١هـ) في "مرآة المناجيح"، ١٠٣/٧، وعبد الحق المحدث الدهلوي (ت ١٠٥٢هـ) في "أشعة اللمعات"، ٢٥١/٤، والملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ) في "مرقاة المفاتيح"، ١٤٢/٩.

[2] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب الخوف والرجاء، ١٧٦/٤.

تَنْظُرون إلى المصائب والآلام؟ ألا تَنظُرون إلى العاجزين؟ فإنّ هذه المصائب عبرةٌ لأولي الأبصار تُذكِّرهم الآخرة، ثم إنّ الجزاء من جنس العمَل وهذه الابتلاءات والمصائب ما نزَلت إلاّ بسبب ما كسَبتْه أيدينا ثم بعد ذلك نَعيب الزمان عجَبًا والله لا تُصيبنا مصيبةٌ إلاّ بما تَكْسِبُ أيدينا من المنكَرات والسيئات.

أيها المسلمون: قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ [الهود: ٦/١١]. فإذا كان الله تعالى قد تكفَّل برزق الخلائق أجمعين فلماذا تَحْرِصُوْن على ما تكفَّل به ولماذا تَبْذُلون أَقصى جُهودكم ولماذا تُسافرون من مدينة إلى مدينة ولماذا تتحمّلون المشقّة في طلب المال؛ لأنّكم تعلمون أنّه لا يَحْصُل بغير جُهْد وسعي، مع علمكم بأنّ الله تعالى ضامن له، وبه كفيل، ولكنّه تعالى لم يَضْمَن لعباده المغفرةَ إلاّ بطلبها، ولم يضمن الجنّة إلاّ لمن أدَّى ثمنها وسعى لها سعيها، ثم بعد ذلك يتفكّر الإنسان في الرِّزْق، ولا يجتهد ولا يتفكّر في طلَب المغفرة، وما ذاك إلاّ لأنّ قلبه قد قسَى بسبب ارتكاب الذنوب، وغلَب عليه الرانُ بسبب المعاصي، ولذا يتحمّل المشقّة والذُّلّ، ويبذُل الْجُهْد إلى ثَمان ساعات، إلى عشر ساعات، أو إلى اثنتَيْ عشَرة ساعةً كلّ يوم ولكنّه للأسَف

الشديد إذا قيل لـه: أن تـسافر في سـبيل الله مـع قوافـل الإخـوة الدعاة لثلاثة أيّام كلّ شهر لتَنالَ المغفرَة وتحفظ الإيمان، قـال: ليس عندي وقتٌ، وقال بعض الناس: إنّ الله كريم رحيم، وهـو قادرٌ على المغفرة، وإن كان ما وصَفَه من كرَم الله تعـالى وقدرتـه صدقًا وحقًّا، ولكن إذا لم يَتْرُك السعي في طَلَب المـال اعتمـاداً على كرَمـه، فكـذلك يجـب عليـه أن لا يتـرُك التـزوُّد للآخـرة والخوف من مَكْره؛ لأنّه إن شاء عاقَب على الذنب الصغير وإن شاء عفا عن الْجُرْم الكـبير، روي عـن عبـد الـرحمن بـن قَتَـادة السَّلَمي رضي الله تعالى عنه أنّه قـال: سمعـتُ رسـولَ الله صـلّى الله تعالى عليه وسلّم يقولُ: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم ثم أخـذ الخلق من ظَهْرِه، وقال: هؤلاء في الجنة ولا أُبَالي، وهـؤلاء في النار ولا أبالي» قال: فقال قائل: يا رسول الله فعلى ماذا نعمـل؟ قال: «على مواقع القدر»[1].

وينبغي على كـلّ مـسلم أن يَعْـزِم النيـة مـن الآن علـى أن يُصْلِح نفسه، ويترك الـذنوب، ويَحْـرِص علـى حـبّ الله وحـبّ رسوله الكـريم، ويخـاف مـن ربّـه، ويبـادر إلى تطبيـق الـشريعة الإسلامية، ويسافر في سبيل الله مع قوافل الإخوة الـدعاة إلى الله

---

[1] أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي رضي الله تعالى عنه، ٦/٢٠٥-٢٠٦، (١٧٦٧٦).

تعالى، ويحاسب نفسه من خلال كتيب الجوائز المدنية، ويقدِّمها إلى المسؤول في كلّ شهر، فإنّي أرجو أن يُدْخله الله الجنّة بفضله وكرَمه وبجاه نبيّه المصطفى صلّى الله تعالى عليه وسلّم وهذا فوزٌ عظيمٌ، كما قال جلّ شأنه: ﴿**فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**﴾ [آل عمران: ٣/١٨٥].

أيها المسلمون: ولا بُدّ هُنا من التنبيه إلى ألا يقنَط المؤمن من رحمة الله، ولا يأمَن مكره، ولا يغفل من محاسبة النفس لحظةً واحدةً، ويرجع إلى ربِّه ويتوب من ذنوبه، فإنّ الله تعالى يَقْبَل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، فقد قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «فإنّ العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب تاب الله عليه»[1]. وقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «يقول الله عزّ وجلّ: يا عبادي، كلّكم مذنبٌ إلاّ من عافَيْتُ، فمن علم منكم أنّي ذو قدرة على المغفرة فاستغفَرَني غفَرْتُ له ولا أُبالي»[2]. وروي عن سيدنا علي رضي الله تعالى عنه قال: أخَذ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم بيدي ثم قال: «ألا

---

[1] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، ٢/١٩٩، (٢٦٦١).

[2] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب صفة القيامة، ٤/٢٢٢، (٢٥٠٣)، وابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ٤/٤٩٥، (٤٢٥٧).

أُعلِّمك كلمات تقولُهنّ لو كانت ذنوبُك كعدد النمل أو كدبِّ الذّرّ لغفَرَها الله لك على أنّه مغفور لـك: اللّهـمّ لا إلـه إلاّ أنـتَ سبحانَك عملْتُ سوءً أو ظلَمْتُ نفسي، فاغْفِر لي، إنّـه لا يغْفِـرُ الذنوبَ إلاّ أَنتَ»[1].

أيهـا المـسلمون: فحـريّ بنـا علـى إصـلاح الـنفس، والمحافَظَة على الأعمـال الـصالحة مـن صـلاة وصـيام وزكـاة، ودعوة إلى الله وحجّ وغيرها من القربات ولنحترز عن المعاصي كمشاهَدَة الأفلام والْمَسْرحيّات وسماع الأغاني ولنشُدّ الرِّحَـال للسفر في سبيل الله مع قوافل الإخوة الدعاة لثلاثة أيّـامٍ في كـلّ شهر، ولنحاسب النفس من خلال كتيب الجوائز المدنية.

وفي نهاية المطاف أذكر لكم آداب الاكتحال؛ ليحرص المسلمُ على أدائها اقتداءً بالسنّة وينال بذلك الأجر العظيم، فقد قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من أحيى سنّتي فقد أحبّني، ومن أحبّني كان معي في الجنّة»[2].

[١]: يستحبّ الاكتحال للرجل والمرأة والصغير والكبير وهو مما يؤثر تأثيراً حسناً في صحّة الإنسان مـن تقويـة البـصر، وجلاء الغشاوة من العين وتنظيفها وتطهيرها، ويوجـب الثـواب

---

[1] أخرجه البيهقي في "الدعوات الكبير"، ١/١٤٢، (١٩٠).

[2] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب العلم عن رسول الله، ٤/٣١٠، (٢٦٨٧).

والأجر في الآخرة، ومقتضى المؤمن بالله واليوم الآخر أن لا يدع مثل ذلك.

[٢]: والسنّة أن يكتحل بالإثمد؛ لما روي عن النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال: «إنّ خير أكحالكم الإثمد، يجلو البصر، وينبت الشعر»[١].

[٣]: ومن الأدب: أن يدعو عند الاكتحال بالمأثور.

[٤]: يستحبّ الاكتحال ليلاً.

[٥]: يستحبّ البداءة بالأيمن عند الاكتحال فإنّه من سنن الرسول الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وهو من شعار أهل الإسلام، وفيه مخالفة للشيطان الذي يتعاطى أموره بشماله.

[٦]: وصفة الاكتحال على ما روي عن النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ثلاثة: الأولى: أن يكتحل في العين اليمنى ثلاثة مراود، وفي اليسرى ثلاثة مراود. الثانية: أن يكتحل في العين اليمنى ثلاثة مراود، وفي اليسرى مرودين. الثالثة: أن يكتحل مرّتين في كلّ عين ويقسم بينهما واحدة[٢].

فينبغي لكلّ مسلم أن يَعْمَل تارةً هذا، وتارةً هذا اقتداءً بالسنّة وابتغاء نيل الأجر العظيم من الله تعالى.

---

[١] "سنن أبي داود"، ١٢/٤، (٣٨٧٨)، و"سنن ابن ماجه"، ١١٥/٤، (٣٤٩٧).

[٢] أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"، باب في الملابس والأواني، ٢١٩/٥.

هُمُومُ المَيِّت

لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ الدَّاعِيَةِ الكَبِيرِ أَبِي بِلَالٍ مُحَمَّد إِلْيَاسِ العَطَّارِ
القَادِرِي الرَّضَوِي حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

تعريب
مجلس التراجم


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، **أمّا بعد:**

فقد روي عن سيدنا أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من صلّى عليّ في يومٍ أَلْفَ مرّة لم يمُتْ، حتّى يَرَى مَقْعَدَه من الجنّة»[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

ذكر القشيري في التحبير له: حكي عن بعضهم أنّه قال: رأيت بعضهم في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: وزنت حسناتي، فرجحت السيئات على الحسنات، فجاءت صرّة من السماء، وسقطت في كفّة الحسنات، فرجحت فحلت الصرة، فإذا فيها كفّ تراب، ألقيتُه في قبر مسلم[2].

أيها المسلمون: يستحبّ لمن شَهِدَ دَفْن الميت أن يَحْثُو في قبره ثلاثَ حَثَيات من التراب بيدَيه جميعاً، ويكون من قِبَل

---

[1] ذكره المنذري في "الترغيب والترهيب"، كتاب الذكر والدعاء، الترغيب في إكثار الصلاة على النبي، ٣٢٨/٢، (٢٢).

[2] ذكره ابن حجر العسقلاني في "مرقاة المفاتيح"، كتاب الجنائز، ١٨٩/٤.

رأس الميت، ويقول في الْحَثْيَة الأولى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾. وفي الثانية: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾. وفي الثالثة: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[1].

أيها المسلمون: استمعوا إلى أحوال الخائفين وتشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم، إنّ التشبّه بالكرام فلاح.

وهذا سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه، وهو أحد العشرة المبشّرين بالجنّة، ومن السابقين إلى الإسلام، وقد لقّب بذي النورين؛ لأنّه تزوّج اثنتين من بنات رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وكانت تستحيي الملائكة منه، ومع ذلك كان يخاف من عذاب القبر، ومن أهوال يوم القيامة، فقد روي عن سيدنا هانئ مولى عثمان رضي الله تعالى عنه قال: كان عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه إذا وقف على قَبْر يَبْكي، حتّى يَبُلّ لِحْيَتَه، فقيل له: تذكر الجنّة والنار فلا تَبْكي وتَبْكي من هذا؟ قال: إنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «إنّ القَبْرَ أوّل مَنازل الآخرة. فإن نجا منه، فما بعده أيْسَر منه. وإن لم

---

[1] "الفتاوى الهندية"، كتاب الصلاة، الفصل في القبر والدفن، ١٦٦/١.

يَنجُ منه، فما بعده أشَدّ» قال: وقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «ما رأيت مَنظَرًا قطّ، إلاّ والقَبْر أفظَع منه»[1].

وقال سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه بشدّة الخوف من الله تعالى: «لو أنّي بين الْجَنّة والنار، ولا أدري إلى أيّتهما يُؤْمَر بي، لاخْتَرت أن أكون رَمَادًا قبل أن أعْلَم إلى أيتهما أصير»[2].

أيها المسلمون: كلّ واحد منّا يعلم أنّ الموت يأتي بغتةً، ويأخذ على غِرّة، ومع ذلك يغفل عن التيقّظ من ذنوبه ويرتكب الذنب وينساه وينسى أثره ويبقى رِيناً وغطاء على قلبه ولا يستعدّ للموت، ولا يخاف من عذاب القبر، وعذاب النار.

وهذا هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يسقط من الخوف إذا سمِع آيةً من القرآن مَغْشيّاً عليه، فكان يعاد أيّاماً، وأخَذ يوماً نبتة من الأرض، فقال: «يا ليتني كنت هذه النبتة، يا ليتني لم أك شيئاً مذكورًا، يا ليتني كنت نسياً منسياً، يا ليتني لم تَلِدْني أمّي»[3].

---

[1] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، ، باب ذكر القبر والبلى، ٤/٥٠٠، (٤٢٦٧).

[2] أخرجه أبو نعيم في "الحلية"، عثمان بن عفان، ١/٩٩، (١٨٣).

[3] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الصحابة، ٤/٢٢٦.

أيها المسلمون: وأقبح من نسيان الموت في أحوال الفرح والسُّرُور نسيانُه عند التعَرُّض للمَصَائب، وليتذكّر الأخ الحبيب أنّه سيفارق عند موته أهله وأحبته ورفاقه، ويفارق كلّ متاع يحبّه، فكم ستكون الفاجعة كبيرة والمصيبة مُدْلَهِمة والهمّ قتال فجبال الصدمات التي تنزل به لا يَعْلَمُها غيرُه، فالحسْرَة حَسْرته والْمُصيبَة مصيبته، لأنّ العَقْل يَبْقى سليماً بعد الموت، حتّى يحسّ الميت بصدمة فِراق والدَيْه وزوجته وأولاده وإخوانه وأخواته، وأصحابه مع فراقه للسيارة والْمَلْبس والْمَسْكَن والْمَحلاّت، والْمَصانع ويحسّ بألَم فِراق كلّ شيء، فمن يكون لديه مال قليل يكون غمُّه أقلّ، أمّا ذو المال الكثير فغمُّه لفراقه أكثر.

قال حجّة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: وينكشف كلّ ذلك عند انقطاع النفس، وقبل الدفن، وتشتعل فيه نيران الفراق، أعني: فراق ما كان يطمئنّ إليه من هذه الدنيا الفانية[1].

أمّا المسلم الذي اكتفى من متاع الدنيا بما يكفيه ويُؤوِّيه، وأخذ منها لضرورة معاشه، وتزوَّد للآخرة، فالموت تحفةٌ له، وكذلك إنّ عباد الله الصالحين الذين لم يُحبُّوْا مالاً ولا أسباب

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السابع، ٥/٢٤٨.

الدنيا الفانية، لا يصيبهم عند الفراق للأموال غمٌّ ولا حزن، ولا صدمة بل تصيبهم راحة الجنة في قُبُوْرهم، وقد جاء في الحديث الشريف عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «المؤمن في قبره في رَوْضَة، ويُرحب له قبره سَبْعُون ذِراعاً، ويُنوَّر له كالقَمَر ليلة البَدر»[1].

قال سيدنا مسروق رضي الله تعالى عنه: «ما غَبَطْتُ أحداً ما غَبَطْتُ مؤمناً في اللَّحْد، قد استراح من نَصب الدنيا، وأمن عذاب الله تعالى»[2].

قال سيدنا عطاء بن يسار رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: «يا عمر، كيف بك إذا أنت متَّ فانطلق بك قومُك، فقاسُوْا لك ثَلاثَة أَذْرُع في ذِراع وشِبْر، ثم رَجَعوا إليك، فغسلوك وكَفَّنُوْك وحَنَّطُوْك ثم احْتَمَلوك، حتّى يَضَعُوْك فيه ثم يُهِيْلُوْا عليك التُّرَاب ويدفنوك، فإذا انصرفوا عنك أتاك

---

[1] أخرجه أبو يعلى في "مسنده"، مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، ٥٠٨/٥، (٦٦١٣).

[2] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السابع في حقيقة الموت، ٢٤٩/٥.

فتّانا القَبْر مُنْكَر ونَكِيْر، أصواتُهما كالرَّعْد القاصف، وأبصارُهما كالبَرْق الخاطف، يجُرّان أشعارهما، ويَبْحثان القَبْر بأَنْيابهما، فتَلْتَلاك وتَرْتَراك، كيف بك عند ذلك يا عُمر؟». فقال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه: ويكون معي مثل عَقْلي الآن؟ قال: نعم، قال: إذاً أَكْفيكَهما[1].

قال حجّة الإسلام الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى: هذا نصّ صريح في أنّ العَقْل لا يَتَغَيَّر بالْمَوْت، إنّما يَتغَيَّر البَدَن والأَعْضَاء فيكون الميت عاقلاً، مُدْرِكاً، عالماً، بالآلام واللَّذّات كما كان لا يتَغَيَّر من عقله شيء[2].

أيها المسلمون: أقسم بالله إنّها أهوال وأحداث، تقلق أشَدّ القَلَق، وتخوف أشَدّ الْخَوْف، فالحيوان بمَوْته تنتهي القوّة الْمَحْسُوسَة لديه، لكن عَقْل الإنسان يكون قائماً باقياً، بل إنّ قوّة النظر والسَّمْع تَتَضاعف، فكيف بنا إن غَضب الله عزّ وجلّ بسبب الذنوب والمعاصي؟!

---

[1] ذكره الغزالى في "إحياء العلوم" كتاب ذكر الموت وما بعده، ٢٥٨/٥، وابن أبي داود في "البعث"، صـ٨، (٧)، وعبد الرزاق في "مصنفه"، كتاب الجنائز، ٣٨٩/٣، (٦٧٦٧).

[2] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، ٢٥٨/٥.

فتفكّرُوا أيها المسلمون: نحن نضجر ونجزع ونحزن حين نكون محتبسين في مكان جميل فكيف بنا حين نبقى وحدنا في قبر موحش، بين الجدارين الضيقين وبين أطباق التراب، وإنّ العقل يبقى سليماً، نحن نرى ذهاب الناس عنّا ونسمع قرع نعالهم، وأفواهنا تحت أطباق التراب.

فاتّقوا الله أيها الغافلون عن الموت واعتبروا أيها الساهرون على مشاهدة المسلسلات والأفلام، ويا من يسمع شريط الموسيقى والغناء، ويا من يضيع الصلاة والصيام، ويا من يقطع الطريق ويروع الناس بالقتل والنهب والسرقة ويا من أغراه قرناء السوء باقتراف الذنوب والمعاصي، ارجعوا وأنيبوا إلى ربّكم، إنّ باب التوبة مفتوح، فسارعوا قبل الفوات، قبل أن يختم لكم بخاتمة السوء، وقبل أن يضيق عليكم قبركم، وتختلف أضلاعكم، ويأتيكم عذاب القبر وعذاب النار والعياذ بالله تعالى، وكان بكر العابد رحمه الله تعالى يقول لأمّه: يا أمّاه، ليتك كنت بي عقيماً، إنّ لابنك في القبر حَبْساً طويلاً، وإنّ له من بعد ذلك رحيلاً[1].

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السادس، ٢٣٨/٥.

فتفكّر أيها المسلم في الموت وحقيقته، إنّه قد يأتيك اليوم ثم بعد الموت ستنزل، وتحبس في قبر شديد الظَّلام وضيق المكان، إنّك وإن كنت لا تستطيع الحراك فإنّك تسمع وترى كلّ شيء، فعن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنّ النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «إنّ الميت يعرف من يحمله، ومن يغسله، ومن يدَلّيه في قبره»[1].

وروي عن سيدنا عبد الله بن عبيد رضي الله تعالى عنه يقول بلَغَني: «أنّ الميت يقعد في حُفْرَته، وهو يسمع خطو مُشَيّعيه، ولا يكلّمُه شيء أوّل من حُفْرَته تقول: وَيْحَك ابن آدم أليس قد حذرتني، وحذرت ضيقي وظلمتي ونتني وهولي، هذا ما أعْدَدْت لك، فما أعدَدْتَ لي؟»[2].

أيها المسلمون: كيف بك إذا كنت وحيداً فريداً في قبر موحش مظلم، مساحته ضيقة وليست متسعة، ليس لك أنيس، ولا جليس، ولا تستطيع الحراك وتسمع وترى كلّ شيء، فإن كنت متّبعاً للشريعة المصطفوية ومحافظاً على الصلوات

---

[1] أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، مسند أبي سعيد الخدري، ٨/٤، (١٠٩٩٧).

[2] "كتاب الزهد والرقائق"، لابن المبارك، باب ما يبشر به الميت، صـ٤١، (١٦٣).

الخمس مع الجماعة، تقيّاً، ذاكراً لله، فإنّه يوسع لك في قبرك، وتكون لك إن شاء الله روضة من رياض الجنّة، وإن أضعت صلاتك وصيامك، والتزمت بالزي الحرام فيضيق عليك قبرك، وتكون لك مصائب وآفات، قال سيدنا عبيد بن عمير رضي الله تعالى عنه: «ليس من ميت يموت، إلاّ نادته حُفْرَته التي يدفن فيها: أنا بَيْت الظلمة والوحدة والانفراد، فإن كنت في حياتك لله مُطيعاً كنت عليك اليوم رحمة، وإن كنت عاصياً فأنا الْيَوم عليك نِقْمَة، أنا الذي من دخَلَني مُطيعاً خَرَج مسرُوْرًا، ومن دخلَني عاصياً خَرَج مَثْبُوْرًا»[1]. فيا لتعاسته ويا لشقاوته هذا العاصي، هل سيتحمل نداءات العتاب في الوقت الذي ما عاد ينفع فيه العتاب؟! وفي الساعة التي ليس بعدها رجعة إلى دار الغرور؟! كم هو في ألم؟! كم هو في وجع؟! كم هو في حيرة وقلق وشرود، وهو لا يدري ما يفعل به؟! بل حتّى يعاتبه جيرانه من سكنى القبور:

عن محمد بن صبيح رحمه الله تعالى قال: بلغَنا أنّ الرجل إذا وضع في قبره عُذّب أو أصابه بعض ما يَكْرَه، ناداه جِيْرانُه من

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السابع، ٢٥٢/٥.

الموتى: أيها الْمُتَخَلِّف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه، أما كان لك فينا معتبر؟! أما كان لك في متقدّمنا إيّاك فكرة؟! أما رأيتَ انقطاع أعمالنا عنّا وأنت في المهلة؟ فهلاّ استدركت ما فات إخوانك؟! وتناديه بقاع الأرض: أيّها المغترّ بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الأرض، ممن غرّته الدنيا قبلك؟! ثم سبق به أجله إلى القبور، وأنت تراه محمولاً، تهاداه أحبته إلى المنزل الذي لا بدّ له منه[1].

وعن سيدنا عطاء بن يسار رضي الله تعالى عنه قال: إذا وُضِعَ الميت في لَحْده، فأوّل شيء يأتيه عمَلُه، فيضْرِب فَخِذَه الشِّمَال، فيقول: أنا عمَلُك. فيقول: أين أهلي وولدي، وعشيرتي، وما خوّلني الله تعالى؟ فيقول: تركتَ أهلك وولدك وعشيرتك وما خوَّلك الله وراء ظَهْرك، فلم يَدْخُل قبرَك معك غيري، فيقول: يا ليتني آثرتُك على أهلي وولدي وعشيرتي، وما خوّلني الله تعالى، إذ لم يدخُلْ معي غيرُك[2].

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السابع، بيان كلام القبر للميت، ٥/٢٥٣.

[2] ذكره عبد الجبار (ت٣٦٠هـ) في "تاريخ داريا"، صـ١٦٨، (١٢٢)، والسيوطي في "شرح الصدور"، باب ضمة القبر لكل أحد، صـ١١١.

أيها المسلمون: والله إنّ القبر له هول عظيم، وإنّ فظاعته لشديدة، قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «ما رأيت منظراً قطّ، إلاّ القبر أفظع منه»[1].

وعن سيدنا البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: كنّا مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم في جنازة فجلس على شفير القبر فبكى، حتّى بلّ الثرَى ثم قال: «يا إخواني لمِثْلِ هذا فأعدُّوْا»[2].

وكان الحسن بن صالح رحمه الله تعالى إذا أشرف على المقابر، يقول: ما أحسن ظواهرُك، إنّما الدواهي في بواطنك[3].

وكان عطاء السلمي رحمه الله تعالى إذا جنّ عليه الليل، خرَج إلى المقبرة ثم يقول: يا أهل القُبُوْر، متم فواموتاه، وعايَنْتُم أعمالكم، فواعملاه، ثم يقول: غدًا عطاء في القُبُوْر، فلا يزال ذلك دأبه حتّى يُصْبِح[4].

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الزهد، ١٣٨/٤، (٢٣١٥).

[2] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب الحزن، ٤٦٦/٤، (٤١٩٥).

[3] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السادس، ٢٣٨/٥.

[4] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، باب بيان حال القبر، ٢٣٨/٥.

وقال سيدنا أبو ذرّ الغفاري رضي الله تعالى عنه: ألا أخبركم بيوم فَقْري: يوم أوضع في قبري[1].

قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «إنّما القَبْرُ رَوْضة من رِيَاض الجنّة، أو حُفْرَة من حُفَر النار»[2].

أيها المسلمون: فالمطلوب أن يستعدّ المؤمن لهذا الأمر، ويتهيّأ له بالعمل الصالح، فقد قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: من أكثر من ذِكْر القبر وجَده روضةً من رياض الجنّة، ومن غفل عن ذكره وجده حُفْرَةً من حُفر النار[3].

قال ثابت البناني رحمه الله تعالى: دخَلْتُ الْمَقابِر، فلمّا قَصَدْتُ الخروج منها، فإذا بصوت قائل، يقول: يا ثابت، لا يَغُرَّنك صمُوْت أهلها، فكم من نفس مغمومة فيها[4].

وكان الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى قد حفَر في داره قبرًا، فكان إذا وجَد في قلبه قَسَاوة دخل فيه، فاضطجع ومَكَثَ

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، بيان حال القبر، ٥/٢٣٧.

[2] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب صفة القيامة، ٤/٢٠٩، (٢٤٦٨).

[3] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، بيان حال القبر، ٥/٢٣٨.

[4] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، بيان حال القبر، ٥/٢٣٨.

ما شاء الله، ثم يقول: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [المؤمنون: ٢٣/٩٩-١٠٠]. يردّدها، ثم يرد على نفسه: يا ربيع، قد رجعتك فاعمَلْ[١]. وكان أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه يقعُد إلى القبور، فقيل له في ذلك، فقال: أجلس إلى قوم يذكروني معادي، وإذا قمت لم يغتابوني[٢].

وكان جعفر بن محمد رحمه الله تعالى يأتي القبور ليلاً، ويقول: يا أهل القبور ما لي إذا دعوتكم لا تُجيْبُوْني، ثم يقول: حيل والله بينهم وبين جوابي، كأنّي بي أكون مثلهم، ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر[٣]. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لبعض جُلَسائه: يا فلان، لقد أَرِقت اللَّيلَة أتَفَكَّر في القَبْر وساكنه، إنّك لو رأيت الميت بعد ثلاثة في قبره، لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به ولرأيت بيتاً تَجُول فيه الهوام، ويجري فيه الصديد، وتخترقه الديدَان مع تَغَيُّر الريح، وبلَى

---

[١] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، بيان حال القبر، ٥/٢٣٨.

[٢] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السادس، بيان حال القبر، ٥/٢٣٧.

[٣] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السادس، بيان حال القبر، ٥/٢٣٧.

الأكفان بعد حسن الهيئة، وطَيّب الريح، ونَقاء الثوب، قال: ثم شَهِقَ شَهقَة خرّ مَغشيّاً عليه[1]. قال سيدنا أحمد بن حرب رحمه الله تعالى: تتَعَجَّب الأرض من رجل يمَهّد مَضْجَعه، يسوي فراشه للنوم وتقول: يا ابن آدم، لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء؟![2].

وكان يزيد الرقاشي رحمه الله تعالى يقول: أيها المقبور في حُفْرَته، والْمُتَحَلِّي في القبر بوَحْدَته، الْمُستَأْنس في بطن الأرض بأعماله، ليت شعري بأيّ أعمالك استبشرت، وبأيّ إخوانك اغتبطت، ثم يبكي حتّى يبلّ عمامته، ثم يقول: استبشر والله بأعماله الصالحة واغتَبَط والله بإخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى، وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يخور الثور[3].

أيها المسلمون: إنّ الرجل إنما يعذب في قبره بالشيء الذي كان يخافه في الدنيا، فمن الناس من يخاف من الجرو أكثر من الأسد، وطبائعُ الخلق متفرقة، نقل الإمام جلال الدين

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، بيان حال القبر، ٢٣٧/٥.

[2] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السادس، ٢٣٨/٥.

[3] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السادس، ٢٣٧/٥.

عبد الرحمن السيوطي عن أبي المليح الرقي رحمهما الله تعالى قال: إذا أُدْخِل ابن آدم قَبره لم يَبق شيء كان يخافه في الدنيا دونَ الله عزّ وجلّ، إلاّ تَمَثّل له يفزعه في لَحْدِه؛ لأنّه كان في الدنيا يَخَافُه دون الله عزّ وجلّ[1]. يقول حجة الإسلام الإمام محمد الغزالي عليه رحمة الله الوالي: فإنّك لو شاهدت بنُوْر البصيرة باطنك لَرَأَيْته مشحوناً بأصناف السبَاع وأنواع الْهَوامّ، مثل الغَضَب والشَّهْوَة والحِقْد والْحَسَد والكبر والعجب والرياء وغيرها، وهي التي لا تزال تفترسك، وتنهشك إن غفلت عنها لحظة، إلاّ أنّك محجوب العين عن مُشاهدَتها، فإذا انكشف الغطاء، ووضعت في قبرك عاينتها تمثلت لك بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها، فترَى بعينك العَقارب والحيات، وقد أَحْدَقَت بك في قبرك وإنّما هي صفاتك الحاضرة الآن، قد انكشف لك صورها، فإن أردت أن تقتلها وتقهرها وأنت قادر عليها قبل الموت، فافعل وإلاّ فوطّن نفسك على لَدغها ونهشها لصميم قلبك، فضلاً عن ظاهر بشرتك[2].

---

[1] ذكره السيوطي في "شرح الصدور"، باب ضمة القبر لكل أحد، صـ١١٢.

[2] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب الخوف والرجاء، ٤/٢٣٣.

أيها المسلمون: إنّ غفلتنا شديدة جدًّا، فإنّ الإنسان يبذل الجهد والقوة في طلب علوم الدنيا، ويجتهد في جمع المال وكسبه، وتميل نفسه إلى الدعة والرفاهية، ويضيع عمره في الذنوب والمعاصي، ولكن مع الأسف الشديد لا يسعى في طلب علوم الدين، ولا يتفكّر في التزود للآخرة وحفظ الإيمان، وقد يتكلّم بكلمة لا يلقي لها بالاً ويخرج بها عن دائرة الإسلام والعياذ بالله تعالى من ذلك، فإنّ من ختم له بالكفر يخلد في النار، ويستحقّ العذاب الشديد: نقل حجة الإسلام الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى: قال محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى: بلغني أنّ الكافر يسلّط عليه في قبره دابّة عمياء صماء، في يدها سوط من حديد، في رأسه مثل غرب الجمل، تضربه به إلى يوم القيامة، لا تراه فتتقيه، ولا تسمع صوته فترحمه[1].

فاطْلُبُوْا أيها المسلمون حسنَ الخاتمة بالدعاء وبعمل جميع الأسباب المؤدّية إلى حسن الختام، وتخوَّفُوْا من سوء العاقبة وسوء الخاتمة، وكان السلف الصالح يبكون من شدّة الخوف

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، ٥/٢٥٩.

من سوء الخاتمة، قال سيدنا الحسن البصري رحمه الله تعالى: يخرج من النار رجل بعد ألف عام، يا ليتني كنت ذلك الرجل، وإنّما قال ذلك لخوفه من الخلود وسوء الخاتمة[1]. وروي أنّ الحسن البصري رحمه الله تعالى ما ضحك أربعين سنة، قال الراوي: وكنت إذا رأيته قاعدًا كأنّه أسير، قد قدم لتضرب عنقه. وإذا تكلّم كأنّه يعاين الآخرة، فيخبر عن مُشاهدتها، فإذا سكت كأنّ النار تسعر بين عينيه، وعوتب في شدّة حزنه وخوفه، فقال: ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع عليَّ على بعض ما يكره، فمقتني، فقال: اذهب فلا غفرت لك، فأنا أعمل في غير معتمل[2]. ورؤي في الليلة التي مات فيها الحسن البصري، كأنّ أبواب السماء مفتحة، وكأنّ منادياً ينادي: ألا إنّ الحسن البصري قدم على الله عزّ وجلّ وهو عنه راضٍ[3].

أيها المسلمون: الصحبة السيئة فإنّ أثرها على المرء واضح وخطير بلا شكّ، حتّى أنّها تؤثر على عقيدته، فعلى المؤمن أن

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب الخوف والرجاء، ٤/٢٣١.

[2] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب الخوف والرجاء، ٤/٢٣١.

[3] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب الثامن، بيان منامات المشايخ، ٥/٢٦٦.

يختار الخليلَ المرضي في دينه وخلقه، ويحذر صحبة الأشرار، والفساق والكفّار، فإنّ مصاحبتهم مُضرّة من جميع الوجوه على مَنْ خالطهم، ومن الأسباب التي تفضي إلى النار، فكم هلك بسببهم أقوام، وكم أقادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون، ويحذر المسلمُ من أن يكون ممن يندم ويقول يوم القيامة: ﴿**يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ۝٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا**﴾ [الفرقان: ٢٦/٢٨-٢٩]. وينبغي على العبد أن يعمل بالأسباب التي تُوْصلُ إلى حُسْن الخاتمة، ويبتعد عن جميعِ الأسباب التي تنشأ عنها سوء الخاتمة، ويسأل الله حسن الخاتمة بالإيمان، ومن أسباب حفظ الإيمان أن يسلك الطريق، على يد شيخ كامل، ويأخذ الطريقة العالية، ويقرأ أوراد حفظ الإيمان، كمن يقول كلّ يوم في الصباح: «يا حيّ يا قيّوم لا إله إلاّ أنت» ٤١ مرّةً، مبتدئاً بالصلاة على النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ثلاث مرّات ومختتماً، فإنّ قلبه يبقى سليماً، وتكون خاتمته بالإيمان إن شاء الله عزّ وجلّ.

وكان طاؤوس رحمه الله تعالى يفرش له الفراش فيضطجع ويتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى، ثم يثب فيدرجه، ويستقبل القبلة حتّى الصباح، ويقول: طيَّر ذكر جهنم نوم الخائفين[1].

وحكي أنّ أويسًا القرني رحمه الله تعالى كان يحضر عند القاص، فيبكي من كلامه، فإذا ذكر النار صرخ أويس، ثم يقوم منطلقاً، فيتبعه الناس، فيقولون: مجنون، مجنون[2].

وقال سيدنا معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: «إنّ المؤمن لا يسكن روعه، حتّى يترك جسر جهنّم وراءه»[3].

ومن يريد التوسع، فعليه أن يقرأ الكتب: أسباب سوء الخاتمة، لما له من أثر عظيم، في النفوس، وقد حدثني بعض الناس عن رجل أنّه قال: لما قرأت كتيب أسباب سوء الخاتمة في الليل، بكيتُ بشدّة الخوف من سوء الخاتمة، وفزعتُ من ذلك فزعاً شديداً، وجرت الدموع من عيني، فبينما أنا كذلك، إذ غلبتني عيناي، فنمتُ، فرأيتُ في المنام سيدنا ونبينا محمد

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الصحابة، ٤/٢٣١.

[2] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب الخوف والرجاء، ٤/٢٣١.

[3] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب الخوف والرجاء، ٤/٢٣١.

صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فقلتُ: يا رسول الله، أسألك أن تدعو لي أن يثبت الله قلبي على دينه وطاعته، فقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم: يَسْلم إيمانُك، وتحصل لك خير كثير.

وقد جاء في الحديث الشريف عن سيدنا البراء رضي الله تعالى عنه: «من قرأ ألم السجدة، وتبارك الذي بيده الملك، قبل النوم نجا من عذاب القبر، ووقي فتاني القبر»[1].

وقال شقيق البلخي رحمه الله تعالى: طلبنا خمساً فوجدناها في خمس. طلبنا بركة القوت فوجدناها في صلاة الضحى، وطلبنا ضياء القبور، فوجدناه في صلاة الليل. وطلبنا جواب منكر ونكير، فوجدناه في قراءة القرآن. وطلبنا عبور الصراط، فوجدناه في الصوم والصدقة. وطلبنا ظلّ العرش، فوجدناه في الخلوة[2]. وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إذا وضع الميت في قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته فإن أتاه من قبل رأسه جاء قراءته للقرآن، وإن أتاه من قبل رجليه جاء قيامه، وإن أتاه

---

[1] ذكره السيوطي في "شرح الصدور"، باب من لا يسأل في القبر، صـ١٤٩.

[2] "روض الرياحين" لليافعي، الحكاية السابعة والثلاثون بعد الثلاث مئة، صـ٢٨١.

من قبل يده قالت اليدان: والله لقد كان يبسطني للصدقة والدعاء، لا سبيل لكم عليه، وإن جاء من قبل فيه، جاء ذكره وصيامه، وكذلك تقف الصلاة والصبر ناحية، فيقول: أما إنّي لو رأيت خللاً لكنت أنا صاحبه»[1].

أيها المسلمون: شرفُ الانتساب إلى عباد الله الصالحين، والاقتداء بهم، من أسباب المنجيات العظيمة، وقد روي عن هبة الله بن سلامة المفسر، قال: كان لنا شيخ، نقرأ عليه فى باب محول، فمات بعض أصحابه، فرآه الشيخ فى النوم، فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قال: فما حالك مع منكر ونكير؟ قال: يا أستاذ، لما أجلساني وقالا: من ربّك؟ من نبيك؟ فألهمني الله عزّ وجلّ أن قلت لهما: بحقّ أبي بكر وعمر دعاني، فقال أحدهما للآخر: قد أقسم علينا بعظيم، دعه فتركاني، وانصرفا[2]. وحكي أنّ رجلاً خادم الشيخ أبي يزيد كان يحمل فروته على كتفه، وكان رجلاً صالحاً، فجرى الحديث في

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت، الباب السابع، بيان سؤال منكر ونكير، ٢٥٩/٥

[2] ذكره ابن الجوزي (ت ٤١٠هـ) في "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، هبة الله بن سلامة، ١٣٨/١٥.

مسألة منكر ونكير في القبر، فقال ذلك الفقير، وكان مغربياً: والله إن سألاني، لأقولنّ لهما، فقالوا له: من يعلم ذلك؟ فقال: اقعدوا على قبري حتّى تسمعوا، فلما مات المغربي جلسوا على قبره، فسمعوا المسألة، وسمعوه يقول: أتسألاني، وقد حملت فروة أبي يزيد على عنقي؟ فمضوا وتركوه[1].

اسمعوا حكايتين، للعبرة والموعظة الحسنة: قد روي عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّه جلس يحدث عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم فقال: «أحَرِّج على كلّ قاطعِ رحم إلاّ قام من عندنا»، فلم يقم أحد إلاّ شابّ من أقصى الحلقة ثم ذهب إلى عمّته، لأنّه كان قد صارمها منذ سنين، فصالحها، فقالت له عمّته: ما جاء بك يا ابن أخي؟ فقال: إنّي جلست إلى سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه صاحب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقال: «أحرّج على كلّ قاطع رحم إلاّ قام من عندنا» فقالت له عمّته: ارجع إلى سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، واسأله لِمَ ذلك؟ فرجع إليه وأخبره بما جرى له مع عمّته وسأله: لِمَ لا يجلس

[1] ذكره السيوطي في "شرح الصدور"، باب فتنة القبر وسؤال الملكين، صـ١٤٢.

عندك قاطع رحم؟ فقال سيدنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: إنّي سمعتُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم يقول: «إنّ الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطعُ رَحِمٍ»[1]. وحكي أنّ رجلاً من الأغنياء حجّ إلى بيت الله الحرام، فلما وصل إلى مكة، أودع من ماله ألف دينار عند رجل، كان موسوماً بالأمانة والصلاح، إلى أن يقف بعرفات، ورجع إلى مكة، فوجد الرجل قد مات، فسأل أهله عن ماله، فلم يكن لهم به علم، فأتى علماء مكة، فأخبرهم بحاله وماله، فقالوا له: إذا كان نصف الليل فأت زمزم، وانظر فيها، وناد يا فلان باسمه، فإن كان من أهل الجنة، فسيجيبك أوّل مرّة، فمضى الرجل ونادى في زمزم، فلم يجب أحدٌ، فجاء إليهم، وأخبرهم فقالوا: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار، اذهب إلى أرض اليمن، ففيها بئر يسمّى برهوت، يقال: إنّه على فم جهنّم، فانظر فيه بالليل وناده: يا فلان، فإن كان من أهل النار فسيجيبك منها، فمضى إلى اليمن وسأل عن البئر،

---

[1] أخرجه البخاري في "الأدب المفرد"، باب لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم، صـ٢٧، (٦٣)، والذهبي في "كتاب الكبائر"، الكبيرة التاسعة، صـ٥٣.

فدُلّ عليها، فأتاها بالليل، ونظر فيها ونادى: يا فلان فأجابه، فقال: أين ذهبي؟ قال: دفنته في الموضع الفلاني من داري، ولم أتمن عليه ولدي، فأتهم واحفر هناك له تجده فقال له: ما الذي أنزلك هاهنا، وكنّا نظنّ بك الخير؟ فقال: كان لي أخت فقيرة، هجرتها، وكنتُ لا أحنو عليها، فعاقبني الله سبحانه بسببها، وأنزلني الله عزّ وجلّ هذه المنزلة[1].

أيها المسلمون: قطيعة الرحم من كبائر الذنوب، متوَعَّد صاحبُها باللعنة والثبور، والتدابرُ بين ذوِي القربَى مؤذِنٌ بسوء العاقبة وتعجيل العقوبة، ففي الحديث الشريف عن سيدنا جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه أنّه سمع النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم يقول: «لا يدخل الجنّة قاطع»[2].

وسأذكر لكم بعض الأحاديث النبوية الكريمة التي تحضّ على تحمل المسؤولية الكاملة ورعاية الأهل والقيام عليهم:

[١]: «ألا كلّكم راع، وكلّكم مسؤولٌ عن رعيّته»[3].

---

[1] ذكره الذهبي في "كتاب الكبائر"، الكبيرة التاسعة: هجر الأقارب، صـ٥٤.

[2] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأدب، ٤/٩٧، (٥٩٨٤).

[3] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأحكام، باب قول الله: وأطيعوا الله، ٤/٤٥٣، (٧١٣٧).

[٢]: «أيما راع استرعى رعيّة فغَشّها فهو في النار»[١].

[٣]: «ما من عبد استرعاه اللهُ عزّ وجلّ رعيّةً، فلم يحطها بنصيحة، إلاّ لم يجد رائحةَ الجنّة»[٢].

[٤]: «ليأتينّ على القاضي العدل يوم القيامة ساعة، يتمنى أنّه لم يقض بين اثنين في تمرة قطّ»[٣].

[٥]: «ما من أمير عشيرة، إلاّ يؤتى به يوم القيامة مغلولاً حتّى يفكّ عنه العدل، أو ينفقه الجور»[٤].

[٦]: «اللّهمّ من ولي من أمر أمّتي شيئاً فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمّتي شيئاً، فرفق بهم فارفق به»[٥].

[٧]: «من ولاه الله عزّ وجلّ شيئاً من أمر المسلمين، فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله تعالى عنه دون حاجته وخلته وفقره»[٦].

---

[١] أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، ٢٨٤/٧، (٢٠٣١١).

[٢] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأحكام، ٤٥٦/٤، (٧١٥٠).

[٣] أخرجه أحمد بن حنبل في "مسنده"، مسند السيدة عائشة، ٣٥١/٩، (٢٤٥١٨).

[٤] أخرجه البيهقي في "السنن الكبري"، كتاب الصلاة، باب كراهية الولاية جملة، ١٨٤/٣، (٥٣٤٥).

[٥] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الإمارة، صـ١٠١٦، (١٨٢٨).

[٦] أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب الخراج والفيء، ١٨٩/٣، (٢٩٤٨). (٥٨).

[٨]: «من لا يرحم لا يرحم»[١].

[٩]: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»[٢].

[١٠]: «إنّ المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور على يمين الرحمن الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[٣].

[١١]: «إنّكم ستحرِصون على الإمارة، وستكون نَدامة يوم القيامة، فنعم الْمُرْضِعَةُ، وبئست الفاطمةُ♣»[٤].

وقال النبي الكريم صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «إنّا لا نولّي هذا من سأله، ولا من حرَص عليه»[٥]. نسأل الله السلامة من المهلكات.

---

[١] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأدب، ١٠٣/٤، (٦٠١٣).

[٢] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب التوحيد، ٥٣٢/٤، (٧٣٨٦).

[٣] أخرجه النسائي في "سننه"، كتاب آداب القضاء، صـ٨٥١، (٥٣٨٩)

♣ (نعمت المرضعة)، أي: في الدنيا، فإنّها تدلّ على المنافع واللذات العاجلة. (وبئست الفاطمة) عند انفصاله عنها بالموت أو غيره، فإنّها تقطع عنه اللذائذ والمنافع وتبقى عليه الحسرة والتبعة.

[٤] أخرجه البخاري في "صحيحه"، ٤٥٦/٤، (٧١٤٨).

[٥] أخرجه البخاري في "صحيحه"، ٤٥٦/٤، (٧١٤٩).

فهرس

مقدمة..... ٦
إرشاد العالمين إلى منزلة الفاروق أمير المؤمنين..... ٩
إرشاد العالمين إلى منزلة ذي النورين أمير المؤمنين ٣١
الحالة الاجتماعية قبل البعثة المحمدية ٤٩
فضائل العفو عن الناس ٦٩
القول الطيب ٨٣
عظام الملوك ١٠٧
الطريقة لإصلاح النفس..... ١٢٥
احترام المسلم..... ١٤٣
بضائع الشيطان ١٦٩
الغفلة ١٩٥
أريد إصلاح نفسي..... ٢١١
هموم الميت..... ٢٣١